ماذا ينتظر العالم

علامات الساعة الكبرى



د. أحمد حسين الرفاعي

ماذا ينتظر العالم

علامات

الساعة

الكبرى

د. أحمد حسين الرفاعي
القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا؛ الحمد لله على كل حال؛ وأشهد أن لا إله إلا الله؛ وصلى الله على سيدنا محمد؛ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

هذا الكتاب يتحدث عن أحداث وأمور عظيمة ينتظر العالم ظهورها، وأهوال خطيرة هي ما نسميها علامات الساعة الكبرى، تحدّث عنها القرآن، وتحدث عنها رسول الإسلام، هناك ١٤٣ علامة من أشراط الساعة الصغرى والكبرى؛ منها ما ظهر وتحقق فعلا؛ ومنها ما ننتظر ظهوره.

قد يقول الملحدون من شتى البلاد ومختلف الأزمان؛

وقد يقول المشككون في دين الإسلام والأديان:

ما هذه السذاجة؟

كيف تضيّعون وقتكم في هذه الأمور الغيبية؟

وما هو الدليل المادي على ادعاءاتكم؟

أنتم تنتظرون أمورا قد تحدث وقد لا تحدث!

فلِمَ كل هذه الفوضى؟

ولِمَ نشر هذا الخوف؟ ولِمَ نشر هذا الرعب؟

نردّ على هؤلاء؛ بأن هذه العلامات عقيدة في فكرنا وسلوكنا، آمنَّا بها وما زلنا نؤمن بها؛ ولم نزل حتى تتحقق، وصدقناها وما زلنا نصدق؛ ولم نزل.

أما أنتم أيها المتفلسفون !

ما الدليل على ادعاءاتكم بأن هذه العلامات قد تحدث وقد لا تحدث؟

لماذا أنتم تثيرون السخرية دائما؟

لماذا تشككون في حقائق صدرت من ربّ السماء؟

وماذا سيكون مصيركم لو أنها تحققت!؟

قولوا لنا: لِمَ هذا الخوف؛ ولِمَ هذا الرعب؟

هل أنتم راضون عن موقفكم؟

هل أنتم واثقون من أنفسكم؟

لماذا أنتم خائفون دائما؟

لماذا أنتم مرتعبون دائما؟

نحن المسلمون؛ نؤمن جميعا بأن يوم القيامة آت لا محالة، و أن لهذا اليوم علامات؛ منها علامات الساعة الكبرى؛ ومنها العلامات الصغرى.

العلامات الصغرى منها قد حدث بالفعل، وعلى المسلم أن يستعد جيدا لاستقبال العلامات الكبرى؛ ومواصلة العمل الصالح، ويعمل جاهدا لإرضاء الله تعالى.

رجلٌ سأل النبيّ ﷺ عن الساعة متى تكون؟

ردّ عليه النبيّ ﷺ: وماذا أعددت لها؟

هذا توجيه من النبيّ ﷺ ؛

بالإقبال على الله بالأعمال التي تنشر الأمن والأمان في هذا الكون،

والاستعداد بالطاعة لربّ واحد ؛

لتعمّ الطمأنينة في الحياة الإنسانية.

يوم القيامة (الساعة)

سُمِّي يوم القيامة بالساعة؛ لأن أحداث هذا اليوم تقع في وقت قصيركمرور ساعة،

ولهذا اليوم علامات؛

منها ما يسمى علامات الساعة الصغرى؛

ومنها ما يسمى علامات الساعة الكبرى؛

والحكمة من إخفاء ميعاد هذا اليوم؛ أو تحديد وقت هذه الساعة؛

ذلك من أجل الاستعداد الدائم والعمل الجيد،

ويبقى حذرا في جميع الأوقات والأحوال؛

فلا ينزلق ويتّبع هواه؛ ويَضِلّ.

أكّد القرآن على وقوع اليوم الآخر

يُعَدّ الإيمان باليوم الآخر أصلاً من أصول الإيمان؛ وهو آخر يوم من أيام الدنيا؛ وقد أكّد القرآن على وقوع أحداث وأهوال فيه؛ في مواضع كثيرة بسياقات متعدّدة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥]،

إلّا أنّ الله لم يُطلِع أحداً على وقتها، لا نبيّاً مُرسَلاً، ولا مَلَكاً مُقرَّباً؛ فهي من الأمور الغيبيّة الخمسة التي تُعَدّ من مكنونات علم الله؛ إذْ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤].

وحكمة الله عظيمة في إخفاء وقت الساعة؛

حيث إنّ النفس البشريّة مجبولة على الترقُّب المُستَمرّ لكلّ ما هو مجهول،

خاصّة إذا كان هذا المجهول أمراً عظيماً واقعاً لا محالة،

فتبقى حذرة مُستعِدّة، فتَصلُح وتستقيم،

أمّا من فسدت فطرته

فإنّه يغفل عن هذه الحقيقة، فيتّبع هواه ويَضِلّ.

القيامة قريبة بتقدير الله لا بمقاييس البشر

وعلى الرغم من أنّ الله قد أخفى وقت الساعة، إلّا أنّه أنذر في كتابه العزيز باقتراب وقتها، إذ قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر:١].

فهي قريبة بتقدير الله لا بمقاييس البشر، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦].

وقال للرد على هؤلاء المشككين: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

أخفى الله وقت الساعة عن جميع خلقه،

فلا يعلم وقتها إلا هو سبحانه؛

وفي ذلك حكمة ؛

بأن يُصلح المرء نفسه ويستقيم في جميع الأوقات والأحوال؛

لأنّ الساعة آتية لا محالة.

علامات الساعة كما وردت في القرآن والسنة

ثبت بكتاب الله والسنة النبوية الصحيحة الصريحة؛ أن هناك علامات وأشراطا تسبق قيام الساعة،

منها ما ظهر وانقضى،

ومنها ما ظهر وما يزال يظهر،

ومنها ما لم يظهر بعدُ؛ وننتظر أن يظهر؛

كعلامات الساعة الكبرى،

منها نزول عيسى ابن مريم،

وخروج المسيح الدجال،

وطلوع الشمس من مغربها.

هل هذه حقيقة؟

أخبر النبيّ ﷺ؛ بما سيكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا، حتى بلغت التواتر المعنوي، فمنها: ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبيّ ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمَه من عَلِمَه، وجَهِلَه من جَهِلَه. صحيح البخاري.

وروى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الصُّبحَ؛ ثمَّ صعِد المِنبَرَ فخطَب حتَّى حضَرتِ الظُّهرَ، ثمَّ نزَل فصلَّى؛ ثمَّ صعِد المِنبَرَ فخطَبَنا حتَّى حضَرتِ العصرُ، ثمَّ نزَل فصلَّى؛ ثمَّ صعِد المِنبَرَ فخطَبَنا حتَّى غابتِ الشَّمسُ، فحدَّثنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأَعْلَمُنا أَحْفَظُنا. صحيح مسلم.

إن يوم القيامة حقيقة؛

آتٍ لا محالة،

وإن كذَّب به الملحدون،

واستهزأ به المستهزئون.

حال هؤلاء كحال بعض الحمقى أمثالهم ممن أنكر قانون الجاذبية الأرضية، فألقى بنفسه من سطح عمارة من الطابق العاشر.

النبيّ ﷺ أخبر بكل ما هو كائن

هذه أدلة صحيحة على أن النبيّ ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة، فيما يخص هذا الكون وما سيأتيه من أهوال وعجائب. ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جدا، وقد رويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم.

تدل الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على قرب الساعة ودنوّها، فإن ظهور أكثر أشراط الساعة دليل على قربها، وتدلّ على أننا في آخر أيام الدنيا في مقياس الله لا على مقاييسنا: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

متى سيقع يوم القيامة؟

غيبٌ لا يعلمه إلا الله، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فإن علم الساعة مما استأثر الله به.

فلم يُطلع عليه ملكا مقرَّبا ولا نبيّا ولا رسولا.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فالله تعالى أمر نبيه محمدا ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده، فهو الذي يعلم أسرارها وجلية أمرها.

لا يعلم ذلك أحد من أهل السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؛ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ؛ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ؛ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ؛ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦].

فمُنتهى علم الساعة إلى الله وحده.

ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ عن وقت الساعة؛ كما في جاء حديث جبريل الطويل؛ قال النبيّ ﷺ: «**ما المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» صحيح البخاري.

فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك محمد ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهذِه مِن هذِه، أوْ: كَهاتَيْنِ؛ وقَرَنَ بيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى**» صحيح البخاري.

هذا القرب في الزمن بين السبابة والوسطى الذي أعلن عنه الرسول ﷺ؛ قد يظن بعض السخفاء أنه ربما يكون شهرا أو سنة في مقاييسنا البشرية، وقد مضى كثير من الوقت ولم يتحقق شيء من هذا! وهو لا يعلم بأن هذا الزمن في مقاييس الله تعالى مختلف جدا: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

قرب قيام الساعة

تدل الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب القيامة، فإن ظهور أكثر أشراطها دليل على قربها، وعلى أننا في آخر أيام الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال جل وعزّ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على قرب نهاية هذا العالم،

والانتقال إلى ما بعد الموت،

إنها دار الأخرة؛ ينال فيها كل عامل عمله،

إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

أهميّة قيام الساعة فى السلوك الإنساني

معنى الإيمان بقيام الساعة واليوم الآخر أو يوم الحساب، هو نهاية العالم؛ وانتهاء بقاء الحياة لجميع الكائنات على الأرض؛ وانتقالها إلى حياة أخرى مختلفة تكون بعد الموت؛ حين يُبعث ويقوم البشر من موتهم؛ ويُنشرون من قبورهم؛ ثم يُعرضون للحساب على أعمالهم؛ إن كانت خيرا في خدمة الكون والإنسان، أو يحاسبهم على جرائمهم إن كانت في تدمير عناصر الحياة الإنسانية.

والاعتقاد بوجود القيامة بعد الموت مع بعض الاختلافات؛ يشترك به الإسلام مع الديانات الإبراهيمية الأخرى؛ مثل اليهودية والمسيحية، وهو موعد الحكم بين العباد؛ والحساب الأخير للبشر عند الله، إن كان خيرا فإنه يجازيه بالجنة التي جاءت أوصافها في القرآن، وإن كان شرا فإنه يجازيه بالعذاب بالنار وقد جاءت أوصافها.

والعقل البشري ذو الفطرة السليمة؛ لا يقبل أن يتساوى الصالح والطالح، والمستقيم والمنحرف، والطائع والمجرم، يظلم هذا ويبغي ذاك؛ ثم يتساوى الجميع أمام الأمر الواقع؛ فلا يكون هناك قصاص إلهي من المجرم للضحيّة. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦].

وكثير من الجرائم لا تراها عيونُ الناس ولا تضبطها قوانين العدالة، فإذا فات الناس أن يُحاسبوا على هذه الجرائم؛ فإن العقل ينفي أن يفلت المُجرم من العقاب، ما دام قد

أفلت من أيدي الناس؛ أو محاسبة القانون؛ فليس من العدْل في شيء أن يُفلت من يد أحكم الحاكمين.

كم من القادة في العالم؛ عسكريين وسياسيين؛ ظلموا وقتلوا؛ عاشوا جبابرة؛ وقد أفلتوا من محاسبة القانون؛ ولا يدري بهم أحد؟

كم تاجر مخدرات جمع ملايين الدولارات والعملات الصعبة، وقد أضاع أجيالا من الشباب، أفلت من محاسبة القانون؛ عاش ومات ولا يدري به أحد؟

كم من الخونة ممن باعوا أوطانهم وقهروا شعوبهم، وأضاعوا بلادهم؛ عاشوا فيها أسيادا ونهبوا ثرواتها وخيراتها؛ وأضاعوا مصيرها؛ أفلتوا من العقاب ولا يدري بهم أحد؟

وكم وكم؟ بل لا بد من يوم تُصحَّح فيه الأوضاع وتُغَرْبَلُ فيه الأعمال ليعتدل ميزان الكون: ﴿فَمَنْ يَعملْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيرًا يَرَهُ ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] .

ولابد أيضا من يوم يُقتصّ فيه من الظالم، ولا يستوي أبدا مستقيم مع منحرف، وإن أفلت مجرم بجريمته من العقاب في الدنيا فلن يفلت في الآخرة. ولذلك وُصفت الدنيا بأنها دار عمل، والآخرة دار حساب.

ولهذا كله ذكر القرآن: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم؛ لوجدناه يحدثنا عن يوم القيامة بأساليبَ مختلفةٍ؛ ليستقر في صدورنا الاعتقاد بهذا اليوم الآخر؛ الذي تتقرر به العدالة الإنسانية في أعمال البشر؛ في حين أن بعض الحمقى من البشر ظنّوا النجاة من جرائمهم إذا أنكروا هذا الأمر: ﴿زَعَمَ الذينَ كَفروا أَنْ لنْ يُبعثوا قُلْ بلَى وربِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وذلكَ علَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

حال هؤلاء كحال بعض الحمقى أمثالهم ممن أنكر قانون الجاذبية الأرضية، فألقى بنفسه من سطح عمارة من الطابق العاشر.

إن يوم القيامة آتٍ لا محالة،

وإن كذَّب به الملحدون، واستهزأ به المستهزئون،

إن الحياة الدنيا بما يجري فيها لتَقُولُ للعقلاء: إن هناك يومًا قادما للفصل بما جرى بين الناس.

فالقوي قد يسطو على الضعيف ويطغى عليه، فيموت هؤلاء وقد لا يحصل لصاحب الحق استيفاء حقه، ولا للمظلوم ممَّن ظلمه، هنا لا بدَّ من جلسة محاكمة تُردُّ فيها المظالم، هذا سيكون حقا وواقعا بين يدي الله.

علامات الساعة الصغرى

تحدث العلماء عن علامات الساعة الصغرى، منها ما تحقق وانقضى؛ ومنها ما ننتظر أن يتحقق؛ وسنبحث في كل واحدة منها بإيجاز. وهذه أهمها مما ثبت بالأدلة:

١- بعثة النبيّ ﷺ.

٢- موت النبيّ ﷺ.

٣- فتح بيت المقدس.

٤- طاعون عمواس.

٥- استفاضة المال، والاستغناء عن الصدقة.

٦- ظهور الفتن.

٧- اتباع سنن الأمم الماضية.

٨- ظهور مدَّعي النّبوّة.

٩- ظهور نار الحجاز.

١٠- انتشار الأمن.

١١- قتال الترك.

١٢- قتال العجم.

١٣- ضياع الأمانة.

١٤- قبض العلم، وظهور الجهل.

١٥- كثرة الشُرَط وأعوان الظلمة.

١٦- انتشار الزنا.

١٧- انتشار الربا.

١٨- ظهور المعازف واستحلالها.

١٩- كثرة شرب الخمر واستحلالها.

٢٠- زخرفة المساجد والتباهي بها.

٢١- التطاول في البنيان.

٢٢- أن تلد الأَمَة ربتها.

٢٣- كثرة القتل.

٢٤- تقارب الزمان.

٢٥- تقارب الأسواق.

٢٦- ظهور الشرك في هذه الأمة.

٢٧- ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار.

٢٨- تشبُّب المشيخة؛ أي ادعاء الشيخ بأنه شابّ.

٢٩- كثرة الشحّ.

٣٠- كثرة التجارة.

٣١- كثرة الزلازل.

٣٢- ظهور الخسف والمسخ والقذف.

٣٣- ذهاب الصالحين.

٣٤- ارتفاع الأسافل من الناس.

٣٥- التحية للمعرفة: أي لا يرمي المرء السلام إلا على من يعرفه.

٣٦- التماس العلم عند الأصاغر.

٣٧- ظهور الكاسيات العاريات.

٣٨- صدق رؤيا المؤمن.

٣٩- كثرة الكتابة وانتشارها.

٤٠- التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام.

٤١- انتفاخ الأهلّة.

٤٢- كثرة الكذب، وعدم التثبت في نقل الأخبار.

٤٣- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق.

٤٤- كثرة النساء وقلة الرجال.

٤٥- كثرة موت الفجأة.

٤٦- وقوع التناكر بين الناس.

٤٧- عودة أرض العرب مروجا وأنهارا.

٤٨- كثرة المطر، وقلة النبات.

٤٩- حسر الفرات عن جبل من ذهب.

٥٠- كلام السباع والجمادات للإنسان.

٥١- تمني الموت من شدة البلاء.

٥٢- كثرة الروم، وقتالهم المسلمين.

٥٣- فتح قسطنطينية (اسطنبول) بدون قتال.

٥٤- قتال اليهود.

٥٥- نفي المدينة شرارها، ثم خرابها في آخر الزمان.

٥٦- بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين.

٥٧- استحلال البيت الحرام، وهدم الكعبة.

٥٨- الملحمة الكبرى.

وسنبحث في كل واحدة منها بإيجاز أو تفصيل. وهذه أهمها مما ثبت بالأدلة:

بعثة النبيّ محمد ﷺ من علامات الساعة

إنّ من أشراط الساعة الصغرى الثابتة؛ بعثة النبيّ ﷺ. وقد تحققت بعد مرور ٦١٠ عاما بعد مولد المسيح عليه السلام.

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: **«بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**. وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ»**. أَوْ: **«كَهَاتَيْنِ»**، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وفي رواية: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا»** صحيح البخاري.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»** يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ.

وفي رواية جابر بن عبد الله: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى. صحيح مسلم.

وفي رواية؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ، سَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»**، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. سنن الترمذي، حديث صحيح.

وفي مسند أحمد، عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النبيّ ﷺ يَقُولُ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»** صحيح لغيره.

ومن الروايات الصحيحة التي تدل دلالة صريحة على أن مبعثه ﷺ من أشراط الساعة الصغرى؛ أن النبيّ ﷺ كان يُسمَّى في التوراة «محمداً» وفي الإنجيل «أحمد».

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «إذا أراد الله أمراً عظيماً قدّم له مقدمات» فبعثة النبيّ ﷺ عظيمة؛ وحادثة الفيل مقدمة لها كانت في عام مولده.

موت النبيّ محمد ﷺ

عن عوف بن مالك قال: أَتَيْتُ النبيّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ فَقَالَ: **«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ... مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»** صحيح البخاري.

في هذا الحديث: دلالة بأن موت الرسول ﷺ من علامات قيام الساعة.

وقد تحقق موته ﷺ في المدينة المنورة عام ١١هـ، أي بعد مرور ٦٣٢ عاما؛ بعد مولد المسيح عليه السلام.

يوصف الجمال والكمال البشري للنبيّ محمد ﷺ؛ ولذا كتب الله عليه النقص؛ فشُجَّ رأسه؛ وكُسرت أسنانه؛ وقُبضت روحه وهو خير البشر؛ وعزَّاه ربنا بقوله: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾** [الزُّمر:٣٠].

فتح بيت المقدس

روى البخاري وابن ماجه وأحمد عن عوف بن مالك قال: أَتَيْتُ النبيّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ فَقَالَ: **«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ... مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»** صحيح البخاري.

وقد تحقق فتح بيت بيت المقدس عام ١٦ هـ/ ٦٣٦ م. تمَّ في عَهدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه. أي بعد موته ﷺ بخمس سنوات.

أما إن قال قائل: وقد مرت نحو ١٤٠٠ سنة بعد فتح بيت المقدس وموت الرسول ﷺ ولم تقم الساعة!؟ فالجواب كما قال الله تعالى لهؤلاء: **﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** [الحج:٤٧].

عَلاماتِ السَّاعةِ في آخِرِ الزَّمان

أَخْبرَ النبيّ ﷺ بكثيرٍ من عَلاماتِ السَّاعةِ في آخِرِ الزَّمانِ؛ حِرْصًا على أُمَّتِه وحثًّا لها على إتِّباعِ الحقِّ وأهلِهِ. عن معاذ بن جبل قال؛ عن رسول الله ﷺ قال: «**عُمْرانُ بيتِ المقدسِ خرابُ يَثْرِبَ، وخرابُ يَثْرِبَ خروجُ المَلحَمَةِ، وخُروجُ المَلْحَمةِ فَتْحُ القُسْطَنْطينيَّةِ، وفَتْحُ القُسْطَنْطينيَّةِ خروجُ الدَّجَّالِ**»، ثمَّ ضرَب بيدِه على فخِذِ الَّذي حدَّثه أو مَنْكِبَيْهِ، ثمَّ قال: «**إنَّ هذا الحقُّ كما أنَّكَ ها هنا**» صحيح أبي داود. إسناده صحيح.

في هذا الحَديثِ يقولُ النبيّ ﷺ: «**عُمْرانُ بيْتِ المقْدِسِ**». أي: أنْ يُعمَّرَ بيْتُ المقدِسِ؛ بكثْرَةِ النَّاسِ فيهِ، وانتِعاشِ التَّجارَةِ والمالِ، «**خَرابُ يثْرِبَ**». أي: المدينةَ دارَ الهِجْرةِ؛ والمعنى أنَّ عُمْرانَ بيْتِ المقدِسِ علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتظَرُ بعْدها خرابُ المدينَةِ النَّبويَّةِ، وقيل: يتسبَّبُ في خرابِ المدينَةِ، أو أنَّ ذلك وقْتُ خَرابِ المدينَةِ.

«**وخَرابُ يثْرِبَ خُروجُ المَلْحَمَةِ**»، أي: إنَّ خُروجَ المَلْحَمَةِ علامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظرُ بَعدَ خَرَاب يَثْرب، وقيل: إنَّ وقْتَ خَرابِها أو بسبَبِ خرابِها يكونُ خُروجُ المَلْحَمَةِ، وهي الحربُ العَظيمةُ بالشَّامِ بين المسلِمين والرَّومِ، وقيل بالشَّامِ: بين المسلِمين والتَّتارِ.

«**وخُروجُ المَلْحمَةِ**»، أي: علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتَظَرُ بَعدها «**فتْحُ القُسطنطينِيَّةِ**» مرة ثانية بدون قتال، وقيل: إنَّ فتحَ القُسطنطينِيَّةِ يكونُ وقْتَ خُروجِ المَلْحمَةِ أو بسبَبِها،

والقُسطنطينِيَّةُ مَدينةٌ (اسطنبول التركية) جانِبٌ منها في آسيا وجانِبٌ في أوربَّا، ويَفْصِلُ البحْرُ بين الجانبين؛ وكانت قديما عاصمة الإمبراطورية الرومية؛ فتحها السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م. والمعنى أنَّ فتْحَها مِن قِبَلِ المسلِمين مرَّة ثَانية عَلامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظَرُ بَعدَها:

«خُروجُ الدَّجَّالِ»، والدجَّالُ هو الأعْوَرُ الكذَّابُ مُدَّعي الألوهِيَّةِ.

«ثمَّ ضرَبَ بيَدِه»، أي: ضرَبَ النبيّ ﷺ بيَدِه **«على فَخِذِ الَّذي حدَّثَه»**، أي: مُعاذٌ؛ ثمَّ قال: **«إنَّ هذا»**، أي: ما حدَّثتُ بهِ ممَّا سيَحدُثُ في المستقبَلِ، **«لحَقٌّ»**، أي: كائنٌ لا مَحالَةَ، ثمَّ أوْضَحَ النبيّ ﷺ مِثالَ وقوعِهِ، فقال: **«كما أنَّك ها هنا»**، أي كما أنَّك قاعِدٌ هنا؛ يعني: معاذَ بنَ جبَلٍ، أي: هذا الكلامُ حَقٌّ واقِعٌ كما أنَّك أمامي.

وفي الحَديثِ: مُعجِزةٌ ظاهِرةٌ للنَّبيِّ ﷺ بإخْبارِه بأشياءَ ستقَعُ؛ وقد وقع بعضها بكل تفاصيله؛ منها وقع بعد مرور سنوات قليلة، ومنها وقع بعد مرور مئات السنين.

وفيهِ: بيان النبيّ ﷺ لبعْضِ عَلاماتِ السَّاعَةِ الَّتي ستَعْقُبُ بعْضُها بعْضًا.

طاعون عمواس

وقع سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م. قال ابنُ تيميَّةَ: آياتُه ﷺ قَدِ استَوعَبَت جَميعَ أنواعِ الآياتِ الخَبَرِيَّةِ والفِعليَّةِ.

وإخبارُه عَنِ الغَيبِ الماضي والحاضِرِ والمُستَقبَلِ بأمورٍ باهرةٍ، لا يوجَدُ مِثلُها لِأحَدٍ مِنَ النبيّينَ قَبلَه، فضلًا عَن غَيرِ النبيّينَ.

ورَوى البُخاريِّ عَن عَوفِ بن مالِكٍ قال: أتَيتُ النبيّ ﷺ في غَزوةِ تَبوكَ، وهو في قُبَّةٍ مِن أدَمٍ، فقال: «**اعدُدْ سِتًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ: موتي، ثُمَّ فتحُ بَيتِ المَقدِسِ، ثُمَّ مَوتانٌ يأخُذُ فيكُم كَقُعاصِ الغَنَمِ...**» صحيح البخاري.

ففُتِحَ بَيتُ المَقدِسِ كانَ تحقَّقَ بَعدَ موتِه ﷺ في خِلافةِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ، ثُمَّ بَعدَ ذلك وقَعَ الطَّاعونُ العَظيمُ بالشَّامِ، طاعونُ عَمْواس في خِلافةِ عُمرَ أيضًا، ومات فيه مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وأبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ، وخَلقٌ كَثيرٌ، وكانَ ذلك أوَّلَ طاعونٍ وقَعَ في الإسلامِ، فكانَ ما أخبَرَ به؛ حَيثُ أخذَهم طاعونٌ كَقُعاصِ الغنَمِ.

قوله: «**قُعاصُ الغَنَمِ**»: داءٌ يُصيبُ الغَنَمَ، فيَسيلُ مِن أُنوفِها شَيءٌ، فتَموتُ فَجأةً، وقد حَدَثَ هذا في طاعونِ عَمَواسَ، حيثُ ماتَ منه سَبعونَ ألْفًا في ثَلاثةِ أيَّامٍ.

قال ابنُ كَثيرٍ: دَخَلَتْ سَنَةُ ثَماني عَشرة. المَشهورُ الَّذي عليه الجُمهورُ أنَّ طاعونَ عَمْواس كانَ بها، هَذا الطَّاعونُ مَنسوبٌ إِلَى بُلدةٍ صَغيرةٍ يُقالُ لَهَا: عَمْواس. وهيَ بينَ القُدسِ والرَّملةِ؛ لِأنَّها كانَ أوَّلُ ما نَجمُ هَذا الدَّاءَ بها، ثُمَّ انتَشَرَ في الشَّامِ مِنها، فنُسِبَ إلَيها.

وفي رواية قال الواقِديُّ: تُوفِّي في عامِ طاعونِ عَمواس مِنَ المُسلِمينَ بالشَّامِ خَمسةٌ وعِشرونَ ألفًا، وقال غَيرُه: ثَلاثونَ ألفًا.

فطاعون عَمْواس هو طاعون وقع في ولاية بلاد الشام الإسلامية التابعة للخلافة الراشدة في أيام خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م بعد فتح بيت المقدس، وسُميت هذه السنة بعام الرمادة لما حدث بها من المجاعة في المدينة المنورة أيضًا. وهو أول وباء يظهر في أراضي الدولة الإسلامية.

بدأ الطاعون في عمواس قرب بيت المقدس، ثم انتشر في بلاد الشام. وكان عمر بن الخطاب يهمّ بدخول الشام وقتها، فنصحه عبد الرحمن بن عوف بالحديث النبوي: **«إذا سَمِعْتُمْ بالطَّاعُونِ بأَرْضٍ فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا مِنْها»**. فرارًا منه. صحيح البخاري.

فعاد عمر وأصحابه إلى المدينة المنورة. واعتذر أبو عُبيدة ليبقى مع الجند، فبكى عمر.

ويبدو أن الطاعون انتشر بصورة مريعة،

عقب المعارك التي حدثت في بلاد الشام،

فرغم أن المسلمين كانوا يدفنون قتلاهم،

فإن عشرات آلاف القتلى من الروم؛

بقيت جثثهم في ميادين القتال من غير أن تُدفن،

حيث لم تجد جيوشهم المنهزمة دائمًا الوقت الكافي لدفن القتلى.

واستمر هذا الطاعون شهرًا.

استفاضة المال

أخبر به النبيّ ﷺ: يأتي في آخر الزمان وقت يفيض فيه المال ويكثر حتى لا يقبله أحد، وقد وقع؛ حتى إن الرجل ليذهب بصدقته من الذهب أو الفضة لا يجد من يقبلها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي»** متفق عليه.

قوله: **«لاَ أَرَبَ لِي»**. أي: لا حاجة لي به.

أخبر النبيّ ﷺ أن من علامات الساعة أن يكثر المال ويزداد، حتى إن صاحب المال لا يجد من يقبل منه صدقته وماله، فيحزُنه ويبعث الهمّ والغمّ عنده؛ بسبب مالِه الذي لا يجد من يقبله منه، فيعرضه بين الناس ويقول الذي يُعرض عليه المال: لا حاجة لي به.

هذا الحديث إشارة إلى ما وقع فعلا في زمن الصحابة من الفتوح؛ واقتسامهم أموال الفرس والروم. وإشارة أيضا إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز من الغنى والرخاء؛ أن الرجل كان لا يجد من يدفع له الزكاة.

ظهور الفتن

أخبر بها الرسول ﷺ ووقعت كما أخبر؛ كظهورها في مقتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ، وموقعة الجمل وموقعة صفّين سنة ٣٧هـ ؛ وظهور الخوارج، وموقعة الحَرَّة، وإتباع سنن الأمم الماضية. وقد بيّن النبيّ ﷺ أن ظهور الفتن وكثرتها من أشراط الساعة.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ** (وهو القَتْلُ) **حتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»** صحيح البخاري.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **«إنَّ بَينَ يَديْ السَّاعةِ فِتَنًا كقطعِ الليلِ المظلمِ؛ يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا؛ ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا؛ القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ؛ والماشي فيها خيرٌ من الساعي؛ فكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ؛ وقطِّعُوا أوتارَكم؛ واضربوا سيوفكم بالحجارةِ؛ فإن دخلَ بَغِيٌّ على أَحَدٍ منكم فليكنْ كخيرِ ابنَيْ آدمَ»** إسناده صحيح على شرط البخاري

قوله: **«فكَسِّروا قِسِيَّكُم وقَطِّعوا أَوْتارَكُم»**. أي: اكْسِروا آلاتِ الحَربِ وأدواتها؛ مثلَ أقْواسِ السِّهامِ، واقْطَعوا أوْتارَها التي تُطلِقُ السِّهامَ.

وقوله: «**واضْرِبوا بِسُيوفِكم الحِجارَةَ**». أي: لِيكْسِر بذلك حِدَّتَه؛ لِيسُدَّ الإنسانُ على نَفسِه بابَ القِتالِ والفِتنِ، وحتَّى لا تُغريَه أدَواتُ الحَربِ على الدُّخولِ فيه.

وقوله: «**فإنْ دُخِلَ على أحَدِكُم**». أي: إنْ دخَلَ على أحدِكم أحدٌ في مكانِ وجودِه يُريدُ قَتْلَه «**فَلْيَكُن كَخَيرِ ابْنَي آدَمَ**». أي: فلْيَكُنْ مِثلَ هابيل عندما أرادَ أخوه قَتْلَه، فلم يُحاربه حتى كان هو المَقتولَ.

فهذا وصف لزمان تكثر فيه الفتن، وينتشر الفساد بين العباد، وتسوء الأخلاق، ويكثر الشقاق، ويعم البلاء والعناء.

وفي هذا الزمان الذي نعيشه اليوم؛ تكثر فيه الشهوات، وتتكالب على الإنسان الشبهات التي تزعزع كيان المجتمع، وتجعله لا يثبت على الإيمان، وربما يبيع المسلم دينه بعرضٍ من الدنيا، كما أخبر بذلك النبيّ ﷺ.

إتباع سُنن الأمم الماضية

هي علامةٌ من علامات الساعة الصغرى التي أخبر بها النبيّ محمد ﷺ؛ حيث يتشبّه المسلمون باليهود والنصارى وغيرهم ممن ليسوا مسلمين؛ وذلك عند اشتداد الفتن في أخر الزمان؛ فيزداد تقليد المسلمين لهم لقلة العلم وانتشار الجهل وعدم الأمر المعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، أنَّ النبيّ ﷺ قال: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم شِبْرًا بشبْر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»**. قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى؟ قال النبيّ ﷺ: **«فَمَن؟!»** متفق عليه.

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: **«لتتَّبعنَّ سَننَ من كانَ قبلَكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخلتُموه»**. قالوا: اليَهودُ والنَّصارى؟ قالَ: **«فمَن»** مجموع الفتاوى لابن تيمية، حكم المحدث: صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَأْخُذَ أُمَّتي بأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَها، شِبْرًا بشِبْرٍ وذِراعًا بذِراعٍ»**، فقِيلَ: يا رَسولَ اللهِّ، كَفارِسَ والرُّومِ؟ فقالَ: **«ومَنِ النَّاسُ إلَّا أُولَئِكَ»** صحيح البخاري.

هذه الأحاديث التي أخبر بها النبيّ ﷺ باختلاف ألفاظها؛ هي علامة من علامات نبوته، ودلالة من دلالات صدق رسالته؛ فقد أخبر بغيبٍ سيكون بعده، فكان على وفق ما قال، فعُلِم أنه مما أوحى الله إليه به؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

كما أخبر ﷺ أنّ أمة الإسلام ستأخذ بمأخذ القرون والأمم قبلها، وتسير على سيرهم، وأنها سوف تقلدهم في عاداتهم وتقاليدهم؛ ومناهجهم؛ وفي كل ما يعملون، سواء كان ذلك في أمر دنياهم وطرائق معايشهم، وسياسات دولهم، أو حتى في ملابسهم وأساليب حياتهم، وفي أمر دينهم وبدعهم، وحتى في كفرهم؛ والسير على ما استحدثوه من قوانين واخترعوه من أفكار.

وقوله ﷺ: «**شِبْرًا بِشِبْرٍ وذِراعًا بذِراعٍ**» يدلّ على أن هذا التشبه والإتِّباع يكون في الأمور كلها؛ صغيرها وكبيرها، وجليلها وحقيرها.

وقوله: «**حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ**» أي أن المشابهة ستكون كاملة حتى تقترب من المطابقة، كمشابهة ريشة السهم بأختها، حتى لو كان منهم من يأتي يجامع أُمَّه علانية لكان من هذه الأُمة من يفعل ذلك.

وقوله: «**حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**». ضرب النبيّ ﷺ المثل بجُحر الضبّ لشدة ضِيقه ورداءته، ونتن ريحه وخباثته، وفيه دليل على تمام الإتباع وكماله، وشدة موافقتهم وتقليدهم، حتى لو كان من وراء هذا التقليد السوءُ والشرُّ، والوقوع في الحرج والضرّ، والضيق والعنت، والمخالفة والمعاصي، وحتى لو كان من ورائه سوءُ النتائج، ووخيم العواقب، وفسادُ الأُسر والمجتمعات، وضياع الدين والمبادي والأخلاق.

وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ كما أخبر تماما، وقد بدأت محاذير هذا الأمر في عهده؛ عندما مرَّ المسلمون على المشركين ورأوهم يعلقون سيوفهم على شجرة اسمها (ذات أنواط) يقدّسونها ويلتمسون بركتها، فقالوا له: اجعل لنا ذات أنواط!

روى أحمد والترمذي عن أبي واقد الليثي: أنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا خرَجَ إلى حُنين، مَرَّ بشجرةٍ للمشركينَ يُقالُ لها: ذاتُ أَنْواطٍ، يُعلِّقونَ عليها أسلحتَهم، فقالوا: يا رسولَ اللهِ: اجعَلْ لنا ذاتَ أَنْواطٍ كما لهم ذاتُ أَنْواطٍ، فقال النبيّ ﷺ: «**سُبحانَ اللهِ! هذا كما قال قَومُ موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]**، والذي نَفْسي بيدِه، لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَن كان قَبلَكم**» صحيح الترمذي، صحيح.

وما زال هذا التشابه يزداد من بعد القرون الأولى وإلى يومنا هذا، حتى كاد أن يبلغ مداه ومنتهاه، فتابعناهم في كل ما فعلوه من أخلاق ذميمة، وبدع محدثة، وعادات

فاسدة، وأفعال سقيمة.

سقطوا في مستنقع الرذيلة فسقطنا،

وفعلوا المعاصي والآثام والشر ففعلنا،

وأكلو الربا فأكلنا،

ونشروا الزنا والقبائح؛ وما تستره غرف النوم؛ فصوّرنا مثلهم ونشرنا،

حتى ما يكون بين الرجل وأهله!

ودعوا إلى كل ما يخالف الفطر السوية والشرائع الربانية؛ فما أنكرنا فعلهم،

بل صار أناس منا من يدافع عنهم وعن قذاراتهم.

اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم معابد،

فكان من هذه الأمة من تعظِّم القبور والمشاهد،

ودَعوا إلى الاختلاط والتبرج والتعري؛

فاختلطت كثير من نساء المسلمين برجالهم وتبرَّجن عاريات.

أقاموا المسارح والسينمات والحفلات الماجنة والراقصة فأقمناها،

حتى أقمنا شواطئ العراة في بلادنا مثلها.

شابهناهم في كل شيء؛ حتى في حلق الرؤوس بأشكال بغيضة،

ووشوم الأجساد والأيدي والأرجل،

ولبس الحلق والأساور والسلاسل والبناطيل الممزقة،

والموضات الفاضحة والمضحكة.

حتى الإسلام لما حاربوه تحت مسمّى العلمانية؛ قام عندنا من يقول: (لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة)، وترك تعاليم الإسلام خصوصا أحكام الميراث.

والعجيب أنهم اخترعوا أعيادا تتعلق بمعتقداتهم وأديانهم؛ فاحتفلنا بها معهم؛ حتى أيام أجازاتهم قلدناهم وكنا معهم.

إن هذا التشبّه الذي أخبر عنه النبيّ ﷺ أنه كائن؛ قد نهى عنه وحذر منه، كقوله لأتباعه: «**مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فهو مِنهُم**» صحيح أبي داود حسن صحيح.

وإنما شدد النبيّ ﷺ في مخالفتهم وعدم مشابهتهم؛ لأنّ في هذا التشبه ذهابَ الهويةِ الإسلامية؛ وذوبانَ الأمة في أخلاق وعادات وأفعال غيرها، وخروجًا بها عن شريعتها وطريقتها وسنن حياتها؛ إلى شريعة غيرها وطريقتهم وسنن حياتهم، وهذا يُنذِر بضياع الأمة وهلاكها.

وللردّ على هذا التقليد الخطير؛ فعلى الأمة أن تصحو من غفلتها؛ وأن تعتزَّ بدينها، وتهتم بثقافتها، وتفتخر بإسلامها، وتلتزم نهج وسنة وسيرة نبيّها، استجابة لأمر ربها: **﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**. [الأحزاب:٢١].

ظهور مدّعي النبوّة

ومن العلّامات الّتي ظهرت: خروج الكذَّابين الذين يدَّعون النبوَّة، وهم قريبٌ من ثلاثين كذَّابًا، وقد خرج بعضُهم في الزمن النبويَّ وفي عهد الصّحابة، ولا يزالون يظهرون حتى اليوم.

وليس التحديد في الأحاديث مرادًا به كلّ من ادَّعى النبوَّة مطلقًا؛ فإنهم كثيرٌ لا يُحْصَوْنَ، وإنّما المراد مَنْ قام له نفوذ وسيطرة في بلده، وكَثُر أتباعه، واشتُهِرَ بين النَّاس.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذّابُونَ، قَرِيبًا مِن ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أنَّه رَسولُ اللَّهِ»** صحيح البخاري ومسلم.

وقد وقع ذلك زمن الخليفة أبي بكر؛ كما أخبر به النبيّ ﷺ، خرَجَ منهم عَددٌ، كالأَسْوَدِ العَنْسيِّ، ومُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ، والمُخْتارِ الثَّقَفيِّ، وغيرِهم. وما زال خروج هؤلاء مستمرا. وفي الحَديثِ: دَليلٌ مِن دَلائلِ نُبوَّتِه ﷺ.

ظهور نار الحجاز

عَن أبي هُرَيرةَ ﵁ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: **«لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَخرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحِجازِ، تُضيءُ أعناقَ الإبِلِ ببُصْرَى»** أخرجه البخاري ومسلم.

بُصْرَى: اسم بلدة؛ قيل هي مدينةُ حورانَ بالشَّامِ.

وهذا علامةٌ من علامات الساعة الصغرى التي حدثت عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م؛ وقد أخبر بها نبيّ الإسلام محمد؛ وقد تحقّقت هذه النبوءة بعد مرور مئات الأعوام؛ حيث اندلعت النار وتدفقت الحمم البركانية من (حرّة رهط) وموقعها في جنوب المدينة المنورة؛ وقد ثارت نيران هذا البركان لمدة تقارب ٣ أشهر.

قال النَّوويُّ في زَمَانه: هيَ آيةٌ مِن أشراطِ السَّاعةِ، وقَد خَرَجَت في زَمانِنا نارٌ بالمَدينةِ سَنَةَ أربَعٍ وخَمسينَ وسِتِّمِائةٍ، وكانَت نارًا عَظيمةً جِدًّا مِن جَانبِ المَدينةِ الشَّرقيِّ وراءَ الحَرَّةِ، تَواتَرَ العِلمُ بها عِندَ جَميعِ أَهلِ الشَّامِ وسائِرِ البُلدانِ، وأَخْبَرَني مَن حَضَرَها مِن أهلِ المَدينةِ.

وذِكَرَ القُرطُبيُّ ظُهورَ هَذِه النَّارِ؛ وأَفاضَ في وصفِها، وذَكَرَ أنَّها رُئِيَتْ مِن مَكةَ. (على مسافة نحو ٥٠٠ كيلوا مترا).

قال ابنُ تيميَّةَ: هَذِه النَّارُ قَد تَواتَرَ عَن أهلِ بُصرَى (في الشام)؛ أَنَّهم رأوا ببُصرَى أعناقَ الإبلِ مِن ضَوءِ تِلكَ النَّارِ، وخَبَرُ هَذِه النَّارِ مَشهورٌ مُتَواتِرٌ بَعدَ أن خَرَجَت بجِبالِ الحِجَازِ، وكانَت تُحرِقُ الحَجَرَ، وفَزِعَ لَها النَّاسُ فَزَعًا شَديدًا.

وقال ابنُ كَثيرٍ في باب دَلائِلِ النُّبوَّةِ: حَديثٌ فيه الإخبارُ عَن ظُهورِ النَّارِ الَّتي كانَت بأرضِ الحِجازِ، حَتَّى أضاءَت لَها أعناقُ الإبلِ ببُصرَى، وقَد وقَعَ هَذا في سَنَةِ أربَعٍ وخَمسينَ وسِتِّمائةٍ.

لقد تنبّأ النبيّ ﷺ عن قيام نشاطٍ بركاني عظيم يحدث بعده، ويكون شرطاً من أشراط الساعة وعلاماتها، ويُعرف في كتب العقائد والسّنن بـ(خروج نار الحجاز).

وبصرى مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران اليوم، تقع في المنطقة الجنوبية من سوريا؛ ويفصل بينها وبين المدينة المنورة مسافات طويلة. نفهم من الأحاديث السابقة أن النبيّ ﷺ أخبر بأن الأرض سوف تنشقّ وتخرج منها الحمم البركانية الملتهبة، وأنها ستخرج على نحوٍ كثيف؛ إلى درجة أن الناس في الشام سوف يدركون حدوثها، ويرون نيرانها. وقد خرجت كما قال بعد مرور ٦٥٤ عاما.

ذكر المؤرخون: وسال من هذه النار وادٌ (من الحمم البركانية)
مقداره اثني عشر ميلاً،

وعرضه أربعة أميال،

وعمقه قامة ونصف،

وهي تجري على وجه الأرض،

وهو صخر منصهر مثل الرصاص المذاب.

وكما نعرف: فهذا هو الوصف الدقيق للبراكين.

كما ذكروا: اشتدت حركة هذه النار الملتهبة (الحمم البركانيّة)،

وارتفعت الأصوات لخالقها،

ودامت ثلاثة أشهر؛

حتى أيقن أهل المدينة بوقوع الهلاك.

انتشار الأمن في البلاد الإسلامية

عاش المسلمون زمناً في مكة والمدينة، وهم ما بين قتال الأعداء وترقُّب الحروب والمعارك، فأخبر النبيّ ﷺ أنه مع تقدُّم السنين واقتراب السَّاعَة؛ سيكثر الأمن ويعمّ الرخاء. بعد تلك الاضطرابات والغارات القبلية التي عاشتها الجزيرة العربية.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَكْثُرَ المالُ ويَفِيضَ، حتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بزَكاةِ مالِهِ فلا يَجِدُ أحَدًا يَقْبَلُها منه، وحتَّى تَعُودَ أرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وأَنْهارًا»** صحيح مسلم.

وفي رواية زاد: **«وحتَّى يَسيرَ الراكِبُ بينَ العراقِ ومكَّةَ، لا يَخافُ إلَّا ضُلَّالَ الطريقِ»**
إسناده صحيح على شرط مسلم.

قوله: **«وحتى يَسيرَ الرَّاكِبُ»**: وهو المُسافِرُ، أيًّا كانت طَريقةُ سَفَرِه، في سيَّارةٍ أو قطار أو مشيا على الأقدام، **«بيْنَ العِراقِ ومَكَّة»**.

والمُرادُ بذِكرِ البُلدانِ العُمومُ لا الخُصوصُ، فأيُّ مُسافِرٍ يَخرُجُ مِن بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، لا يَخافُ إلَّا الأحداث الطارئة أو قُطَّاعَ الطُّرُقِ؛ إشارةً إلى أنَّ ذلك لا يحدُث في آخر الزَّمان، فَلا يُوجَدُ حُروبٌ أو قِتالٌ بيْن النّاسِ في هَذه البلاد؛ وَقَد تحقّق هَذا في زماننا اليَوم؛ فَلا تَجد هَذه الظَّاهرة في بلاد المسلمين؛ إلا ما ندر.

قتال الترك

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقاتلُوا التُّرْكَ»** صحيح البخاري.

أخبر النبيّ ﷺ بأن قتالا كبيرا سيكون بين المسلمين وبين الترك، ووصف النبيّ ﷺ الترك بأوصاف دقيقة؛ فلم يخرجوا عما قال، ووقع ما أخبر به إبَّان هجوم المغول والتتار (وهم من أصل الترك) على البلاد الإسلامية واجتياحهم لها عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

كان الظهور الأول لهم كقبائل استقرت في منغوليا؛ وقد أصبحت هذه القبائل التي تتحدث باللغة التركية.

حاصروا بغداد وتم اجتياحها،

ثم إسقاط الخلافة الإسلامية لأول مرة في التاريخ.

بدأوا باجتياح بلاد الشام،

ثم حصار حلب عام ٦٥٨هـ وسقوطها؛

ثم احتلال دمشق،

ثم احتلال غزة.

تقدم المغول إلى بغداد وحاصروها؛

واصطدموا بالجيش العباسي الذي اندحر بالأساليب التي استخدمها المغول في القتال، كإغراق شرق بغداد بالمياه، والفنون القتالية المختلفة.

دخل المغول بغداد؛

وحجزوا الخليفة المستعصم بالله؛

وقتلوه بوضعه في كيس،

وضربوه بالأقدام حتى مات،

وبذلك لم يخرج الدم منه؛

بل قتلوه خنقا.

استباحوا بغداد ونهبوا أموالها،

استمر النهب والتدمير والقتل ٤٠ يوما،

لم يبق فيها مسجد ولا دار ولا شجر إلا واشتعلت فيها النيران؛ كعادة المغول في كل مدينة يحتلونها،

وأُلقيت الكتب والمصاحف في ماء النهر الذي تغير لونه؛

وأصبح بلون الحبر،

وبذلك؛ زال رأس العلم الذي كانت تحمله بغداد العظيمة.

وعن تفاصيل تلك المذبحة يقول المؤرخون: بلغ عدد قتلى سكان بغداد على يد

المغول أكثر من مليون، منهم ٨٠٠ ألف قتيل من خيرة الرجال والنساء والعلماء والأدباء،

لا بل إن بعض الناس اختفوا في الآبار وماتوا فيها،

وكانت المذابح بالجملة،

فكانت تُقتل العائلة كلها دفعة واحدة،

وكبار السن لم يسلموا،

وكان همُّهم أيضا قتل الأطفال.

أخذ السلطان قطز قائد المماليك قرار الحرب؛

خرج الجيش المسلم من مصر إلى غزة؛

انتصر قائد الجيش الظاهر بيبرس على التتار في غزة.

ثم انتصر في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م.

تمَّ تحرير دمشق وحلب وبقية الشام.

ثم توحيد مصر والشام.

ثم أن المغول اعتنقوا الإسلام بعد ٣٠ عاما.

قتال الأعاجم

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا تَقُوم السَّاعةُ حتَّى تُقاتِلُوا خُوزًا وكِرْمان منَ الأَعاجم، حُمْر الوُجُوه، فُطْس الأُنوف، صِغَار الأَعين، وُجُوهُهُم المِجَانُّ المُطْرَقة، نعَالهم الشَّعر**» متفق عليه.

قوله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون أهل خوز وكرمان من بلاد العجم، ومن صفتهم أن وجوههم بيضاء مشرّبة بحُمرة؛ لغلبة البَرْد على أجسامهم، وأنوفهم منبطحة، وأعينهم صغيرة، ووجوههم تشبه الترس في انبساطها وتدويرها، وتشبه المطرقة لغلظها وكثرة لحمها، يمشون في نعال من الشعر.

وهذه البلاد مشهورة عند العرب في ذلك الزمان ؛ وهي حالياً بلاد الصين وروسيا واليابان؛ وهي ليست من بلاد الترك، بل من بلاد العجم، ومع هذا جاء في وصفهم كوصف الترك.

قال ابن حجر: يمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك؛ وعلى هذا فقتال العجم من أشراط الساعة الصغرى.

ويؤيد هذا ما رواه سمرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ **«يُوشِكُ أن يَملأَ اللهُ أَيديَكُم مِنَ العَجَمِ، ثمَّ يجعَلَهم أُسْدًا لا يَفِرُّونَ، يقتُلونَ مُقاتِلَتكم، ويَأكُلون فَيْأَكُم!»** مسند أحمد.

المستدرك على الصحيحين صحيح الإسناد.

قوله: **«ويأكُلون فَيْأَكُم»**: أي أموالكم وثروات بلادكم.

هذا الحديث يدل على كثرة العجم في بلاد المسلمين؛ كخدم وموظفين؛ وهذا الأمر تراه واضحاً بجلاء في دول الخليج.

ولاشك أن مشكلة العمال الأجانب غير المسلمين بدأت تتفاقم؛ سيما الجنود الأمريكيين والبريطانيين؛ يتمتعون بكافة أنواع المتع المادية والمعنوية والحماية، يأكلون ويسرحون ويمرحون في دول الخليج وغيرها من بلاد المسلمين.

وهؤلاء الأجانب يعملون على كشف أسرار العالم الإسلامي؛

ومعرفة مواطن الضعف والخطر فيه؛

مما يسهل لهم نهب ثرواته وخيراته؛

والقضاء على مقوّمات النموّ والازدهار فيه.

وبثّ الفرقة والنزاع بين طوائفه.

وفي هذا الحديث الإخبار عما سيقع في المستقبل، وقد وقع.

ضياع الأمانة

إذا ضاعت الأمانة ورُفِعَت من قلوب الرجال فانتظر الساعة؛ لأنه ستنقلب الموازين، وتفسد سرائر الناس، ويتولى مقاليد الأمور غير الأمناء؛ فتسود الفوضى، ويعم الفساد، وهذا أكبر خلل يُفسد نظام الحياة.

عن أبي هريرة ﵁ قال: بيْنَما النبيّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أعْرَابِيٌّ فَقالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسولُ اللهَّ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ. وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حتَّى إذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ: **«أيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟»**. قالَ: هَا أنَا يا رَسولَ اللهَّ، قالَ: **«فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»**، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: **«إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»** صحيح البخاري.

فبيَّن النبيّ ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة.

ومن مظاهر إضاعة الأمانة: إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معاً إلى غير مستحقيها،

كالقضاء والإفتاء والتدريس؛

وإدارة الجامعات والمستشفيات؛

والقيادات السياسية والعسكرية والاجتماعية؛

وسائر الوظائف العامة،

حتى يؤتَمَن الخائن، ويُخوَّن الأمين.

وإنما دلَّ ذلك على دنو الساعة؛ لما فيه من خيانة للشعوب والمجتمعات.

عن حذيفة قال: ينام الرجل نومة فتُقبض الأمانة من قلبه... فلا يكاد أحدُهُم يؤدّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً. أخرجه البخاري ومسلم.

وقد بيَّن النبيّ ﷺ أن سبب ضياع الأمانة فساد سرائر الناس وقلة إيمانهم؛ لأن هناك علاقة وثيقة بين الإيمان والأمانة؛ فإذا ضاع الإيمان فلا أمانة له.

عن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: **«لا إيمانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَه، وَلا دينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَه»** أخرجه أحمد وابن حبان، صحيح الجامع.

معناه: لا إيمان لمن لا يؤدِّي الأمانة مستحلا لذلك، ولا دين لمن لا يفي بالعهد مستحلا لذلك.

وعن أنس بن مالك؛ عن رسول الله ﷺ قال: **«سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَواتٌ خَدّاعاتٌ؛ يُصَدَّقُ فيهَا الكاذِبُ، وَيُكذَّبُ فيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤتَمَنُ فيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فيهَا الأَمينُ، وَيَنْطِقُ فيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»**. قِيلَ: وما الرُّوَيْبِضةُ ؟ قال: **«الرجُلُ التّافِهُ يتكلَّمُ في أمرِ العامةِ»** صحيح الجامع.

وهذا واقعنا المنتشر اليوم في أوطاننا العربية والإسلامية،

كم نجد قادة سياسيون وعسكريون وإعلاميون؟

نرفعهم فوق الأكتاف،

يجعجعون كثيرا على الشاشات؛

وهم في حقيقتهم ممثلون منافقون!!

هذا الحديث ينطبق اليوم على أصحاب السيادة في أوطاننا.

جلالته؛ وفخامته؛ وعطوفته...!!

هم التافهون؛ لا يملكون أية خلفية عن العلوم العقلية ولا الإنسانية،

ولا أيّة قابلية للتجديد؛

إنّما حفظوا كلاما لا يفهموه؛ وأصدروا مراسيم وقرارات؛

ثم خرجوا يردّدونها في الناس بلا بصيرة ؛

ويقتلون ويسجنون الشرفاء في مجتمعاتهم؛

يقهرون شعوبهم؛ ويشردون العلماء والشرفاء إلى أمريكا وأوروبا.

ثم يزعمون أنّها الديمقراطية!

فهل رأيتم أتفه من هؤلاء يتقلدون زمام الأمور؛ ويتحدثون في شأن العامة!

هؤلاء وأمثالهم؛ ممن يتناولون أمور الجماهير ؛

ليس لديهم تجربة وليس لديهم علم؛

وبالتالي؛ ليس لدى أحدهم فهم ولا حكمة؛

فيصدُقُ عليه أنه: "رويبضة".

هذا وأمثاله؛ خنافسُ الأرض تجري في مجاريها القذرة؛

فيساهم في تضليل الرأي العام،

نعم؛ نحن الأن في زمن الرويبضة؛

وها نحن نعيش في هذه السنوات الخداعات؛

ونرى فيها السفهاء يتكلمون على الشاشات؛ ووسائل الإعلام الرسمية.

وما أكثرهم في هذا الزمان.

انظروا حالنا في كل الدول العربية والاسلامية؛

رأينا كيف يخرُج الفنانون والفنانات؛

والراقصون والراقصات؛

ممن يمارسون الرذائل علناً على الشاشات.

رأيناهم كيف يخرجون ويتحدثون في أمور الناس؛

ويتحدثون في أمور السياسة وإدارة المجتمع؛

وهم يلتبسون بالعُريّ والتبرُج والتوشّم؛

وغيره من الأشكال التي يبرأُ منها كل خلق ودين.

ها هم الرويبضة وها هو زمانهم؛

ولكن الأتفه من هذا؛

أولئك الذين يهيِّئون لهم المنابر؛

ويفسحون لهم المجال الإعلامي المحلِّي والعالمي؛

والفضائيات؛

ليعتلوا بأصواتهم؛ ناطقين بالكذب والسوء عن مستقبل الأمة.

وصدق رسولنا الكريم الذي لا ينطق عن الهوى.

قبض العلم وظهور الجهل

ضياع العلم في الأمة؛ وقلته وجفافه واضمحلاله في الأجيال الحاضرة؛ يقابله انتشار الجهل في المجتمع الإسلامي؛ هذا من علامات اقتراب يوم القيامة وقرب الساعة.

عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ (وهو القَتْلُ القَتْلُ) حتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»** متفق عليه.

وعن عبدالله بن عمرو قال؛ قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللهَّ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»**صحيح البخاري.

لماذَا؟ لأَنَّ العِلمُ الحَقيقيُّ يَمنَعُ مِن الوُقوعِ في الزَّلَلِ والخلل.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُنا النبيّ ﷺ أنَّ اللهَ لا يَرفَعُ العِلمَ مِن النَّاسِ بإزالتِه مِن قُلوبِ العُلماء ومَحوِه مِن صُدورِهم، ولكنْ يَقبِضُ العلمَ بقَبْضِ العُلماءِ وموتِهم؛ وَلا يكُونُ غَيرُهُم، فيَضيعُ العِلمُ، فلا يُوجَدُ فيمَن يَبْقى مَن يَخْلُفُ مَن مَضَى، وكلَّما ذَهَبَ عالِمٌ ذهَبَ بما معه مِن العِلمِ، حتَّى إذا لم يُبْقِ اللهُ عالمًا ومات أهلُ العلمِ الحقيقيِّ، وصَلَ

الجُهلاءُ إلى المراكزِ العِلميَّةِ وَالمنَاصب الَّتي لا يَستحِقُّونها؛ مِن تَدريسٍ وإفتاءٍ وَإدارَة مَدَارسَ وَجَامعَات وَمُستَشْفَيات؛ وَمَراكزَ علميَّة وَثَقَافيّة وَاجتمَاعيَّة وَنَحوِه، وَجَعَلَ النَّاسُ منهم عُلماءَ يَسأَلونهم، فيُفتُونَ بغيرِ عِلمٍ لجَهْلِهم، فيُحِلُّون الحرامَ ويُحرِّمون الحلالَ، فيَضِلُّون في ذاتِ أنفسِهم عن الحقِّ، ويُضِلُّون مَن إتَّبَعهم وأخَذَ بفَتْواهم مِن عامَّةِ النَّاسِ.

ولا تُغْني الشِّهَادَاتُ والكُتُبُ والمُؤَلَّفاتُ والرَّسائلُ وغيرُها عن وُجودِ العُلماءِ؛ لأنَّها لم تُفهَمْ على وَجْهِها الصَّحيحِ بدُونِهم.

وفي هذا الحديثِ: الحثُّ على تَعلُّمِ العِلمِ وحِفظِه للأَجيَال القَادمَة؛ فإنَّه لا يُرفَعُ العِلمُ إلَّا بقبْضِ العُلماءِ.

وفيه: التَّحذيرُ مِن تولّي الجهَلةِ مَناصبَ هَامّة وَإدارَة شُؤون النّاس، وتَحذيرُ وُلاةِ الأُمورِ مِن تَعيينِ الجُهَلاءِ في المناصبِ الدِّينيَّةِ.

وفيه: أنَّ الفَتوى وَالإرشَاد الدِّيني وَالتَّوجيهِ الصَّحيح هيَ الرِّئاسةُ الحقيقيَّةُ، والتَّحذير ممَّن يُقدِمُ على هَذه الأُمُور بغَيرِ عِلمٍ.

كثرة أعوان الظلمة

روى أبو أمامة الباهلي ﵁؛ عن رسول الله ﷺ قال: «**يكونُ في هَذه الأُمَّةِ في آخرِ الزَّمانِ رجالٌ معهم سِياطٌ كأنَّها أذنابُ البقرِ؛ يغدُون في سَخطِ اللهِ؛ ويروحُون في غَضبِه**» أخرجه أحمد والحاكم.

وفي رواية عن أبي هريرة ﵁ قال؛ قال لي رسول الله ﷺ: «**إنْ طالَتْ بكَ مُدَّةٌ، أوْشَكْتَ أنْ ترَى قَوْمًا يَغْدُونَ في سَخَطِ اللهِ، ويَرُوحُونَ في لَعْنَتِهِ، في أيْدِيهِمْ مِثْلُ أذْنابِ البَقَرِ**» صحيح مسلم.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ أَبا هُريرةَ ﵁ بأنَّه يوشكُ ويَقتربُ إنْ طالتْ به مُدَّةُ عيشِه أن يَرى قومًا وهُم أَعوانُ الظَّلمةِ؛ في أَيديهمْ مِثلُ أَذنابِ البقرِ في الضَّخامةِ؛ في طُولِها وغِلَظِها، وهي سَوطٌ طويلٌ ولَه ريشةٌ، تَستخدمه العَناصر الأَمنيّة في بلادنَا العَرَبيَّة اليَوم يَضربُونَ بِها النَّاسَ ظُلمًا عَلى أَبوَاب المسَاجِدِ وَعندَ الاحتجَاجَات عَلى أَنظمة الحُكم المتَسَلَّطة عَلَى رقَابهم؛

أَو يَضرِبُون به مَنِ اتُّهِمَ في شَيءٍ للاعتَراف عَليه دُون أَن يَقتَرفَه.

وقيل: هُم أعوانُ والي الشُّرطةِ المعْرُوفون بالجلَّادِين، فإذا أُمِروا بالضَّربِ تَعدَّوا المسمُوحَ في الصِّفةِ والمقدارِ،

فهؤلاء يَغدُونَ في غَضبِ اللهِ ويَروحونَ في سَخطِ اللهِ،

يَعني هُم أبدًا في غَضبِ الله وسَخطِهِ؛

فهُمْ يُؤذونَ النَّاسَ ويُروِّعونَهم،

وهَذا ضَرْبٌ في مُتابعةٍ لِلهوى،

وَلا يَتناولُ هذا الذمُّ الضَّربَ في الحُدودِ ومعاقبة مُرتكبي الجَرائم؛ إنّما يَتَناول ضَرْبَ الفِتيةَ الشّبان المطالبينَ بإقامَةِ أَحكامِ وَتَعاليم الإسلامِ في مُجتَمَعَاتهم.

وَقَد تَحَقق هَذَا في زَمَاننا اليَوم،

وَمَا نُشاهده وَمَا نَسمع عَنه منْ شَهَادات في وَسَائل الإعلام في تَعذيب الشّباب خُصُوصا المتّهمين بالانتماء للجَماعات الإسلاميَّة المعَارضة للأَنظمَة العلمانية في بلادنَا العَربيّة وَالإسلاميّة؛

بحُجج مُناكفة وليّ الأمر!

وَإن كانَ وَليّ الأَمر أَضَاع البلادَ وَالعباد!

ومنها ممارسات التعذيب والقتل دون محاكمة؛

تنتشر في السجون السرية التي تديرها الأنظمة العربية بأسمائها ومسمياتها ضد المناكفين لها والمعارضين لأنظمتها،

وهو ما يسمى بالاعتقال السياسي،

وهذا بمثابة انتهاك لحقوق السكان المحليين دون رحمة؛

وهي تزعم أنها تطبق أحكام القانون بهذه الصرامة.

ويصف المحتجزون ممن أُفرج عنهم أشكالا مروعة من الانتهاكات تعرضوا خلالها للجلد بأحزمة المولدات المطاطية أو الأسلاك،

أو التعذيب من خلال الصعق الكهربائي،

أو إجبارهم على البقاء في وضعية جسدية مؤلمة.

وقد أُلقي القبض على شبان آخرين

لكونهم ينتمون لإحدى الجماعات الإسلامية المعارضة لأنظمة الدولة،

حيث مكثوا في سجونها سنوات طويلة بأسماء أخرى مستعارة؛

دون تمكن أقاربهم من التواصل معهم أو السؤال عنهم؛

هذا وفقاً للإفادات التي حصلت عليها منظمة العفو الدولية!

وفي الحديثِ: عَلامةٌ مِن عَلاماتِ النُّبوَّةِ في إخباره بالغيب.

انتشار الزنا

أخبر النبيّ ﷺ عن فسادٍ كثير في آخر الزمان، وفقدان الحياء من كثير من النفوس، حيث تحققت هذه النبوءة في زماننا؛ وشاهدنا مشاهد مخزية وفاضحة، وانتشار مقاطع تعبر عن فَقْد الحياء، لدرجة أصبح البشر معها أسوأ من البهائم؛ إذْ تكشَّفت العورات أمام الكاميرات بالصوت والصورة.

وقد وردت أحاديث تدل على أن من علامات الساعة انتشار هذه الفواحش بين الناس. عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الحَمِيرِ**». قلتُ: إنَّ ذلِكَ لكائِنٌ ؟ قال: «**نعَم ليَكونَنَّ**» حكم المحدث: صحيح.

وقوله ﷺ: «**لا تقومُ السَّاعةُ**»، أي: مِن علاماتِ قُربِ يومِ القيامةِ. وقوله: «**حَتَّى يَتَسَافَدوا**». أي: النَّاسُ، وقوله: «**في الطَّريقِ تَسَافُدَ الحَميرِ**». أي: يَزْنون ويرتكِبون الفاحشةَ في الطَّريقِ دُون حياءٍ ولا سِترٍ مِثلَ الحَميرِ.

فسَأَلَ ابنُ عمرٍو النبيّ ﷺ مُتعجِّبًا: إنَّ ذلك لكائِنٌ؟ كأنَّه استحال في ظنِّه أن يقعَ ذلك مِن البشرِ، فقال النبيّ ﷺ: «**نَعَمْ ليكونَنَّ**»، أي: إنَّ هذا سيقع حقيقةً.

وقد ذكر رسولُ الله ﷺ إنه في آخر الزمان؛ الرجل يأتي المرأة في الطريق أمام الناس؛ وَهُو مَا رَوَاه أَبو هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشَهَا فِي الطَّرِيقِ، فَيَكُونَ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ: لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ**» صححه الألباني.

ومعنى الحديث: أن من علامات قرب قيام الساعة وانتهاء الحياة؛ أن يأتي الرجل المرأة في الطريق أمام الناس، فيكون أفضل ردّ فعل حينها؛ رجل ينصح من قام بهذا الفعل أن يداريها خلف جدار؛ فلا ينكشفان أمام الجميع!

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا»** متفق عليه.

وروى واثلة بن الأسقع وأنس بن مالك؛ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تَذْهَبُ الدُّنيا حتَّى يستغنيَ النِّساءُ بالنِّساءِ والرِّجالُ بالرِّجالِ؛ والسِّحاقُ زنا النِّساءِ فيما بينَهُنَّ»**

رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

ومع أن هذا الحديث ضعيف؛ لكن يشهد عليه واقعنا ويؤكده حال المجتمعات الغربية في زماننا اليوم؛ وقد تحقق بالزواج المثلي بين الرجل والرجل؛ وبين المرآة والمرأة! وصار هذا الانحراف مباحا ومسموحا في دول الغرب؛ وتحت حماية القانون.

وقد ورد في إحدى البلاد العربية ما يفيد بإعلان شابتين زواجهما بمباركة من الأهل، مما أثار جدلا واسعا باعتبار هذا التصرف الشاذّ يتعارض مع مبادئ المجتمعات العربية والإسلامية. مع أن قانون بعض هذه الدول لا تحرِّم المثلية الجنسية، لكن بعض نصوص قانون العقوبات فيها تصف المثلية الجنسية بأفعال خادشة للحياء!!

انتشار الربا

عَنِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ ﷺ عَنِ النبيّ ﷺ أنَّه قال: «**بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرِّبَا، وَالزِّنَا، وَالْخَمْر**» قال الألباني: صحيح لغيره.

وعَن أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «**ليَأْتِينَّ عَلى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالي المُرءُ بما أخذَ المْالَ: أمِنْ حَلالٍ أم من حِرامٍ**» أخرجه البخاري.

قال ابنُ عُثَيمين ﷺ: مِن عَلاماتِ السَّاعةِ الَّتي وقَعَت... انتِشارُ الرِّبا، وقَد وقَعَ الرِّبا في زمانِنا وانتَشَرَ كثيرًا بينَ الأمَّة الإسلاميَّة. **فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٣٣).**

فظهور الربا وانتشاره بين المسلمين أمر خطير
أطاح بالنسيج الاجتماعي والأخلاقي فيه؛
وهذا النبيّ ﷺ يبيّن لأُمَّته في هذا الحديث أنه سيظهر فيها الربا؛
وأن ظهوره يكون من علامات قرب الساعة؛
وهو أمر مفزع حقا.

وقد تنوّعت صور التجارة وطرائق المعاملات المالية بين الناس في زماننا اليوم،
كان منها ما هو ناشيءٌ على ظلم العباد للعباد

واستغلال ظروفهم وحاجتهم للمال،

وبطبيعة الحال

فإنَّ الربا على رأس هرم المعاملات المالية المحرّمة.

وليس الحديث هنا عن الخُبث اليهودي؛ وإسقاطه المجتمعات في مستنقعاته على مرّ العصور؛

إنما ما نفهمه ونقرؤه في العصور الأخيرة؛

أن صور الربا وأشكاله ماثلةٌ في المجتمعات الإسلامية؛

وفق أنظمة مالية دستورية وتحت حماية القانون؛

ناهيك عن المجتمعات في العالم،

بعضها شديد الوضوح.

لكن الخطر الأعظم من ذلك

حينما يصبح التعامل بالربا ممارسةً إنسانية وتجارية عامّةً

وظاهرة سائدةً في الأمم والمجتمعات.

وقد صوّر النبيّ ﷺ ما يؤول إليه أمر الناس من الإنخداع بزخرف الرّبا والإغترار به، والوقوع بين مخالبه، في حديثٍ رواه لنا أبو هريرة رضي الله عنه، يحدّث فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لَيَأْتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يَبْقَى مِنهُمْ أحدٌ إلَّا أكلَ الرِّبا، فإنْ لمْ يَأكلْهُ، أصابَهُ من غُبارِهِ»** رواه أصحاب السنن، والحاكم في المستدرك.

وفي رواية عند أبي داوود لفظها: **«فإنْ لمْ يأْكلْهُ أَصَابَهُ منْ بُخَاره»**.

ومن حديث عبدالله بن مسعود ﵁ قال رسول الله ﷺ: **«الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا؛ أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»** رواه الحاكم.

فاحذر أيها المسلم من الربا،

فإنه وبال وشقاء،

وضنك وبلاء،

وعاقبته إلى قلة ونقصان.

كما جاء عند الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أَحدٌ أَكثَرَ مِنَ الرِّبَا؛ إلا كانَ عَاقِبَةُ أَمرِه إلى قِلّة»** صحيح الجامع.

ظهور المعازف واستحلالها

من علامات الساعة التي وقعت وتستمر وتتكرر: ظهور المعازف والمغنِّيات واستحلالها؛ وهذا مما عمَّت به البلوى في هذا الزمان.

عن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال: **«يكونُ في أمَّتي قذفٌ، ومسخٌ، وخسفٌ»**. قيل: يا رسولَ اللهِ ! ومتَى ذاك ؟ قال: **«إذا ظهرَتِ المعازفُ، وكثُرتِ القِيانُ، وشُرِبت الخُمورُ»** إسناد مرسل صحيح رجاله كلهم ثقات.

وهذه العلامة قد وقع شيءٌ كبيرٌ منها في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهوراً، وعمّت وطمّت، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشاراً عظيماً، لا تكاد تخلو حفلة من مناسباتنا اليوم من ذلك؛ وكثر المغنُّون والمغنِّيات، وهُم المشار إليهم في هذا الحديث بالقيناتِ (أي المغنيّات).

وأعظم من ذلك استحلالُ كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ والقذف والخسف؛ لما ثبت في صحيح البخاري رحمه الله، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: **«لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَّ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ»** صحيح البخاري. **الحِرَّ:** هو الفرج.

بيَّن لنا النبيّ ﷺ أمورَ ديننا، وأوضَحَ الحلالَ والحرامَ في الأقوالِ والأفعالِ، وبَيَّن أنَّه بمرورِ الزَّمانِ واقترابِ قيامِ السَّاعةِ، سيَخِفُّ الدِّينُ في قلوبِ النَّاسِ حتى يستَحِلُّون بعضَ ما حَرَّمه اللهُ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ بأنَّه سَيَكونُ جَماعةٌ مِن أُمَّتِه يَستحِلُّونَ بعضَ المحرَّماتِ، والاستحلالُ هو أنْ يَفعَلَ الحرامَ بدَعْوى أنَّه حَلالٌ بالتأويلاتِ الفاسِدةِ، ولهذا قال: «**مِنْ أُمَّتي**»، فجعَلَهم بعضَ أمَّتِه مع استحلالهم بالتأويلِ؛ لأنَّهم لو استحَلُّوها مع اعتقادِ أنَّ اللهَ ورسولَه حَرَّماها، لكانوا كُفَّارًا، وخرجوا عن أمَّتِه.

وأوَّلُ هذه المحَرَّماتِ هو الحِرُّ، وهو الفَرْجُ، ويقصِدُ الزِّنا، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٣٢].

وأيضًا يستحِلُّون الحريرَ، وهو حرامٌ على الذُّكورِ دونَ الإناثِ، وكذا يَستحِلُّون الخمرَ، وهي كُلُّ ما يُسكِرُ ويُغَطِّي العَقلَ، ويستحِلُّون أيضًا المعازفَ، وهي آلاتُ اللَّهوِ والموسيقى. وفي هذا الحديث أنَّ استحلالَ المعاصي مِثلُ الزِّنا والحريرِ والخَمرِ والمعازفِ؛ هو من أكبرِ الكبائِرِ.

وقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى تحريم الأغاني وجميع المعازف، وهي آلات اللهو والطرب كلها، وتحريم سماعها، وأوجبوا كسر آلات المعازف؛ وقالوا: إن الغناء إذا انضم إليه آلات المعازف كالطبل والمزمار والعود وأشباه ذلك، حُرِّم بالإجماع؛ إلا ما يُستثنى من ذلك من دقِّ النساء الدَّف في العرس ونحوه.

كثرة شرب الخمر واستحلالها

سيكون في آخر الزمان أقوام يستحلُّون الخمر؛ فقد أخبر النبيّ ﷺ أنه سيأتي أناس يستحلُّون الخمر ويسمّونها بغير اسمها، وقد سمّوها في زماننا بالمشروبات الروحية! وهذا من علامات الساعة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ؛ أَوْ مِنْ أَشرَاط السَّاعَةِ: أَنْ يُرفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيُشرَب الخَمر، وَيَفشُو الزِّنَا، وَيَذْهَبَ الرِّجالُ، وَيَبقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ»** متفق عليه.

وفي رواية: **«يَظْهَرُ الزِّنَا، وَيَقِلُّ الرِّجَال، وَيَكثُرُ النِّسَاء»**.

وأخرج الترمذي عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: **«فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ** (أي المغنيات) **وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ»**.

وفي مسند الإمام أحمد؛ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لَيَشرَبَنَّ أُناسٌ منْ أُمَّتي الخَمرَ، يُسمُّونَهَا بغَير اسمِهَا»** صحيح بشواهده.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَتَسْتَحِلَنَّ طَائفَةٌ منْ أُمّتي الخَمر باسمٍ يُسمّونَها إيَّاه»** صححه الألباني.

واستُحِلَّت الخمر لقلة الإيمان أو لذهابه من قلوب بعض الناس، لأنه مَنْ ملأ الإيمان قلبه لا يُتَصور منه فِعل هذا. ولذلك جاء من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: **«لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخمر حِينَ يَشْرَبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ»** متفق عليه.

وأخرج النسائي بسند صحيح من حديث عُثْمَانَ ﵁ يَقُولُ: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ... وَاللهِّ لا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إلا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ. فلا يجتمع إيمانٌ وحبّ الخمر في قلب عبدٍ أبداً، وهذا مما عمَّت به البلوى في هذا الزمان.

ومعنى استحلالهم لهذه المُحرَّمات: هو إما اعتقاد حِلّها وأنها ليست حراماً؛ وإما اعتياد فعلها وانتشارها بين الناس، حتى تُصْبَح لا تنكرها الألسن ولا القلوب، فلا يستشعر الناس حرمتها أثناء فعلهم لها؛ وكلاهما عمل حرام يُعاقب فاعله.

ومع هذا النهي، فقد انتشرت محلات بيع الخمور في البلاد العربية والإسلامية طلباً لزيادة المال. ولابد أن نعلم جميعاً؛ أن الرزق يطارد الإنسان ويلاحقه، كما يطارده ويلاحقه الأجل؛ عن جابر ﵁ أن النبيّ ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ رَجُلا هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَهَرَبِهِ مِنَ الْمَوْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»** الجامع الصغير للسيوطي.

شهادة الزور وكتمان شهادة الحق

جعل النبيّ ﷺ شهادة الزور وكتمان شهادة الحق من علامات الساعة، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عَبْدِاللهِّ بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النبيّ ﷺ قال: **«إنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»** قال أحمد شاكر: صحيح.

فالإسلام حرَّم شهادة الزور وجعلها من أكبر الكبائر، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: **«ألا أُنبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبائِرِ؟»**. قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللهِّ، قالَ: **«الإشْراكُ باللهِّ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ»**، وكانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فقالَ: **«ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ، ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ»**. فَما زالَ يقولُها، حتَّى قُلتُ: لا يَسْكُتُ. متفق عليه.

وعلى الإنسان ألا يشهد إلا بما علم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [يوسف: ٨١].

ومَنْ شهد بما لا يعلم؛ فقد أضاع الحقوق، ونصر الظالم، أو ظلم بريئاً.

أما بالنسبة لكتمان شهادة الحق، فهذا أيضاً من الأمور التي نهى عنها الرب العظيم، يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وقوله: «**أَلَا وقَوْلُ الزُّورِ**»: الزُّورُ: هو الكَذِبَ في القَولِ والشَّهاداتِ وغيرِها، وظَلَّ ﷺ يُكرِّرُها حتَّى قال أصحابُه في أُنفسِهم: لَيتَه سَكتَ؛ لِمَا حَصلَ لهم مِنَ الخوفِ.

وقد كرَّر النبيّ ﷺ التحذيرَ مِن قَولِ الزُّورِ تنبيهًا على استقباحِه، وكرَّره دون غيره؛ لأنَّ النَّاسَ يَهُونُ عليهم أَمرُه، فيظنُّون أنَّه أقَلُّ مِن سابِقِه، فهوَّل ﷺ أمْرَه ونفَّرَ عنه حين كرَّره.

فالزور يعني الكذب؛ أو تحسين الشيء ووصفه بخلاف ما فيه، وعليه: فشهادة الزور تعني الإقرار بالشيء على خلاف واقعه وأصله، وأما قول الزور فهو أعمّ وأشمل.

ورغم عظم هذه الكبيرة وما ورد فيها من وعيد شديد،

فما أكثر ما تغُصّ المحاكم في زماننا اليوم بشهادات الزور!

وما أكثر ما تشهد جلسات المحاكم من طمس للحقائق وتدليس للوقائع!

وكل هذا ناتج من عدم استشعار عظم الخطيئة،

والركون إلى الدنيا

بسبب مبلغ سخيف يأخذه شاهد الزور رشوة

فيشهد به زورًا،

هذا عدا انتشار الحقد والكراهية والعداوات بين أفراد المجتمع،

والذل والهوان الذي سيطر على قلب صاحب شهادة الزور؛

وقد نسي أو تناسى أنَّه يرتكب أكبر الكبائر!

وكيف لا تكون شهادة الزور أكبر الكبائر

وفيها تعمُّد الكذب،

وتضييع الحقوق،

وطمس الحقائق،

وضياع الواجبات،

واتهام الأبرياء،

وهدر الدماء،

وإباحة لما حرم الله،

وإشاعة للفوضى،

ونشر للأحقاد والكراهية والبغضاء،

وعون للظلمة والمجرمين،

وتعاون على الإثم والعدوان،

وغيرها من الويلات التي تجرها هذه الكبيرة؟!

وفي زماننا اليوم؛

تعدَّدت أشكال وصور شهادات الزور، داخل المحاكم وخارجها.

فإعطاء الطبيب إجازة مرضية لمن ليس مريضًا،

ومنح طالب درجة علمية لا يستحقها،

ورفع تقرير عالٍ الكفاءة عن مُوظف مُهمل مُقصر كسول.

وربما يتبادر للذهن أن مثل هذه الصور لا تشكل ضررًا لأحد؛ ولكن بنظرة فاحصة يتبين أنَّ فيها غشاً للمجتمع والأمة، وتضييعاً للأمانة، وتقصيرًا في واجبات العمل، وظلماً للموظفين المخلصين، وإجحافاً في حقوقهم وغير ذلك من الآثار الوخيمة.

ومن صور شهادات الزور التي انتشرت في أوساط المُجتمع عند وقوع بعض حوادث السير؛ ويكون المُتسبب فيها لا يملك رخصة قيادة، فيقوم شخص آخر يملك رخصة قيادة فيجعل نفسه المتسبب في الحادث، من أجل تلافي الغرامات والمُخالفات ودخول السجن.

ولو سُمِح للنَّاس أن يفعلوا ذلك؛

لضاعت الحقوق؛ وأهدرت الدماء؛

وذهب القانون وذهب النظام؛

وعاد الناس كلٌ يحتال بما يستطيع أن يحتال به.

زخرفة المساجد، والتباهي بها

من أشراط الساعة؛ زخرفة المساجد والتباهي بها؛ فالمساجد من أكثر المشاريع الخيريّة إقبالاً من قِبَل المتبرّعين؛ أكثر من المدارس والمستشفيات والجامعات؛ ولا حاجة للوقوف كثيراً حتى نكتشف سرّ هذا الإقبال الذي وردت النصوص الشرعية بفضله والثواب عليه، ومنها قوله ﷺ: **«مَن بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي به وجْهَ اللَّهِ؛ بَنَى اللَّهُ له مِثْلَهُ في الجَنَّةِ»** متفق عليه.

ولسنا في معرض الحديث عن بناء المساجد، ولكن القصد هو توجيه النظر إلى إشكاليّة شرعيّة تتعلّق بسوء تنفيذ بناء تلك المساجد؛ وخرْق الضوابط الشرعيّة المتعلّقة بها؛ وذلك في زخرفتها وما جاء التحذير منه، وقد تنبّأ الرسول ﷺ بحصوله وحدوثه وتوسّع الناس فيه.

جاء التحذير من هذه الظاهرة السلبيّة، والأحاديث في ذلك كثيرة، ومن أصحّها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتّى يَتَباهَى النّاسُ في المسَاجِدِ»** صحيح أبي داود.

فالمساجدُ بيوتُ اللهِ؛ وقدْ بُنِيَت لذِكْرِ اللهِ وعِبادتِه، وبِها يَنهَضُ المجتمَعُ، وتَزدادُ المَحبَّةُ بينَ أفرادِه باجتِماعِهم فيها على طاعةِ اللهِ.

لكن انقلبت الأهداف؛ وانحرفت النوايا؛

وتغيرت النفوس بأَن يتَفاخَروا بِمَساجِدِهمُ الَّتي بنَوْها،

فيَقولَ أحَدُهم: مَسْجِدي أفضَلُ،

أو هذا يقول: مَسجِدي أحسَنُ نُقوشًا،

ونحوَ ذلك، فيَفعَلُ ذلك رِياءً؛ طالِبًا لثَناءِ النَّاسِ.

وقيل: إنَّ ذلك التَّباهِيَ بينَهم يَكونُ أحيانا داخِلَ مَساجِدِهم.

وفي الحديثِ: إخبارُ النبيِّ ﷺ بالغَيبِ الذي يَقَعُ بَعْدَه. وفي لفظٍ: **«مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ: أَنْ يَتَبَاهَى النّاسُ فِيْ المَسَاجِدِ»** رواه النسائي وابن خزيمة.

ومن الوعيد الشديد الذي جاء في حقّ الزخارف؛ ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **«إِذَا زَخْرَفْتُم مَسَاجِدَكُم، وَحَلَّيْتُم مَصَاحِفَكُم، فَالدَّمَارُ عَلَيكُمْ»** صحيح الجامع.

وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه قول أنس رضي الله عنه: يتباهون، ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: لتُزخرفُنّها كما زخرفت اليهود والنصارى.

وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: ما ساء عمل قوم قط، إلا زخرفوا مساجدهم.

عدا أن زخرفة المساجد التباهي بها؛ فإن هذه الممارسات تدخل تحت دائرة الإسراف والتبذير الذي قد جاء النهي عنه شرعاً، وإهدارٌ وتضييع للمال.

كما أن قيام البعض بتحلية المساجد وزخرفتها تشبّهاً باليهود والنصارى الذين يُبالغون في هذا الجانب،

فترى كثيراً من الكنائس والأديرة قد امتلأت بالزخارف المتنوّعة؛

والنقوش المختلفة؛

والبلاط الملّون على نحوٍ مبالغٍ فيه؛

وليست المسألة مجرّد بناءٍ وتلوين؛

وإقامة جدران وحجارة؛ ورسم الخطوط عليها؛

لينتج عن هذا كله: الإلهاء عن ذكر الله، وعن الخشوع في الصلاة،

وعن إحضار القلب أثناء ممارسة العبادة؛

إنما عمارة المسجد الحقيقيّة تكون بإقامة الصلاة فيها، وأداء الاعتكاف، وممارسة التعلم والتعليم، وإقامة المحاضرات والندوات، والتفرّغ بذكر الله.

وقد ذهب المسلمون أبعد من ذلك،

فنشأ علم الفنّ الزخرفي الإسلامي؛

وامتلأت مساجد المسلمين بالكتابات والخطوط البارزة الملونة؛

أو المطليّة بالذهب الصافي؛

مع لفت النظر إلى المبالغ التي تُهدر في هذه الشكليات والقشور إلى ما هو أجدى وأنفع؛

من كفالة يتيم، ومساعدة ضعيف، وعلاج مريض؛ وجبر خواطر.

نذكر على سبيل المثال:

مسجد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان؛

وهو صرح إسلامي بارز في دولة الإمارات؛ ويقع في مدينة (أبو ظبي)؛

يتميز الجامع بعدد كبير من القباب؛ تصل إلى ٨٢ قبة، وأكثر من ١٠٠٠ عامود،

كما تُزيّن الجامع ثريات مطعّمة بذهب عيار ٢٤ قيراطاً،

وتغطّي أرضيته أكبر سجادة يدوية الصنع في العالم بتكلفة باهظة جدا،

كما تتدلّى في قاعة الصلاة الرئيسية واحدة من أكبر الثريات في العالم.

تضمنت المرحلة الأولى من بناء الأساسات بلغت تكلفتها ٧٥٠ مليون درهم.

أمّا المرحلة الثانية:

فتضمنت أعمال التشطيب والزخرفة الداخلية والخارجية،

وكلفت حوالي مليار و ٢٦٧ مليون درهم.

وصرف أيضًا مبلغ ١٥٠ مليون درهم على الأعمال الخارجية.

التطاول في البنيان

علامات الساعة الصغرى؛ منها أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. انقلب حال هؤلاء ليكون من علامات الساعة التي ظهرت وأخبر بها الرسول ﷺ، وتفاخر الناس بالبنيان الشاهق، وزخرفة البيوت بعد أن كانوا حفاة يعيشون في خيام الشعر؛ ويرعون الشياه والبعير.

دلّ على ذلك ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة.

وعَن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ جِبريل عليه السلام سَألَ النبيّ ﷺ، فقال: أخبرني عن الساعة؟ قال **«ما المُسؤولُ عَنها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأخبِرُكَ عَن أشراطِها: إذا ولَدَت الأمَةُ رَبَّها، وإذا تَطاوَلَ رُعاةُ الإبلِ البُهْمِ في البُنيانِ، في خَمسٍ لا يَعلمُهُنَّ إلَّا اللهُ»**. ثُمَّ تَلا النبيّ ﷺ: **﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾** الآيةُ. متفق عليه.

قوله: **«رُعاةُ الإبلِ»**: يُريدُ العَرَبَ الذينَ هم أصحاب الإبلِ ورُعاتُها.

وهَذِه الأوصافُ هيَ غالِبَةٌ على أهلِ الباديةِ، ومَقصودُ هذا الحَديثِ: الإخبارُ عَن تَبَدُّلِ الحالِ وتَغَيُّرِه؛ بأن يَستَوليَ أهلُ الباديةِ الذينَ هَذِه صِفاتُهم على أهلِ الحضر

والمدن، فتكثُرَ أموالُهم، وتَتَّسِعَ في حُطامِ الدُّنيا آمالُهم، فتَنصَرِفَ هِمَمُهم إلى تَشييدِ المْباني، وهَدْمِ الدِّينِ وشَريفِ المْعاني، وأنَّ ذلك إذا وُجِدَ كان من أشراطِ السَّاعةِ.

ويُؤَيِّدُ هذا: ما ذُكِرَ عَن رَسولِ الله ﷺ أنَّه قال: **«لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَكونَ أسعَدَ النَّاسِ بالدُّنيا لُكَعُ بنُ لُكَع»** صحَّحه الألباني في صحيح الترمذي.

وقَد شوهِدَ هذا كُلُّه عِيانًا، فكان ذلك على صِدقِ رَسولِ الله ﷺ، وعلى قُربِ السَّاعةِ حُجَّةً وبُرهانًا.

مَقصودَ الحديث: أنَّ أضعَفَ أهلِ الباديةِ هم رِعاءُ الشَّاءِ، سَيَنقَلِبُ بهم الحالُ إلى أن يَصيروا مُلوكًا مَعَ ضَعفِهم وبُعْدِهم عَن أسبابِ ذلك.

قال النَّوويُّ؛ مَعناه: أنَّ أهلَ الباديةِ وأشباهَهم من أهلِ الحاجةِ والفاقةِ؛ تُبسَطُ لَهم الدُّنيا حَتَّى يَتَباهون في البُنيانِ؛ يَتَوطَّنونَ في البِلادِ، ويَتَّخِذونَ العَقارَ، ويَبنونَ الدُّورَ والقُصورَ المُرتَفِعةَ.

وقيلَ: مَعناه أن يَصيرَ الفُقراءُ ورِعاءُ الشَّاءِ والإبِلِ مُلوكًا وأُمراءَ، فتكونَ همَّتُهم قاصِرةً يَتَفاخَرونَ في رِفعةِ البُنيانِ.

ومُلوكُ العَربِ في حَقيقَتِهم لا يَلتَفِتونَ إلى طولِ البُنيانِ ولا يَتَفاخَرونَ به، بَل تَفاخُرُهم بالشَّجاعةِ والسَّخاوةِ والفَصاحةِ؛ وإذا وقَعَ المُلكُ والإمارةُ إلى مَن لَم يَكُن لَه أصلٌ شَريفٌ ولا استِحقاقٌ لَه للإمارةِ والحُكمِ، فقَد يَكونُ هذا من عَلاماتِ القيامةِ.

والمُرادُ: أن أسافِلَ النَّاسِ يَصيرونَ رُؤساءَهم، وتَكثُرُ أموالُهم حَتَّى يَتَباهونَ بطولِ البُنيانِ وزَخرَفَتِه وإتقانِه.

ومَضمونُ ما ذُكِرَ من أشراطِ السَّاعةِ في هذا الحَديثِ يَرجِعُ إلى أنَّ الأمورَ تُوَسَّدُ إلى غَيرِ أهلِها، كما قال النبيّ ﷺ لِمَن سَألَه عَنِ السَّاعةِ: **«إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتَظِرِ السَّاعةَ»** أخرجه البخاري.

فهل الأبراج والأبنية التي نراها في خليجنا العربي تتشابه مع هذه الحادثة؟

هذا ما نشاهده اليوم؛ وهو إشارةٌ إلى استيلاء القليل من أصحاب النفوذ في بعض هذه الدول لامتلاك البلاد من نقطة الماء إلى آبار البترول ؛ وتَمَلُّكِهم ثرواتها بالقَهرِ.

قال الشيخ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: يَتَطاوَلونَ في البُنيانِ أيُّهم أعلى، ويَتَطاوَلونَ في البُنيانِ أيُّهم أحسَنُ، وهم في الأوَّلِ فُقَراءُ لا يَجِدونَ شَيئًا، لَكِن تَغَيَّرَ الحالُ بسُرعةٍ؛ ممَّا يَدُلُّ على قُربِ السَّاعةِ). شرح الأربعين النووية.

ومَعنى التَّطاوُل في البُنيَان: أَنَّ كُلا ممَّن كانّ يَبني بَيتا يُريد أَنْ يكُون ارتفَاعُه أَعلَى من ارتفَاع الآخر؛ فالإنسانُ إذا أنفَقَ على نَفسِه ما هو من ضَروريَّاتِ الحَياةِ فإنَّه يُؤْجَرُ على ذلك؛ لَكِنَّ المُفاخَرةَ والتَّطاوُلَ في البُنيانِ لا يَقصِدُ إلاّ هَذا؛ فَهُو الّذي لَا خَيرَ فيه، بَل لَيسَ فيه إلَّا إضاعةُ المْالِ.

وقد أشارت صحيفة كويتية أن منافسة حادة في السنوات الأخيرة تواجه برج دبيّ، ومن المشاريع الأخرى في الخليج العربي التي يطمح القائمون عليها أن يتجاوز ارتفاعها ارتفاع برج دبي الذي يُقدَّر بحوالي ٨٠٨ أمتار؛ وبناء مبان هي أعلى ارتفاعا في الخليج العربي من برج دبيّ؛ باعتباره الأعلى في العالم.

ولعلّ السباق على بناء أطول الأبراج في دول الخليج؛ وتساؤلات عن جدواها وجماليتها وتأثيرها البيئي؛ يرسم ملامح معركة شرسة بين هذه الدول الغنية بالنفط لتشييد أعلى المباني في العالم، خصوصاً بعد الإعلان عن عزم الأمير الوليد بن طلال تشييد برج في السعودية يتجاوز ارتفاعه ١٦٠٠ مترا، متخطياً بذلك كل الحدود الهندسية؛ ومع هذا البرج، يذهب الأمير السعودي الذي يُعتبر من أغنى رجال العالم، أبعد مما ذهب اليه حتى الآن منافسوه الخليجيون، خصوصاً في دبيّ والكويت.

ثم ماذا بعد ذلك؟

إن دبيّ ستقبل التحدي،

ولا نستبعد بعد أن يُقام ذلك البرج السعودي المعجزة،

سوف تكشّر دبيّ عن أنيابها مرة ثانية،

مثلما كشّرت عنها بعد أن شيدت ماليزيا برجيها التوأمين.

ولم تسعد في حينها بتتويجهما أعلى برجين في العالم سوى عدة أعوام قليلة،

حتى قضت عليهما دبيّ بالضربة القاضية،

واحتلت وما زالت تحتل الصدارة؛

ولا ندري إلى أين؟ وإلى متى؟ سوف يستمر هذا التسابق والتطاول بالبنيان؟!

إن إخبار النبيّ ﷺ أن رعاة الشاة والإبل؛

وهم العرب سكان البادية في الجزيرة العربية؛

سوف يتطاولون في البنيان؛ ويتباهَون بها؛

حتى يحاول كل منهم أن يبني بنياناً يكون أعلى من نظيره؛

وهذا ما يتحقق الآن؛

وظهر واضحا بلا شك،

فسبحان الله الذي أخبر محمدا:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣].

أن تلد الأَمَة ربّتها

من علامات الساعة وأشراطها؛ أن تكثر السَّراري بين الناس حتى تلد المملوكة سيدتها، أي تحمل الزوجة السريّة من سيدها وتلد سيدتها؛ لأن بنت السيد سيدة وابن السيد سيد.

عَن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ جِبريل عليه السلام سَألَ النبيّ ﷺ فقال: مَتى السَّاعةُ؟ قال: «**ما المَسؤولُ عَنها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأخبِرُكَ عَن أشراطِها: إذا وَلَدَتِ الأمَةُ رَبَّها...**» متفق عليه.

يعني: تكثر السراري، ويكثر الإماء، والناس يكثر تسرّيهم بسبب كثرة الجهاد وكثرة الغنائم؛ فتكثر السراري بين الناس، والسيد يطأُ أَمَتَه؛ لأنها مُلكُه مباحٌ له، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون:٥-٦].

فالذي هو مُلكُه للأَمَة يقال له: ملك اليمين، إذا مَلَكها بالغنيمة أو بالشراء فله أن يطأها وهي مُلك اليمين، وإذا ولدت يقال للمولود إن كان ذكر: رَبّها وَسَيِّدَها، والمولودة: ربَّتها وسيَّدَتها، هذا معنى الحديث: أن تلد الأمة ربّها (أي سيدها) أو ربّتها يعني: سيدتها؛ لأن بنت السيد سيدة، وولد السيد سيدًا لأُمِّه؛ وهذا من علامات الساعة.

قال ابنُ رَجَبٍ: المُرادُ بِرَبَّتِها سَيِّدَتُها ومالِكَتُها، وفي حَديثِ أبي هُرَيرةَ: (رَبَّها)، وهَذِه إشارةٌ إلى فتحِ البِلادِ، وكَثرةِ جَلبِ الرَّقيقِ حَتَّى تكثُرَ السَّراريُّ، ويَكثُرَ أولادُهُنَّ، فتكونَ الأمَةُ رَقيقةً لسَيِّدِها وأولادُه مِنها بمَنزِلَتِه، فإنَّ وَلَدَ السَّيِّدِ بمَنزِلةِ السَّيِّدِ، فيَصيرُ وَلَدُ الأَمَةِ بمَنزِلةِ رَبِّها وسَيِّدِها...

وقَد فُسِّرَ قَولُه: **«تَلِد الأمَةُ رَبَّتَها»** بأنَّه يَكثُرُ جَلبُ الرَّقيقِ، حَتَّى تُجْلَبَ البِنتُ، فتُعتَقَ، ثُمَّ تُجلَبَ الأمُّ بَعدَهَا فتَشتَريها البِنتُ وتَستَخدِمها وهيَ جاهِلةٌ بأنَّها أمُّها، وقَد وقَعَ هذا في الإسلامِ. وقيلَ: مَعناه أنَّ الإماءَ تَلِدْنَ المُلوكَ. جامع العلوم والحكم.

وقد انتهى الرق تقريباً في عصرنا هذا،

فلم يعد هناك عبيد ولا إماء لأسباب معروفة،

وقد حصرها الإسلام في أمور وضيّق على أسبابها؛

وحثّ كثيرا على عتق الإماء والعبيد لسبب أو بدون سبب،

حتى جعلها كفارات لارتكاب المخالفات والمعاصي؛

وذلك للتخلص من هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي؛

وما لم توجد هذه الأسباب فالأصل أن الناس أحرار.

أما عن ظاهرة: **«تَلِد الأمَةُ رَبَّتَها»** كأحد هذه الأسباب؛ وأنها من أشراط الساعة الصغرى في المجتمع الإسلامي، ربما حصل هذا في عصور مضت وانقضت؛ لما كان الرقيق منتشرا ومألوفا عند شعوب الأرض كلها.

علماً أن تقريرا أجرته أكاديمية من جامعة (نيوكاسل) على آخر سفينة من سفن تجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي؛

تم إحضارها إلى الولايات المتحدة عام ١٨٦٠م؛

وكانت (سالي سميث) قد اختُطفت من غرب إفريقيا

على أيدي تجار الرقيق؛

وعاشت حتى عام ١٩٣٧ في ولاية (ألاباما)،

حيث بقيت في المزرعة التي كانت مستعبدة فيها لأكثر من ٧٠ عاماً.

كثرة القتل

روى أبو هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعةُ حتى تَظْهَرَ الفِتَنُ؛ ويكثُرَ الكذِبُ؛ وتتقارَبَ الأسواقُ؛ ويتقارَبَ الزمانُ؛ ويكثُرَ الهرجُ»**. قلْتُ وما الهرْجُ قال: **«القتْلُ»** أحمد والبخاري ومسلم.

وقتُ قِيامِ الساعةِ وميعاد يوم القيامة

لا يَعلَمُ مِيقاتَه إلَّا اللهُ؛

فقدِ اختصَّ اللهُ سُبحانَه هذا الأَمر لنفْسَه،

ومع ذلك فقدْ جَعَلَ عَلاماتٍ على قُربِ الساعةِ؛

ليَحذَرَ المُسلِمُ

ويَعمَلَ لهذا اليومِ الشَّديدِ.

وفي الحديثِ السَّابق يُخبِرُنا النبيّ ﷺ أنَّ مِن عَلاماتِ قُربِ قِيامِ السَّاعةِ: **«يَكثُرُ الهَرْجُ»**، فلمَّا سأَلَ الناسُ عن معْنى الهَرْجِ، أشارَ ﷺ بيَدِه إشارةً يُفهَمُ منها أنَّه القَتْلُ وسَفْكُ الدِّماءِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

ووَرَدَ تَفسيرُه واضحًا في الصَّحيحينِ: قَالوا: يا رَسولَ اللهِ، وما هو؟ قال: **«القَتْلُ القَتْلُ»**.

والمعنى: تكونُ الفِتَنُ واختِلافُ الأُمورِ هي ما تَتسبَّبُ في كَثرةِ القتْلِ بيْن المسلِمينَ.

كما في رِوايةِ ابنِ ماجهْ مِن حَديثِ أبي مُوسى الأَشعريِّ رضي الله عنه وفيه أنَّه ﷺ قال: **«ليس بِقَتْلِ المشركينَ، وَلَكِنْ يَقتُلُ بَعضُكم بَعضًا، حَتَّى يَقتُلَ الرَّجُلُ جَارَه، وَابنَ عَمِّه وَذَا قَرابتِه»**.

تشير الأحاديث النبوية إلى اقتراب الساعة بكثرة القتل في آخر الزمان،

وأن أغلب القتل يكون فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض.

وقد ورد عن أبي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ قال: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجًا»**. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْـهَرْجُ؟ قَالَ: **«الْقَتْلُ»**. فقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَا هُو قتلُ الكفارِ، ولكنْ قتلَ الأُمَّةِ بعضُها بَعضًا، حتَّى أنَّ الرَّجلَ يَلقاهُ أَخوهُ فيَقتلُهُ»**. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا، يَنْتَزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَلَكَ الزَّمَانِ؛ وَيَخْلفُ لَهَا هَبَاءٌ مِنَ النّاسِ، يَحْسبُ أَكثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيءٍ؛ وَلَيْسُوا عَلَى شَيءٍ»** صحيح الجامع.

ورد فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ؛ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ»** صَحِيح مُسْلِمٍ.

ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن هذه الأحاديث السابقة تشير إلى حقائق،

وهي: كثرة القتل في آخر الزمان،

وأن أغلب القتل يكون فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض،

وأن السبب الأساسيَّ لهذا القتل

يكون جرَّاء نزع عقول أكثر هذا الزمان،

فيبقى أُناسٌ لا عقول لهم،

وليس المقصود فقد العقل بالجنون؛ أو بنوع من الجذب،

ولكنه من شدَّة الفتن

تطيش الأفكار والآراء

حتى يصير الإنسان كالمجنون يقتل ويبطش.

تقارب الزمان

من علامات الساعة تقارب الزمان؛ أي أن الأيام ستمرّ بسرعة وتكون قصيرة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، وحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ».** رواه البخاري.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ»** رواه أحمد بسند صحيح.

السَّعَفَة: ورق النخل اليابس. ووقت احتراق السعفة بضع دقائق.

وقد اختلف العلماء في معنى تقارب الزمان؛

يحتمل أن يكون تقارب الزمان المراد به التقارب الحسي أو التقارب المعنوي؛

أما التقارب المعنوي؛

فمعناه ذهاب البركة من الوقت، وهذا قد وقع منذ عصر بعيد.

قال النووي: الْمُرَاد بِقِصَرِهِ عَدَمُ الْبَرَكَة فِيهِ، وَأَنَّ الْيَوْم مَثَلا يَصِير الانْتِفَاع بِهِ بِقَدْرِ الانْتِفَاع بِالسَّاعَةِ الْوَاحِدَة.

وقال الحافظ: وَالْحَقّ أَنَّ الْمُرَاد نَزْع الْبَرَكَة مِنْ كُلّ شَيْء حَتَّى مِنْ الزَّمَان، وَذَلِكَ مِنْ عَلامَات قُرْب السَّاعَة.

ومن التقارب المعنوي:

سهولة الاتصال بين الأماكن البعيدة،

فالمسافات التي كانت تُقطع قديماً في عدة شهور

صارت لا تستغرق الآن أكثر من عدة ساعات بالسيارات والطائرات.

قال الشيخ ابن باز:

التقارب المذكور في الحديث يُفسّر بما وقع في هذا العصر؛

من تقارب ما بين المدن والبلدان؛

وقِصر المسافة بينها

بسبب اختراع الطائرات والسيارات

ووسائل الاتصالات الحديثة.

وأما التقارب الحسّيّ؛ فمعناه:

أن يقصر اليوم قصراً حسياً،

فتمر ساعات الليل والنهار مروراً سريعاً،

وهذا لم يقع بعد،

ووقوعُهُ ليس بالأمر المستحيل،

ويؤيده أن أيام الدجال ستطول

حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة.

فكما أن الأيام تطول فكذلك تقصر.

وذلك لاختلال نظام الكون؛ وقرب زوال الدنيا.

قال السيوطي (الحاوي للفتاوي) في معنى الحديث:

قيل: هو على حقيقته نقص حسّيّ،

وأَنَّ ساعات النهار والليل تنقص قرب قيام الساعة.

وقيل: هو معنوي؛

وأن المراد سرعة مرّ الأيام ونزع البركة من كل شيء؛ حتى من الزمان؛

وفيه أقوال غير ذلك.

وهذه الأقوال الثلاثة:

نزع البركة؛

وسهولة الاتصال؛

والتقارب الحسي؛

لا تعارض بينها،

ولا مانع من حمل الحديث عليها جميعها.

ومنها ما قِيل: هُوَ مِنْ اِسْتِلْذَاذ الْعَيْش؛

يُرِيد أَنَّهُ يَقَع عِنْد خُرُوج الْمَهْدِيّ،

وَوُقُوع الْأَمَان فِي الْأَرْض،

وَغَلَبَة الْعَدْل فِيهَا؛

فَيَسْتَلِذّ الْعَيْش عِنْد ذَلِكَ،

وَتُسْتَقْصَر مُدَّته.

وَمَا زَالَ النَّاس يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّة أَيَّام الرَّخَاء وَإِنْ طَالَتْ،

وَيَسْتَطِيلُونَ مُدَّة الْمَكْرُوه وَإِنْ قَصُرَتْ.

لماذا نحن نشعر بأن الزمن يمر سريعا جدا حين نكون سعداء؟

و نشعر بأن الزمن يمر بطيئا جدا حين نكون تعساء؟

مع أن الساعات هي ذاتها؛ والثواني هي هي؟

يقول الشاعر الانجليزي (وليام شكسبير):

إن المرح والانتعاش يجعلان الساعات تبدو قصيرة.

بينما يقول الكاتب الأميركي (هنري فان ديك):

الوقت بطيء جدا لمن ينتظر، قصير جدا لمن يبتهج.

إذن: يمرّ الوقت بسرعة خارقة في الأوقات السعيدة؛

بسبب استلذاذ العيش؛

هل نفهم من ذلك أن سبب التقارب الحسي والتقارب المعنوي في الزمان؛

ذاك الذي سيظهر في آخر الزمان؛

وهو من علامات الساعة؛

سيكون سببه استلذاذ العيش؟

وهل سيتحقق عند خروج المهدي؟

تقارب الأسواق

تقارب الأسواق من علامات الساعة. عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُوشِكُ أَن لا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُقبَضَ العِلمُ، وَتَظهَرَ الفِتَنُ، وَيَكثُرَ الكَذِبُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَتَقَارَبَ الأَسوَاقُ»** متفق عليه.

في هذا الحديث الشريف؛

إخبار عن أُمور لم تكن معروفة زمن النبيّ ﷺ،

بل كان الإسلام في بداية انتشاره،

ولو كان النبيّ ﷺ يكذب كما يدَّعي أعداء الإسلام،

إذاً كيف استطاع أن يصوّر لنا الواقع الذي نعيشه اليوم؟

وكأنه يعيش بيننا؟؟

لو سرنا في أية مدينة حديثة اليوم؛

نرى السوق بجوار سوق آخر،

ونرى ما يسمى (المول) أو مراكز التسوُّق،

هذه (المولات) تنتشر بشكل لا يكاد يُصدق،

حتى إنك ترى سوقاً بجوار الآخر لا يفصل بينهما إلا شارع أو جدار!

هذه الأسواق لم تكن معروفة زمن النبيّ الكريم،

فمن الذي أخبره أن الأسواق ستتقارب؛
وتنتشر بهذا الشكل الكثيف؟

أمَّا تَقارُبُ الأسواقِ
فقَد جاءَ تَفسيرُه بما وقَعَ في زَمانِنا من تَقارُبِ أهلِ الأرضِ؛
كان بسَبَبِ وسائل النقل التجاري الجَوِّيَّ والبحري والأَرَضِيَّ السّريع،
واستخدام آلات النقل الثقيل: كالشاحنات؛ والأَدوات السهلة الحديثة،
واستخدام أجهزة الاتصالات الالكترونية السريعة: كالتلفونات الصوتية ؛
وأجهزة الفاكس التي تنقل الرسائل الورقية من أي مكان في العالم.

ثم ظهور وسائل حديثة أخرى:
كالفيس بوك؛ والواتس؛
والماسنجر؛ والأنستغرام؛
للتسويق التجاري على المستوى العالمي،
وغَيرِها مِنَ الوسائل والأجهزة؛ والآلاتِ الحَديثةِ؛
تلك الَّتي صارَت أسواقُ الأرضِ مُتَقارِبةً بسَبَبِها.

فلا يَكونُ عرض في السلع أو تَغييرٌ في الأسعارِ في دولة مِنَ الدول؛
لّا ويَعلَمُ به التُّجارُ في جَميعِ أرجاءِ الأرضِ،
فيَزيدونَ في السِّعرِ إن زادَ، ويَنقُصونَ منه إن نَقَصَ.

ويَذهَبُ التَّاجِرُ في الطائرة؛

إلى أسواقِ العالمِ الَّتي كانت تَبعُدُ عَنه في السابق مَسيرةَ أيام أو شهور أو أكثر،

فيَقضي حاجَتَه؛

ثُمَّ يَرجِعُ في يَومٍ أو أقل.

فقَد تَقارَبَتِ الأسواقُ بسبب هذه الوسائل والأَدوات.

ورُبَّما يَشمَلُ ذلك أيضًا؛ تَقارُبَ المُتاجِرِ من بَعضِها،

مِثلَ المَحَلَّاتِ والمراكز والمُجَمَّعاتِ التِّجاريَّةِ،

فهي كثيرةٌ ومتجاورةٌ.

وإذا كان المُرادُ بالحَديثِ تَقارُبَ الأسواقِ مِنَ النَّاسِ،

ففي وقتِنا الآنَ توجَدُ في الأحياءِ السَّكَنيَّةِ وغَيرِها شَوارِعُ تِجاريَّةٌ؛

ومَحَلَّاتٌ تَحتَ المُنازِلِ؛

ومَحَلَّاتٌ فَوْقَ المُنازِلِ؛

ومَحَلَّاتٌ أخرى بجانِبِها.

ولا يَكادُ يَخلو مَوضِعٌ الآنَ من مَتاجِرَ مُمتَدَّةٍ على جانِبَيِ الطَّريقِ،

وهيَ كثيرةٌ ومُتَلاصِقةٌ ؛

بحَيثُ أنَّ كُلَّ شَيءٍ صارَ مُتَوَفِّرًا وفي مُتَناوِلِ اليَدِ.

وظَهَرَت أيضًا الأسواقُ والمَتاجِرُ الإلِكتُرونيَّةُ عَبرَ الإنتِرنِت، وأصبَحَ الطَّلَبُ على الشِّراءِ مِنها مُتَزايِدًا بصورةٍ كبيرةٍ جِدًّا.

فالإنسانُ الآنَ يَختارُ وهو في بَيتِه؛
أصنافَ السِّلَعِ الَّتي يُريدُها؛
من أَسوَاق مَدينَة قَريبَة أَو بَعيدَة؛
في بَلَده؛ أَو منْ أيِّ مَكان في العَالَم،
ثُمَّ تَأتيه إلى بابِ مَنزِلِه في زمنٍ قصيرٍ.

ظهور الشرك في هذه الأمة

هذا من علامات يوم القيامة؛ وأشراط الساعة الّتي ظهرت، وهي في ازدياد، فقد وقع الشرك في هذه الأمة، ولحقت أعدادٌ منها بالمشركين،

وعبدوا الأوثان،

وبنوا المشاهد على القبور،

وعبدوها من دون الله،

وقصدوها للتبرُّك والتَقبيل والتعظيم،

وقدَّموا لها النُّذور،

وأقاموا لها الأعياد،

وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعزَّى؛

ومناة الثالثة العظمى.

أو أعظم من ذلك.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»** صحيح مسلم.

هذه أمور عظيمة لأنها عظيمة،

ولأن الخطأ فيها عظيم،

وَالخَطر فيهَا عَظيم.

اليوم اختلط المسلم بالكافر،

المسلمون سافروا إلى بلاد الكفار،

سافروا إلى أمريكا،

سافروا إلى إنجلترا،

وسافروا إلى فرنسا،

سافروا إلى مصر: فيها قبور ومقامات تُعبد،

سافروا إلى الشام وإلى العراق وإلى بلاد كثيرة؛

فيها قبور ومقامات،

فيُخشى أن يلتبس عليهم الأمر؛ ويظنون أن هذا من الدين،

وأن هذا لا بأس به؛

لأنهم رأوا في بلاد تسمّوا بلاد إسلامية، رأوا فيها قبورا تعبد،

ويأتيها الناس ويطوفون بها،

ويسألونها قضاء الحاجات، وتفريج الكُرُبات،

فينبغي أن يعلموا أن هذا شرك، وإن كان في بلاد تُسمَّى إسلامية،

وإن كان موجودًا في مصر أو في الشام؛ أو في العراق أو في غيرها،

حتى ولو وُجد في مسجد النبيّ ﷺ، أو في المسجد الحرام.

نعم في المسجد الحرام؛ بعض الجهَّال يأتي عند الكعبة يقول:

يا كعبة الله افعلي لي وافعلي؛ وهو يطوف،

يشرك بالله وهو يطوف،

بعض الجهلة يطوف بالكعبة ويسألها أن تقضي حاجته!

ماذا تملك الكعبة له؟

ماذا تملك له من دون الله؟

مثل ما يقول الجهلة: يا رسول الله اشفني؛ أو انصرني؛ أو ارزقني،

يا رسول الله: ترى العالم تكالب علينا، انصرنا يا رسول الله!

لماذا لا يدعو الله؟

لماذا لا يقول: يا الله!

كيف يمكن وقوع هذا الأمر في بلاد الحرمين؟

ناهيك أن يقع في بلاد إسلامية أخرى.

ماذا يفعل له رسول الله من دون الله؟

هذا شرك؛ هذا جهل عظيم.

كل بلد يمكن أن يقع فيها الشرك، كما ورد في بعض الأحاديث أن النبيّ ﷺ قال:

«إِنَّ الشَّيْطانَ قدْ أَيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ»

صحيح مسلم.

هذا قاله النبيّ ﷺ عن الشيطان،

يئس أن يُعبد في هذه الجزيرة،

قال عن الشيطان أنه يئس،

ولم يقل النبيّ: إن الله يأَّسَه؛

لا، قال: إنه يئس،

الشيطان يئس لما رأى ظهور الإسلام في الجزيرة،

ورأى دخول الناس في دين الله؛

يئس أن تعود الحال على الحال الأولى بعبادة الأصنام والأوثان،

وأن يعود الشرك.

لكن الرسول أخبرنا أن أشياء أخرى ستقع، قال النبيّ ﷺ: **«لا تقومُ السَّاعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أمَّتي بالمشركين، وحتى تعبدَ قبائلُ من أمَّتي الأوثانَ»** صحيح ابن ماجه؛ صححه الألباني.

هكذا أخبرنا رسول الله ﷺ وهكذا وقع.

وهكذا سيقع آخر الزمان.

قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«لا يَذهَبُ اللّيلُ وَالنَّهارُ حَتَّى تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزَّى، ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ رِيحًا طيِّبةً، فيُتَوَفَّى كُلُّ مَنْ كانَ في قَلبِهِ مِثقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ منْ إيمَانٍ، فيَبقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فيْه، فَيَرجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ»** صحيح الجامع للألباني.

سوف تعود جزيرة العرب كما قال النبيّ ﷺ،

سوف تعود في آخر الزمان عندما يُنزع القرآن من الصدور،

وعندما يُعَطّل حكم الله،

يعود الناس إلى الشرك في هذه الجزيرة العربية عند قيام الساعة.

والآن وُجد بعض ذلك،

وُجد من يشرك بالله في هذه الجزيرة،

من الحجاج والمعتمرين وغيرهم من الجهلة،

وممن جاؤوا هنا للعمل،

قد يشرك بالله هنا وفي اليمن، وفي أماكن أخرى،

وعند قبور البقيع،

وعند قبر النبيّ ﷺ، وعند قبر خديجة، وغيرها من المواضع الكثيرة.

ظهور الفحش والتفحّش

ظهور الفساد وقطع الأرحام وسوء الجوار؛ من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ.

عَن أنسِ بن مالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: **«إنَّ من أشراطِ السَّاعةِ الفُحشَ والتَّفَحُّشَ؛ وقَطيعةَ الأرحامِ؛ وائتِمانَ الخائِنِ؛ وتَخوينَ الأمينِ»** صحيح الجامع للألباني.

وزاد في رواية: **«وَسُوءُ الْمُجَاوَرَة»** رواه أحمد والحاكم: إسناده صحيح.

قوله: **«الفُحشُ والتَّفَحُّشُ»**: أي ظُهورُهما، وغَلَبَتُهما في النَّاسِ.

وواقِعُ اليَومِ يَشهَدُ لِصداقيَّةِ وُقوعِ هَذِه العَلامةِ بكُلِّ وُضوحٍ؛
فالألفاظُ النَّابيَةُ؛ والنِّكاتُ البَذيئةُ؛ غَدَت فاكِهةَ الُمجالِسِ،
وصارَت شَيئًا مُتَداوَلًا عاديًّا في وسائِلِ التَّواصُلِ الِاجتِماعيِّ،
وفي بَعضِ البَرامِجِ الإعلاميَّةِ الخَادشَة للحَياءِ،
إضافةً إلى ما تُقَرِّرُه الأفلامُ السِّينمائيَّةُ؛ وعَلى مَواقع الانتَرنت.
ألفاظٍ وحَرَكاتٍ خَليعةٍ ماجِنةٍ تُزَيِّنُ الفُحشَ، وتُحَسِّنُ القَبيحَ؛
حَتَّى اعتاده الناس والشعوب في البلَاَد الإسلامية؛

وباتَت أمرًا طَبيعيًّا لا يُثيرُ النُّفورَ والاِشمِئزازَ،
فالفُحشُ والتَّفَحُّشُ في عَصرِنا صارَ فَنًّا،
وغدَا أهلُه نُجومًا ومشاهيرا! أشراط الساعة لمحمد المبيّض؛ ص: ٢٣٨.

وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ؛ فنرى سوء الخلق ظاهرا بين الناس؛ كما نرى التقاطع وسوء الجوار حاصلا بينهم، وحَلَّ التباغض والتنافر بينهم محل التراحم والمحبة والصلة والمودة.

حتى إن الجار لا يعرف جاره،
والقريب لا يعرف عن بعض أقاربه وأرحامه؛
هل هم أحياء أم من الأموات!

ولا تَقِفْ أدوات التواصل المطلوب عند حدود التزاور بالمجاملات؛ والسؤال عن الأحوال عبر برامج التواصل الاجتماعي، لأن هذا أضعف الإيمان. بل إنها تعني كذلك عيادة المريض، ومواساة الفقير، والرحمة على الصغير، واحترام الكبير، وكفالة اليتيم، ورعاية أسرة المسافر، والوقوف في أيّام الشدائد، وغيرها من الأعمال التي تُبذل ولو من طرفٍ واحد: لقوله ﷺ: **«ليسَ الواصِلُ بالمُكافِئِ، ولكِنِ الواصِلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها»** رواه البخاري.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ أنَّ صِلةِ الرَّحِمِ والإحسانِ إلى الأَقاربِ ليسَ الشَّخصَ الَّذي يُقابِلُ الإحسانَ بالإحسانِ، ولكنِ الإنسانُ الكاملُ في صِلةِ الرَّحِمِ هو الَّذي إذا قَطَعَتْه رَحِمُه وصَلَها، أي: إذا أساء إليه أقاربُه أحسَن إليهم ووصَلهم.

وبين الأمس واليوم؛ نجد الفرق الشاسع والمفارقة في العلاقات الأسريّة؛

لما جاء عصر الانفتاح المزعوم مع الأوروبيين،

ليتفكّك بنيان الأسرة؛

ويعيش الأبناء والبنات كلٌّ لوحده،

وشيئاً فشيئاً؛ قلّ التواصل والتزاور؛

وقلّ السؤال عن الحال والأحوال،

ولا مُهاتفاتٍ ولا مُراسلات،

ما نتج عنه التفرّق والتباعد في المجتمعات،

نرى آثارَها اليوم في المحاكم ومراكز رعاية المسنين!

إن هذه القطيعة التي تأباها النفوس؛ وترفضها الفطرة السويّة؛ هي مخالفةٌ صريحة لمنهج الله القائم على التراحم والحرص على التقارب، وهذا يُفسّر الوعيد الشديد الوارد في حقّ المخالفين: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

تشبُّب المشيخة

من أشراط الساعة تشبُّب المشيخة: أي: ادعاء الشيوخ وهم كبار في السنّ أنهم شباب صغار، ويتم ذلك في أنواع من أنواع التقليد والغُشّ والتدليس مثل:

الصبغ بالسواد،

وعمليات التجميل التي تحدث الآن؛

وعمليات شدّ البشرة وترهلات الوجه والجلد.

إن هذا تحقّق في زماننا اليوم؛

شيوخ تجاوزا سنّ السبعين والثمانين

ومازالوا يصبغون الذقن بالسواد!

وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك نهيا شديدا.

روى عبدالله بن عباس عن النبيّ ﷺ قال: **«يَكونُ قومٌ يخضِبونَ في آخرِ الزَّمانِ بالسَّوادِ كحواصلِ الحمامِ لا يريحونَ رائحةَ الجنَّةِ»** صحيح أبي داود، صححه الألباني.

في هذا الحَديثِ أخبَرَ النبيّ ﷺ أُمَّتَه بكَثيرٍ من أُمورِ الغيْبِ؛ تَنبيهًا وعِظَةً لها؟

يقولُ النبيّ ﷺ: **«يكونُ»** أي: سيَحدُثُ هذا في المستقبَلِ،

وسيُوجدُ **«قَوْمٌ يَخْضِبُونَ»**، أي: يُغيِّرون لوْنَ شَعْرِهم ولِحاهم،

وذلك: «**في آخِرِ الزَّمانِ**»، أي: قُبَيْلَ قيامِ السَّاعَةِ بقليلٍ.
«**بالسَّوادِ**»، أي: باللَّونِ الأسْوَدِ «**كحَواصِلِ الحَمامِ**»، أي: لوْنُ شَعْرِهم أسوَدُ كصُدورِ الحَمامِ، فلَوْنُها أسْوَدُ في الغالِبِ «**لا يَريحُون رائحَةَ الجَنَّةِ**»، أي: هؤلاء القومُ.

وقيل: هذا إخْبارٌ عن هؤلاء القوْمِ وصِفَتِهم.
وذلك أنَّ النبيّ ﷺ قد أمَرَ بتغييرِ الشَّيْبِ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ (لوْنٌ أصْفَرُ) ونَهَى عن نتْفِه.
ونهى عن صَبْغِ الشَّعْرِ باللَّونِ الأسْوَدِ؛ لأنَّ فيهِ تغْريرًا وخِداعًا.

ونجد بعض الممارسات القبيحة يجترىء عليها كبار السنّ في آخر الزمان تقليدا للشباب دونهم في السنّ؛ حذّر منها رسول الله ﷺ؛ روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ... ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» صحيح مسلم.

وفي رواية: «**ثلاثةٌ لا يَدخُلونَ الجنَّةَ: الشيخُ الزَّاني...**» صحيح الترغيب للألباني.

كانَ النبيّ ﷺ كَثيرًا ما يُحذِّرُ أصحابَه رضي الله عنهم من سَيِّءِ الصِّفاتِ وقَبيحِ الأعمالِ، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ عَن ثَلاثةِ أنواعٍ من النَّاسِ:
«**لا يُكلِّمُهمُ اللهُ**» استِهانةً بهم وغضَبًا عَليهِم، عُقُوبَةً لهُم عَلى جُرمٍ قد وقَعوا فيهِ.
«**ولا يَنظُرُ إلَيهِمْ**»، وهذِه مُبالَغةٌ في العُقوبةِ؛ فلا يَنظُرُ اللهُ إلَيهِم نَظرةَ رَحمةٍ فيَرحَمَهُم.

«وَلا يُزَكِّيهِمْ». فَلا يُطهِّرُهم من ذُنوبِهم ولا من دَناءتِهم؛ ولا يَغفِرُ لهم.

«وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ». أي: فوقَ كلِّ تلكَ العُقوباتِ يُضاعِفُ علَيهِمُ العُقوبةَ.

أمَّا الأوَّلُ: فهوَ رَجلٌ كَبيرُ السِّنِّ قد وقَعَ في فاحِشةِ الزِّنا، معَ أنَّه قد بلَغَ منَ الرُّشدِ والعَقلِ وذَهابِ الشَّهوةِ ما يَردَعُه عن ذلك؛

فالشَّابُّ قد يَكونُ عِندَه شَهوةٌ ويَعجِزُ أن يَملِكَ نفسَهُ،

لَكنَّ الشَّيخَ قَد برَدَتْ شَهوتُه وزالَت؛

أو نقَصَت كَثيرًا؛ فالفاحِشةُ ليس لها سببٌ قويٌّ.

ومِثلُه المَرأةُ البالِغةُ العَجوزُ إذا زنَت.

فمَعصيةُ الشَّيخِ والشَّيخةِ العَجوزِ مَعصيةٌ تَفُوقُ مَعصيةَ الزِّنا منَ الشَّابِّ،

والزِّنا كُلُّه فاحِشةٌ ومنَ الكَبائرِ،

سَواءٌ منَ الشَّابِّ أو منَ الشَّيخِ،

لكنَّه منَ الشَّيخِ أشَدُّ وأعظَمُ.

والنَّوعُ الثاني: **"مَلِكٌ كذَّابٌ"**، أي: كَثيرُ الكَذبِ على الجَماهير؛

خدَّاعٌ لهم لِأجْلِ مَصلَحةِ حُكمِه وشَخصِه.

والنَّوعُ الثَّالِثُ: **"عائِلٌ"** أي: ذُو عيالٍ، وَهَذا كِنايةٌ عن كَونِه فَقيرًا، ولكنَّه عَلى ما فيه من فَقرٍ، فهو **"مُسْتكْبِرٌ"** أي مُتكبِّرٌ على النَّاس، ولا سَببَ يَجعَلُه يَتكَبَّرُ، بل كانَ الأحْرى به التَّواضُعَ للهِ وبينَ النَّاسِ؛ لأنَّ الفَقرَ يُوجِبُ لِلإنسانِ أن يَتواضَعَ.

ويَحتمِلُ المَعنى: أنَّ الفَقيرَ لَه عيالٌ كثير،

ولا يَقدِرُ عَلى تَحصيلِ نَفَقتِهم وكِسوتِهم،

وتَكبُّرُه هذا يَجعَلُه (تأخذه العزة بالإثم)؛

فلا يأخُذُ الزَّكاةَ والصَّدَقةَ؛

ولا يَقبَلُ أموالَ النَّاسِ ويُجوِّعُهم،

أو لا يَعملُ عَملًا؛ لأنَّه يَرى أنَّ هذا العملَ مُمتهِنٌ لَهُ،

فمَن كانت هَذه صِفتَه وقَعَ في الإثمِ؛

لإيصالِ ضَررِ الجُوعِ والعُريِّ إلى عيالِهِ،

ومَرجِعُ ذلكَ كُلِّه هو ما عِندَه من كِبرٍ،

والكِبرُ حَرامٌ منَ الغَنيِّ ومنَ الفَقيرِ،

لكنَّه منَ الفَقيرِ أشَدُّ؛

ولِهذا تَجِدُ النَّاسَ إذا رَأوْا غَنيًّا مُتواضِعًا

استغرَبُوا واستعظَمُوا ذلكَ منه،

لأنَّ العادةَ فيه التَّكبُّرُ.

كثرة الشحّ والهوى المتبع

ومن أشراط الساعة: كثرة الشحّ والبخل بين الناس. شحٌ مطاع؛ لافتةٌ تحذيريّة
رفعها النبيّ ﷺ في وجه أمّته؛
يحذّر فيها من فساد آخر الزمان،
ضمّها إلى جانب لافتاتٍ أخرى:
هَوَىً مُتّبع، وسوء خلق،
وإعجاب كلّ ذي رأيٍ برأيه،
وقطيعة رحم، وكثرة الهرج والمرج،
وانتشار الزنا، وظهور الربا، واستحلال ما حرّم الله،
ونزول الفتن،
وغيرها الكثير من القضايا التي تشير بجلاءٍ إلى قرب قيام الساعة.

وهذا ما حذَّرَ منه أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه عندما خَطَب في الناسِ على مِنْبَرِ رَسولِ الله ﷺ فقال: أيُّها الناسُ، إنَّكم تَقْرؤون هذه الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال أبو بكر رضي الله عنه: تضَعونها في غير مَوْضِعِهَا؛
يعني: تَفْهَمون منها أنَّكم غيرُ مُطالَبين بالأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ،

وأنَّ عليكم السَّعيَ في إصلاحِ النَّفْسِ فقط،

وليس كذلك؛

فَقَدْ قال رَسولُ الله ﷺ: **«إنَّ النَّاسَ إذا رأَوا المنكرَ ولا يُغَيِّرونَه، أَوشَكَ أن يَعُمَّهمُ اللهُ بِعقابِه»** إسناده صحيح؛ الجامع للألباني.

أي: يُعذِّبهم اللهُ جميعًا؛

يَستوي في ذلك الفاعلُ للمُنْكِرِ والسَّاكتُ عنه؛

لأنَّ سُكُوتَهم وتَرْكَهم له رِضًا به،

وسببٌ في انتشارِه أيضًا.

وجَاء في تفْسيرِ هذِه الآيةِ: أنَّ المقصودَ منها هو أنْ يُلزَمَ المرءُ إصلاحَ نفْسِهِ في آخِرِ الزَّمانِ عند فَسادِ الناسِ، كما في سُنن الترمذيِّ وغيرِه.

عن أبي أُميَّةَ الشَّعْبانيِّ، قال: سألْتُ أبا ثَعْلبةَ الخُشَنيَّ رضي الله عنه قُلْتُ: يا أبا ثَعْلبةَ، كيف تقولُ في هذه الآيةِ: ﴿عَلَيْكُم أَنفُسَكُم﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال: أَمَا واللهِ لقَدْ سألْتَ عنها خبيرًا؛ سألْتُ عنها رسولَ الله ﷺ، فقال: **«ائتَمِروا بالمعْروفِ، وانْتَهُوا عن المُنْكَرِ، حتى إذا رأَيْتُم شُحًّا مُطَاعًا، وهوًى مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذِي رأْيٍ برأْيِه، فعليكَ بنَفْسِكَ، ودَعْ عَنْكَ العَوَامَّ؛ فإنَّ من ورائِكم أيامَ**

الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فيهنَّ مثلُ القَبْضِ على الجَمرْ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجْرِ خمسينَ رَجُلًا يعملونَ مِثلَ عَمِلكُم» مجموع الفتاوى لابن تيمية.

ذكر ابن باز رحمه الله: هذا حديث أبي ثعلبة لا بأس به.

والشحّ المطاع يعني: الحرص على الدنيا،

والناس اتّبعوا أهواءهم،

وآثروا دنياهم؛

فإذا استطاع المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛

فإنه يأمر وينهى؛

أما إذا عجز ولم يجد له نصيرًا،

ويخاف على نفسه من ضرب، أو سجن، أو أشد من ذلك؛

فهو معذور،

وعليه بنفسه، وليتَّق الله في نفسه وأهله.

فالإنسان يأمر بالمعروف وإن تركه الناس،

وينهى عن المنكر وإن إتبعه الناس؛

لا يَتَساهل ويقول: الناس ما فيهم حيلة،

لا؛ يأمر وينهى حسب طاقته، إلا إذا خشي على نفسه.

فشُوُّ التِّجارةِ وانتشارُها

من عَلامَاتِ السَّاعَةِ التي أَخْبَرَ عَنهَا رَسُولُ الله ﷺ، والتي ظَهَرَتْ، ومَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً، بَل هيَ في ازْدِيَادٍ: فشُوُّ التِّجَارَةِ وانْتشَارُهَا، ومن فُشُوِّهَا مشَارَكَةُ المَرْأَةِ فِيهَا، بِحَيثُ إنَّ من النِّسَاءِ من يَكُنَّ تَاجِرَاتٍ، ويُشَارِكْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بذلكَ.

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ، وَتَفْشُو التِّجَارَةُ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَتُقْطَعُ الْأَرْحَامُ»** إسناده صحيح.

أَخْبَرَنا النبيّ ﷺ بعَلاماتِ اقْتِرابِ يوْمِ القِيامَةِ وأشْراطِه؛

حتى نكونَ على اسْتِعدادٍ له بالتَّوبَةِ وإخْلاصِ الإيمانِ لله،

ومن ذلك أنَّه ﷺ قال:

«بين يَدَيِ الساعَةِ»، أي: مِنْ عَلاماتِ قُرْبِ القِيامَةِ.

«فُشُوُّ التِّجارَةِ»، أي: انْتِشارُها

«حتى تُعينَ المَرْأَةُ زَوْجَها على التِّجارَةِ»

وذلك بأنْ تُتاجِرَ معه في الأسْواقِ؛ بل ومع غيْرِ زَوْجِها.

«وقَطْعُ الأرْحامِ» أي: عَدَمُ التَّواصُلِ والتَّوادُدِ بين الأقارِبِ.

«وفُشُوُّ القَلَمِ»، أي: انْتِشارُ الكِتابَةِ وظُهورُ العِلْمِ.

«وظُهورُ الشَّهادَةِ بالزُّورِ» بأنْ يَشهَدَ المَرْءُ بما لا يَعلَمُ؛ أو يَشهَدَ على غيْرِ الحقيقةِ عَامدا مُتَعمّدا.

«وكِتْمانُ شَهادَةِ الحَقِّ» أي: إخْفاءُ شَهادَةِ الحَقِّ في القَضاءِ وغيْرِه خوْفًا أو تَكاسُلًا.

وهذه عَلاماتٌ تَدُلُّ على ظُهورِ الباطِلِ واسْتِقْوائِه على أهْلِ الحَقِّ.

وَقَد تَحَقَّقَ ذَلك فيما بَعد؛

منَ العُصُور اللّاحقَة حَتّى زَمَاننا اليَوم؛

وفي الحديثِ: نُبُوءَة مِنْ دَلائل نُبوَّته ﷺ.

وروى النسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ،وَيظْهَرَ الْقَلَمُ، وَيبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ: لا، حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلاَنٍ، وُيلْتَمَسَ فِي الْحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فَلاَ يُوجَدُ»**

صحيح النسائي. صححه الألباني.

في هذا الحديثِ عَلامات تدُلُّ على اقترابِ قِيامِ الساعة:

«أن يَفْشُوَ المالُ ويَكثُرَ»، أي: يَزيدَ ويَظهَرَ في أيدي النَّاسِ.

«وتَفْشُوَ التِّجارةُ» أي: أعمالُ البيعِ والشِّراءِ.

«ويظهَرَ العِلمُ»، أي: يَزدَهِرَ؛ والمرادُ هنا العِلمُ الدُّنيَويُّ، خاصَّةً أنَّ الجهلَ بأَحكام الشَّرعِ مِن عَلاماتِ السَّاعةِ. وقيل: مَعْنى: **«ويَظْهَرَ العِلْمُ»**، يَزولُ ويَرتفِعُ، أي:

يَذهَبُ العِلمُ عن وجهِ الأَرْضِ.

وفي رواية زاد: «**ويَظْهَرَ الجَهْلُ**» بِسَببِ اهْتِمامِ النَّاسِ بِأمرِ الدُّنيا، كما قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧].

وهذا واضحٌ في أحوالِ كثيرٍ مِن النَّاسِ والأُممِ الآنَ؛

يَزيدُ العِلمُ الدُّنيَويُّ عِندَهم،

ويَقِلُّ العلمُ الأُخرَويُّ،

أو يكونُ العِلمُ بلا عمَلٍ نافعٍ في الآخرةِ.

روى البُخاريُّ مِن حديثِ أَنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مِن أشراطِ السَّاعةِ: أن يُرفَعَ العِلمُ ويَثبُتَ الجَهلُ**».

ثم قال: «**ويَبيعَ الرَّجلُ البيعَ فيقولَ: لا**»، أي: لا يَعقِدَ البيعَ ويَجزِمَ به.

«**حتَّى أستَأمِرَ تاجِرَ بَني فلانٍ**»، أي: فيما انتهَت إليه السِّلعةُ مِن ثَمنٍ وسِعرٍ، إشارةً إلى التَّغيُّرِ المستمرِّ، وكذلك حِرْصِ النَّاسِ على الدُّنيا.

«**ويُلتَمَسَ**»، أي: يُطلَبَ.

«**في الحيِّ العظيمِ**»، إشارةً إلى الأماكِنِ الَّتي يَكثُرُ بها النَّاسُ.

«**الكاتِبَ**»، أي: الكاتبَ الأَمينَ الَّذي لا يَطمَعُ في أُجرَة مَالية ليَكتُبَ بينَهم بالحقِّ.

«**فلا يُوجدَ**»، أي لا يَجِد أحَداً يَكتُبُ له، أو لا يوجَدُ الكاتِبُ الَّذي به صِفةُ العدالةِ والأمانةِ. وَقَد تَحقَّقَ هذا في زَمَاننا اليَوم.

وفي هذا الحديثِ: إخبارُ النبيّ ﷺ بالغَيب.

وفيه: التَّحذيرُ مِن حِرْصِ النَّاسِ على المالِ.

وفيه: إشارةٌ إلى انتِشارِ العِلمِ الدُّنيَويِّ، الذي يُقابِلُه الجَهلُ بأمورِ الدِّينِ والبُعدُ عن الآخرةِ في آخرِ الزمان.

وفيه: تحذيرُ التُّجَّارِ مِن الحِرصِ على إفشاءِ الغَلاءِ في السِّلَعِ بما يتَّبِعونه من أساليبَ وحِيَلٍ.

وفيه: بيانُ أنَّ السَّاعةَ تَقومُ وقد نُزِعَ مِن الدُّنيا الخيرُ.

حَدِيثُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَن فُشُوِّ التِّجَارَةِ؛ مَحْمُولٌ على مَن جَعَلَ التِّجَارَةَ هَمَّهُ وشُغْلَهُ الشَّاغِلَ، بِحَيْثُ يَشْتَغِلُ بِهَا عَن فَضَائل الأَعمال، وتُلْهِيهِ عَن الوَاجِبَاتِ.

قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

وفي هذا الزمن الذي تزداد فيه المصاعب والأزمات،

يبحث كثير من الناس عن طرق لزيادة المال في تجاراتهم ومشاريعهم.

فهل هناك أسرار تَفتح لهم أبواب الرزق؟

من كان يريد تحصيل الرزق وزيادة المال فيه؛ فإن عليه مناجاة الله والتوكل عليه،

فإذا أعطى عباده أدهشهم بعطائه،

فمن رضي كان له الرضا.

وزيادة المال منحة إلهية لا تقاس بالأسباب المادية والقدرات البشرية،

فإذا كنت تعمل في التجارة أو تدير مشروعًا خاصًا بك،

فمن المهم جدًا أن تفهم بأن:

١- تقوى الله تعالى سبب يجلب لك الرزق والمال؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٢- التوبة والاستغفار: وفي هذا السياق، يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح:١٠-١٢].

وقال النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ﴾. ويُقصد به هنا الرزق الحلال المبارك على المدى الطويل. وإلا فالكفار والعصاة يُرزقون أيضا.

٣- الشكر لله تعالى: على الإنسان أن يشكر ربه على نعمه العظيمة، ليزداد من هذه النعم؛ وأن يحمده على فضله؛ قال الله تعالى.: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

ويجب على كل إنسان أن يشكر الله في كل أحواله، وإذا أنعم الله عليه ومدّه بالنعم والأموال؛ فإنه حريٌّ به أن يشكر الله أكثر، ليزداد أكثر؛ كما وعده ربه.

٤- الصدقة والإنفاق في سبيل الله: وهو ما يهبه المسلم من ماله أو عمله لمن يستحقه

رجاء ثواب الله ومغفرته، وهو من أسباب كثرة الرزق والبركة فيه، وكثير من الناس يخشون الصدقة والإنفاق خوفاً من الفقر، مع أن الله تعالى قد حثنا على الإنفاق في آيات كثيرة، ومن ذلك: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

هذه الآية وردت بشارة للمنفقين في سبيل الله؛ بأن الله سيعوضهم عما أنفقوا في دار الدنيا بالخير والبركة، وفي دار الآخرة بالجزاء والثواب.

ومن ذلك قول النبيّ ﷺ في الحديث القدسي: «**قالَ اللهُ ﷻ: يَا ابنَ آدَم، أَنْفِقْ أُنفِقْ عَلَيْك**» رواه مسلم.

وقوله أيضاً: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العبَادُ فيه إلاّ مَلَكَان يَنزلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخرُ: اللّهُمَّ أَعْطِ مُمسِكاً تَلَفًا**» متفق عليه.

٥- العطف والإحسان بالضعفاء: فقال رسول الله ﷺ: «**هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**» رواه البخاري.

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ابغُوني الضُّعفَاءَ، فَإِنَّما تُرزَقونَ وَتُنصَرُونَ بِضُعَفَائِكُم**» السلسلة الصحيحة للألباني. إسناده صحيح.

تصْدِيقُ مَا جَاءَ بِهِ «فُشُوِّ التِّجَارَةِ»

لقد انْتَشَرَتِ التِّجَارَةُ، حَتَّى صَارَ التَّنَافُسُ على الدُّنيَا، مِمَّا جَرَّ الأُمَّةَ إلى ضَعْفِ العِلم وَالجَهل بالدِّينِ، وتَفْرِيقِ الكَلِمَةِ، بَل كَانَتْ سَبَبَاً لِهلاكِ الأُمَّةِ، وتَحَقَّقَ في الأُمَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ.

جَاءَ في الحَدِيثِ الذي رواه الشيخان عَن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: **«فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»** متفق عليه.

وهذا هوَ الذي وَقَعَ في زماننا اليوم،
حَتَّى وَجَدْنَا أَخَوَيْنِ خَرَجَا من ظَهْرٍ وَاحدٍ وبَطْنٍ وَاحِدَةٍ،
اِخْتَلَفَا على الدُّنيَا؛ حَتَّى حَلَّتْ بِهِم المَشَاكِلُ والمُنَازَعَاتُ والخُصُومَاتُ،
بَل وَصَلَ الأَمْرُ إلى المَحَاكِمِ والتَّدَابُرِ والتَّقَاطُعِ.

عَلامَةٌ من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ

لقد حَدَّثَ سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ عن **«فُشُوِّ التِّجَارَةِ»** عَلامَة منْ عَلامَات السَّاعَةِ،
والوَاقِعُ جَاءَ مُصَدِّقاً لِمَا أَخْبَرَ بِهِ!
لَقَد أَصْبَحْنَا نَرَى المَدِينَةَ الصَّغِيرَةَ؛
كَانَت قَبلَ سَنَوَاتٍ سُوقُهَا مَحْصُوراً في شَارِعٍ وَاحِدٍ؛
الآنَ أَصْبَحَتِ كُلُّهَا سُوقاً،
وتَحَوَّلَتْ مُعْظَمُهَا إلى مُجَمَّعَاتٍ تِجَارِيَّةٍ،
أَضْعَافَ أَضْعَافَ حَاجَةِ البَلَدِ.

والعَجِيبُ أَنَّ التُّجَّارَ يَشْكُونَ من كَسَادِ السُّوقِ،
وفي المُقَابِلِ:
هُنَاكَ ازْدِيَادٌ مُتَضَاعِفٌ في فَتْحِ مَحَلَّاتٍ وَمَراكزَ تجاريّة أُخْرَى وجَدِيدَةٍ.

بِمَاذا نُفَسِّرُ هذا؟
تَفْسِيرُهُ الوَحِيدُ: أَنَّهُ عَلامَةٌ من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

إنّ من مَظَاهِرِ فُشُوِّ التِّجَارَةِ،
أَنَّكَ تَرَى التَّاجِرَ الوَاحِدَ يُتَاجِرُ في الشَّرْقِ والغَرْبِ،

وقد صَارَتْ أَمْوَالُهُ يَتَصَرَّفُ فِيهَا شَرْقاً وغَرْباً،
تَرَاهُ مُقِيماً في بَلَدٍ وأَرْصِدَتُهُ المَالِيَّةُ في أَقْصَى الأَرْضِ،
بَل تَرَاهُ في بَلَدٍ وشُرَكَاؤُهُ في أَقْصَى الدُّنيا.

وتَرَى رِجَالَ الأَعْمَالِ في بِلادِ المُسْلِمِينَ؛
وأَمْوَالَهُم في بُنُوكِ الشَّرْقِ والغَرْبِ؛ والشَّمَالِ والجَنُوبِ.

«حتّى تُعِينَ الْمَرْأةُ زَوْجَهَا عَلَى التّجَارَةِ»

من مَظَاهِرِ عَلامَاتِ السَّاعَةِ التي أَخْبَرَ عَنهَا رَسُولُ الله ﷺ، والتي ظَهَرَتْ، ومَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً، بَل هيَ في ازْدِيَادٍ؛ ظَاهرة فُشُوِّ التِّجَارَةِ ومُشَارَكَةُ المَرْأَةِ الزَّوْجَ في التِّجَارَةِ، حَتَّى صَارَ كَسْبُ المَرْأَةِ وَبَالاً عَلَيهَا،

فَتَمَرَّدَتْ على الزَّوْجِ،

بَل اسْتَغْنَتْ عن الزَّوَاجِ كُلّه بالتِّجَارَةِ،

والبَعْضُ مِنهُنَّ تُضَحِّي بالأُسْرَةِ مُقَابِلَ العَمَلِ،

ومَا ذَاكَ إلا لِحُبِّ المَالِ الذي أَدَّى إلى تمرّد كَثِيرٍ من النِّسَاءِ،

وكَيفَ لا يَكُونُ هذا التّمرّد واللهُ تعالى يَقُولُ:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:٦-٧].

ومع حصول المرأة المسلمة على شهادات جامعية عالية؛

واكتسابها مهارات عمل،

زادت فرص وصولها إلى مراكز قيادية في المؤسسات؛

هنا يظهر التساؤل:

هل المرأة العاملة استطاعت الحفاظ على التوازن بين عملها وأفراد أسرتها؟

إن من أكبر سلبيات عمل المرأة خارج المنزل؛

هو عدم تواجدها بشكل كاف مع زوجها وأطفالها وأفراد أسرتها،

هذا قد يؤدي إلى اختلال توازن الأسرة؛

وتأثر سلوك الأسرة ونفسية الأطفال.

لكن حينما تكون الأم هي العائل الوحيد لأسرتها؛

أو فقدان الزوج بوفاة أو طلاق؛

فإن الخيارات كلها تتعطل؛

ولا يبقى سوى خيار العمل الشريف في مكان آمن.

وكم من سيدة حملت هذا العبء؛

أكثر مما يحمله الرجال.

«لا، حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلَانٍ»

من مَظَاهِرِ **«فُشُوِّ التِّجَارَةِ»**، أَنَّ التَّاجِرَ لا يَبِيعُ حَتَّى يَسْتَأْمِرَ التُّجَّارَ، أو شَيْخَ التُّجَّارِ كَمَا يَقُولُونَ، وهذا من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَمَا قَالَ ﷺ: **«وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ: لا، حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلَانٍ»**.

وفي هذا إِشَارَةٌ لِبَيَانِ كَثْرَةِ اهْتِمَامِ النَّاسِ بالدُّنيَا،

وحِرْصِهِم على صَلاحِهَا،

ولَكِنْ وبِكُلِّ أَسَفٍ على حِسَابِ الدِّينِ.

فَلا هُمْ قَدِرُوا للدُّنيَا قَدْرَهَا،

ولا جْعَلُوا لَهَا حَظًّا دُونَ أَنْ تَكُونَ هيَ التي تَسُدُّ الأُفُقَ؛

فلا يَرَوْنَ غَيْرَهَا،

ولا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا،

ولا يَنْظُرُونَ إلى غَيْرِهَا.

إنّ مُصِيبَةُ المَصَائِبِ إذا دَخَلَتِ الدُّنيَا القُلُوبَ،

وتَعَلَّقَتْ بِهَا النُّفُوسُ،

وشَغَلَتِ العُقُولَ والأَفْكَارَ حَتَّى تُنْسِي العَبْدَ دِينَهُ،

وتُنْسِيَهُ آخِرَتَهُ،

وتُجَرِّئَهُ على المُحَرَّمَاتِ بِدُونِ مُبَالاةٍ،

وتُنْسِيَهَ كُلَّ الوَاجِبَاتِ.

فالدُّنيَا إذا حَلَتْ أَوْحَلَتْ،

الدُّنيَا خَدَّاعَةٌ،

كَم من مَلِكٍ رُفِعَتْ لَهُ عَلامَاتٌ،

فَلَمَّا عَلا وارتفع؛ مَاتَ.

الحياة الدنيا إغراءات وتسليات مؤقتة،

تغري المؤمن وتخدعه

بشكل يجعله يظن بأنها ستدوم لفترة طويلة

ولكنها في الحقيقة قريبة الزوال.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ومعنى قوله: ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: أي الحياة الحقيقية التي لا موت بعدها.

كثرة الزلازل

كثرة الزلازل من علامات الساعة، وذلك لِما رواه البخاري وغيره أن النبيّ ﷺ قال:
«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ...» صحيح البخاري.

الزَّلازِلُ: جَمْعُ زَلْزَلَةٍ وَهِيَ حَرَكَةُ الأَرْضِ واضْطِرابُهَا؛ حَتَّى رُبَّمَا يَسْقُطُ الْبِنَاءُ الْقَائِمُ عَلَيْهَا. فتحلّ ألوان البؤس والحرمان، وتبرُز حجم الكارثة التي حصلت.

بيوتٌ مهدّمة،

وأشلاءٌ ممزّقة،

وجثثٌ متحلّلة،

ورائحة الدمار،

وألسن النيران تلتهم البقيّة الباقية في المكان،

وأناسٌ حيارى قد اعترتهم الصدمة القاسية،

يذهبون؛ ولكن إلى غير مكان،

سُكارى بوقع المصيبة،

إنها الزلازل الأرضيّة.

هذه هي صورة الكرب الإنساني المعروف باسم الزلازل،

إنها حركة الأرض واهتزازها

بسبب حركة الصفائح الأرضيّة؛ كما يقول علماء الجيولوجيا،

وقد جاء عددٌ من الأحاديث الصحيحة في هذه الظاهرة الكونية عن رسول الله ﷺ؛

تبيّن أن كثرة الزلازل في آخر الزمان؛ ستكون علامةً واضحةً على قرب قيام الساعة قرباً شديداً.

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى...** وذكر أمورا منها: **الزَّلَازِلُ**».

وعن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان عنده فخاطبه قائلاً: «**يا ابنَ حَوَالَةَ ! إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نَزَلَتِ الأرضَ المُقَدَّسَةَ، فقد دَنَتِ الزلازلُ، والبَلابلُ، والأمورُ العِظامُ، والساعةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ من الناسِ من يَدِي هذه مِن رأسِكَ**» صحيح الجامع؛ صححه الألباني.

وقد نجد في بعض كتب أهل العلم

من يُفسّر الزلازل بالفتن والحروب الواقعة في آخر الزمان؛

وقد بيّن الإمام ابن رجب الحنبلي عن الصواب؛

وردّ على هذا الرأي

فقال: وأما كثرة الزلازل فالمقصود أنها الزلازل المحسوسة،

وهي ارتجاف الأرض وتحركها.

فالتاريخ يشهد بحدوثها على فترات من الزمن؛

وقد وقع في كثير من البلاد شرقها وغربها كثير من الزلازل،
ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها: شمولها ودوامها.

وبالنسبة لنا في هذا الزمان؛
فإن ظهور الزلازل آيات وعيد وتخويفٌ من الله تعالى لأهل الأرض،
كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وهي جاريةٌ على القانون الإلهيّ من تمحيص أهل الإيمان وابتلائهم، والغضب على أهل العصيان ومعاقبتهم، يُراد منه التنبيه والتذكير بعواقب الذنوب، وضرورة التوبة واللجوء إلى الله تعالى، وهذه النظرة المتوازنة شديدة الوضوح في السياقات القرآنية والأحاديث النبويّة.

ولذا نجد الربط بين أنواع العذاب وأعمال العباد في مثل قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠].

كما نجد الربط بين البلاء وتكفير الذنوب في قول النبيّ ﷺ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه.

وهذا الوضوح هو الذي جعل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين زُلزلت المدينة في أيامه: (يا أهل المدينة، ما أسرع ما أحدثتم، والله لئن عادت لأخرجنَّ من بين أظهركم).

ففسّر هذه الزلزلة بتقصير أهل المدينة ووجود المعاصي، فخشي أن تعمّه العقوبة بسببهم.

وآيات كونية كثيرة نراها اليوم: كالزلازل والبراكين والتسونامي والأعاصير والجفاف وغيرها، ومن السَّذاجة أن نعتبرها ظواهر طبيعية فقط؛ كما عند دعاة التفكير المادي. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. لكن نحن نؤمن على أنَّه وإن كانت في ظاهرها ظواهر، لكنها عذابات وتخويف وتذكير؛ وإيقاظ للغافل لأجل الرجوع إلى الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام:٤٣]. فكم من كارثة مدمرة ألجأت الناس إلى المساجد يدعون الله فيها ويتضرعون إليه. وكم من بركان وطوفان اليوم؛ وكم من زلزال وبركان ومصائب وكوارث طبيعية يفسرونها لأسباب جيولوجية؛ وهي في الحقيقة عقوبة من الله الجبار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

علماء الجيولوجيا في زماننا اليوم

أما تفسيرات علماء الجيولوجيا في زماننا اليوم؛ فالزلازل ليست سوى تحرّكاتٍ في القشرة الأرضيّة؛ والتواءاتٍ في الطبقات الصخريّة ليس لها بعدٌ ديني أو (ميتافيزقي) كما يُعبّرون عنه؛ وأنه لا يمكن التنبّؤ الدقيق أو التصوّر التقريبي لموعد حدوث الزلازل؛ وتحديد نطاقاتها.

وكأننا نرى سورة الأنعام تفضح حالهم وتبيّن حقيقتهم: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣].

والرّد عليهم يكون ببيان أن كلّ ما يجري في الكون من أحداثٍ ومتغيّرات إنما هو جارٍ على سنن وقوانين إلهيّة معلومة، لكن معرفة هذه القوانين التي يسير الكون على وفقها لا تنفي وجود غاياتٍ غيبيّة يريدها خالق الكون.

علماء الجيولوجيا وما يمتلكونه من قدرات؛
هل استطاعوا الكشف عن موعد زلزال واحد قبل وقوعه؟
هل استطاعوا الكشف عن ثوران بركان واحد قبل وقوعه؟
فلماذا هذا الادعاء والاستكبار والتفلسف؟
أم أنهم: ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٤٣].

قلة الرجال وكثرة النساء

من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ التي تَحَدَّثَ عَنْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ذَهَابُ الرِّجَالِ، وَكَثْرَةُ النِّسَاءِ، بِحَيْثُ يَكُونُ لِكُلِّ خَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ أي: رَجُل وَاحد.

روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُوَ الزِّنَا، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ»** صحيح البخاري.

وروى الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَن النبيّ ﷺ قَالَ: **«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... يُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ، وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»**.

هذا الأَمْرُ لَمْ يَقَعْ بَعْدُ،

وَسَيَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ،

وَإِنْ كَانَ ازْدِيَادُ عَدَدِ النِّسَاءِ قَد ظَهَرَ في عَدَدٍ من الدُّوَلِ،

بِحَيْثُ صَارَ عَدَدُ النِّسَاءِ يَزِيدُ على عَدَدِ الرِّجَالِ في بَعْضِ البِلادِ أَكْثَرَ من اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ بالمِئَةِ.

ولا تَعَارُضَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ؛ حَيْثُ ذُكِرَ في الأُولَى خَمْسِينَ، وفي الثَّانِيَةِ أَرْبَعِينَ، إِذْ يُمْكِنُ

الجَمْعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الأَرْبَعِينَ دَاخِلَةٌ فِي الخَمْسِينَ؛ أَو أَنْ يَكُونَ العَدَدُ بِعَيْنِهِ غَيْرَ مُرَادٍ، بَلْ أُرِيدَ المُبَالَغَةُ فِي كَثْرَةِ النِّسَاءِ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ.

لماذا الاتِّبَاعُ؟

يَتْبَعُ النِّسَاءُ الرِّجَالَ طَلَبًا للنِّكَاحِ حَلالًا أَو حَرَامًا،

أَو يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ باتِّبَاعِهِنَّ لَهُ؛

أَنْ يَنْتَمِينَ إِلَيْهِ، لِيَقُومَ بِحَوائِجِهِنَّ، ويَذُبَّ عَنْهُنَّ،

ولا يَطْمَعَ أَحَدٌ بِهِنَّ.

وَهَذا مِنْ مَسَاوِئُ آخِرِ الزَّمَانِ؛

نَطَقَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ،

وَمَا نَطَقَ بِهَا إلا لِيُحَذِّرَ الأُمَّةَ من أَنْ يَقَعُوا فِي شَيْءٍ مِنْهَا؛

ومن أَخطَرَ هذهِ المَسَاوِئِ اِنْتَشَارَ جَرِيمَةُ الزِّنَا بشَكلِ وَاسع. وهذا مَا أَكَّدَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ بِقَوْلِهِ: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ»** صحيح البخاري.

الْحِرَّ: هُوَ الْفَرْجُ، وَالْمَعْنَى: يَسْتَحِلُّونَ الزِّنَا.

فَمِنْ عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ قِلَّةُ الرِّجَالِ وَكَثْرَةُ النِّسَاءِ، مَعَ رَفْعِ العِلْمِ وَكَثْرَةِ الجَهْلِ،

مَا ذَاكَ إلا نَتِيجَةَ الحُرُوبِ والفِتَنِ، فَيُقْتَلَ الرِّجَالُ.

أَو أنّ النِّسَاءُ يَلِدْنَ إِنَاثَاً أَكْثَرَ من وِلادَتِهِنَّ الذُّكُورَ،

أَو بِسَبَبِ المَلْحَمَةِ الكُبْرَى التي سَيُقْتَلُ فِيهَا من كُلِّ مَئَةٍ تَسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَجُلاً.

وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَنْحَسِرُ الفُرَاتُ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ،

فلا يَبْقَى إلا رَجُلٌ وَاحِدٌ

مَعَ كَثْرَةِ مَا تَرَكَ هؤلاءِ الرِّجَالُ خَلْفَهُم من زَوْجَاتٍ وَبَنَاتٍ وَغَيْرِهِنَّ،

لِذَا سَيَبْقَى النِّسَاءُ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ،

حَتَّى تَحْتَاجَ خَمْسُونَ امْرَأَةً رَجُلاً وَاحِدَاً يَقُومُ على شُؤُونِهِنَّ

خَوْفَاً من اعتدَاءَات المجتَمَع.

قال النووي في شرحه على مسلم: يتهارجون تهارج الحمر؛ أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.

وقد ورد في خصوص الجماع في الطريق حديث رواه الحاكم في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة، وفي لفظ: لا تقوم الساعة حتى لا يقال لا إله إلا الله؛ وحتى توجد المرأة نهارا جهارا؛ تنكح وسط الطريق؛ لا ينكر ذلك أحد، ولا يغيره، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو نحيتها عن الطريق قليلا.

مرور الرجل بقبر، يتمنّى لو كان مكانه

من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ التي أَخْبَرَ عَنْهَا رَسُولُ الله ﷺ، والتي لَمْ تَقَعْ بَعْدُ بِشَكْلٍ عَامٍّ؛ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ من القُبُورِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيَتَمَنَّى لَو كَانَ مَكَانَ صَاحِبِهِ، وَذَلِكَ من شِدَّةِ البَلاءِ، والخَوْفِ على دِينِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»** صحيح مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن النبيّ ﷺ قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»** متفق عليه.

لَقَد نَهَى سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ عَن تَمَنِّي المَوْتِ لِأَجْلِ مَرَضٍ أَوْ ضِيقِ حَالٍ أَوْ ضَرَرٍ مَسَّ الإِنْسَانَ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَال: **«لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»** صحيح البخاري.

أَمَّا إِذَا كَانَ تَمَنِّي المَوْتِ خَوْفاً من ضُرٍّ يَتَوَقَّعُهُ الإِنْسَانُ في الدنيا أو الآخِرَةِ، فلا حَرَجَ

فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا بِذَلِكَ.

إنّ عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ تَمَنِّي المَوْتِ خَشْيَةَ البَلاءِ،

وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَكْثُرُ الفِتَنَ والمِحَنُ وَسَائِرُ الضَّرَّاءِ،

حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُم لَيَتَمَنَّى ظُهُورَ الدَّجَّالِ من شِدَّةِ مَا يَجِدُ من البَلاءِ.

عَن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيَأْتِيَنَّ على أُمَّتِي زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ»**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: **«مِمَّا يَلْقَوْنَ من العَنَاءِ والعَنَاءِ»** روى الطَّبَرَانِيُّ في الأَوْسَطِ.

تمنِّي الناس الموت في زمان يكثر فيه الظلم والفتن والبلاء؛

حتى يمر الرجل بقبر صاحبه؛

فيتمنى أن يكون هو صاحب القبر؛

لما يُلاقي من البلاء والمحن؛

وتخلصاً من واقعه الأليم الذي هو أشدّ من الموت.

فالمصاعب والفتن جزء لا يتجزّأ من طبيعة الحياة، لا يمكن أن ينفكّ عنها، ولن تخلو الحياة أبداً من الشدائد والخطوب، وما الموت والحياة وما بهما من المظاهر والأحداث إلا جزءٌ من الاختبار العظيم للوجود.

ولم تزل البلايا والفتن تتنزّل على الناس على قدر اختلاف دينهم؛

فإن كان صلب الدين ابتُلي على قدر ذاك،

وإن كان في دينه رقَّة ابتُلي على قدر ذاك. رواه أحمد.

فالبلاء ثوبٌ ارتدته المجتمعات والأمم جميعها.

على أن هناك حالة أخرى تزداد فيها صور البلاء،

فيكون وقعها شديداً على النفوس،

حتى يصل الأمر بالواحد إذا خُيّر بين الحياة وبين الممات؛

يختار الموت،

على نحوٍ لا يتلاءم مع طبيعة الإنسان في حب الدنيا وكراهية الموت،

وهذه علامةٍ من علامات الساعة التي ستكون آخر الزمان.

وعن عبدالله بن مسعود ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ مِنْ ورائِكُم زمانُ صبرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ شهيدًا منكم»** صحيح الجامع.

أخْبَرَنا النبيّ ﷺ بما سيكونُ من قِلَّةِ الدِّينِ في آخِرِ الزَّمانِ؛ كما أخْبَرَنا بأَجْرِ المُتَمَسِّكِ بدِينِه في هذه الأزْمانِ حثًّا لنا على الصَّبْرِ؛

والمُرادُ بالزَّمانِ الذي يَغلِبُ فيه الفِتَنُ،

وتَضعُفُ شَوْكَةُ المُسلِمينَ،

لِمَنْ صَبَرَ على التَّمسُّكِ بدِينِه واعْتَصَمَ به،

يَتَضاعَفُ له أجْرُه بأَجْرِ خَمْسينَ من شُهَداءِ الصَّحابَةِ،

وهذا مِنْ عِظَمِ بَلاءِ هذا الزَّمانِ؛

الذي يَجِدُ المُسلِمُ المُسْتَمْسِكُ بدِينِه كالقابِضِ على جَمْرةٍ من نارٍ.

وحتى نفهم سرّ المفاضلة المعكوسة؛

علينا أن نعقد مقارنةً بين الحال في الماضي

باعتبار كون الناس يؤمنون بأن الحاكميّة لله في الأمور كلّها؛

والواقع المعاصر في زماننا اليوم،

حيث نعيش غربةٌ الدين،

وضياعٌ الهويّة الإسلامية،

وهجماتٌ شرسةٌ بالليل والنهار؛ لإقصاء الدين عن مناحي الحياة،

وتأسيسٌ مفاهيم جديدة من ثنايا الحضارة الماديّة المعاصرة،

واستغلالٌ للقوّة الإعلاميّة ومؤسساتها العملاقة في ترسيخ العلمنة،

وظهورٌ دعاةٍ وإعلاميون

يزعمون ألاّ سبيل للتقدّم والازدهار، والنهضة والاستقرار،

إلا من خلال القفز على الموروث الديني المقدّس؛

والاستقلال عنه،

واعتبارها نصوصاً تجاوزها الزمن،

وأنّه قد آن الأوان أن نفكّر بعيداً عن هذه الموروثات؛

واستبدالها بالتفسيرات العصريّة التي تُفرغ النصوص من محتواها.

وهذه الحال من الغربة؛ قد حذّر النبيّ ﷺ من وقوعها، فقال: «**بَدَأَ الإِسلاَمُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى للغُرَبَاء**» رواه مسلم.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**طُوبَى لِلْغُرَباءِ، قيل: ومَنِ الغُرَباء يا رسولَ الله ؟ قال: ناسٌ صالِحُونَ قَلِيلٌ في ناسِ سَوْءٍ كَثِيرٍ**» السلسلة الصحيحة للألباني.

في ظلّ الانتشار الإعلامي،

أصبحت القنوات الفضائية تحت شعار (مناقشة الآخر)

تأتي بالمشكّكين في كلّ أنواع الثوابت الدينيّة

بدءاً بوجود الله، ومروراً بقضايا وأحكام شرعية للتشكيك فيها؛

كأحكام قتل المرتدّ؛ وجلد الزاني الأعزب؛ ورجم الزاني المتزوج؛

وقطع يد السارق،

بدعوى أن هذه العقوبات لا تتلاءم مع حقوق الإنسان في الوقت الحاضر.

هذا الغزو الفكري زلزل معتقدات الكثيرين من جهّال المسلمين؛

وأودى بهم إلى الحيرة والضياع.

أما الشهوات؛ ما تركتْ بلداً إلا ودخلته،

فهي كالوباء في الهواء يدخل كلّ بيت،

وساعدت التكنولوجيا الإعلامية على الانتشار المذهل لها،

وكثرت الشكوى من غلبة الشهوة أكثر مما كان الحال عليه في السابق،

وشتّان بين (طهارة) الماضي (وقذراة) الحاضر؛

فالآباء يبنون؛ والبيئة المحيطة تهدم.

ومن فتن هذا الزمان:

سياسات التنكيل والإذلال التي تُمارس على من قال لا إله إلا الله،

ومحاربة من يسعون إلى إصلاح المجتمعات وتربيتها من قِبَل بعض الأنظمة المعاصرة في البلاد الإسلامية؛

ناهيك عن الزجّ بالدعاة في السجون،

وممارسة وسائل التعذيب والقمع ضدهم؛

فمنهم من قضى نحبه؛ ومنهم من ينتظر.

ناهيك تنظيمات دينية تتحدث وتعمل باسم الدين،

وهي في حقيقتها صناعة أمريكية صهيونية؛

تهدف إلى التشهير بالإسلام والتنفير منه.

وأحياناً باسم شعاراتٍ كالقوميّة والوطنيّة،

وكانت النتيجة: قتل الأنفس واستحلال الحرمات، وإشاعة الذعر في المجتمعات، والإخلال بالأمن والاستقرار.

لأجل هذه الفتن وغيرها الكثير لم يُذكر،

لم يتردّد من جاء ذِكرُه في الحديث الشريف في تفضيل الحياة على الممات؛

فَلَأَنْ يَقبض الله روحه وهو على السلامة في الدين،

خيرٌ له من الموت على حالٍ وهو لا يدري كيف تكون نهايته،

وبأيّ شيءٍ يُختم له.

وقد استشرف عبدالله بن مسعود ﵁ هذه الحقيقة، وعبّر عنها بصورةٍ تجسّد ذلك الصراع المرير؛ فقد أُثر عنه قوله: سيأتي عليكم زمان، لو وَجَد فيه أحدكم الموت يباع لاشتراه. ذكره الإمام الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن.

وفي تلك الحال من الفتن المتلاطمة،

تكون المحافظة على الدين كالقبض على الجمر،

فيكافيء الله ﷻ الثابتين بمضاعفة الأجر،

بحيث يُصبح أجر الواحد منهم بأجر عمل خمسين،

ليس منّا، ولكن من الصحابة ﵃،

وهذه المضاعفة ليس لها نظيرٌ في السنّة،

ما يدلّ على عظم الثواب في هذه الأحوال الصعبة.

ظهور الخسف والمسخ والقذف

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة، وقد دل على هذا حديث حذيفة بن أسيد وفيه: اطَّلَعَ النبيّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقالَ: **«ما تَذَاكَرُونَ؟»** قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: **«إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»**، فَذَكَرَ منها: **«وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ»**

صحيح مسلم.

معنى القذف: هو الرمي بحجارة من السماء.

ومعنى الخسف: يمسخهم قردة وخنازير.

تُعَدّ لفظة (الخَسْف) مصدراً للفعل (خَسَفَ)، فَخَسَفَت الأرض؛ أي غارت بمَن عليها، وخَسَفَت به الأرض؛ أي اختفى بداخلها،

ومن علامات الساعة الكُبرى

حدوث ثلاثة خسوف في الأرض؛

وهذه الخسوف الثلاثة ليست كغيرها ممّا يَحدُث الآن،

فهي أعظم مكاناً وقدراً،

وتكون في المشرق، وفي المغرب، وفي جزيرة العرب كما أخبر رسول الله.

وهذا واقعٌ في هذه الأمة لا محالة؛

ذلك عندما تنتشر المعاصي ويجاهر الناس بها،

وينغمسون في الشهوات والملذات،

فيخسف بالدُّور والأبنية؛

ويخسف بالأفراد والعائلات.

وقد وقعت خسوفات في هذه الأمّة؛

وستقع خسوفات آخرى كما أخبر رسولنا؛ لا يتأخر منه شيء.

وكل ذلك إشارة إلى قرب الساعة؛

لعل الإنسان أن يعتبر،

ويكفّ عن جُرمه وجرائمه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يَكونُ في آخِرِ هذِهِ الأمَّةِ خَسفٌ ومَسخٌ وقَذفٌ»**، قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أنَهلِكُ وفينا الصَّالحونَ؟ قالَ: **«نعَم إذا ظَهَرَ الخبَثُ»**

صحيح الترمذي؛ صححه الألباني.

والمُرادُ بالخبَثِ: الفُسوقُ والفُجورُ والمعاصي، والمعنى: أنْ يكثُرَ أهْلُ الفَسادِ على أهلِ الصَّلاحِ.

وفي الحديثِ: عِظَمُ الذُّنوبِ في آخرِ الزَّمانِ، وعِظَمُ عُقوبتِها.

وفي رواية عند أحمد: **«لاَ تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يُخْسَفَ بقَبائِلَ، حَتَّى يُقالَ: مَن بَقِيَ من بَني فُلانٍ، فَعَرَفتُ أنَّه يَعني: العَرَبَ؛ لأنَّ العَجَمَ إنَّما تُنسَبُ إلى قُراها»** رواه أحمد، حكم المحدث: رجاله ثقات.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يكونُ في أمَّتي قذفٌ، ومسخٌ، وخسفٌ»**. قيل: يا رسولَ الله ! ومتَى ذاك ؟ قال: **«إذا ظهرَتِ المعازفُ، وكثُرتِ القِيانُ، وشُرِبت الخُمورُ»** أخرجه الترمذي، إسناده جيد.

القِيانُ: هنّ المغنّيات والراقصات.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيَشْرَبنَّ نَاسٌ منْ أمَّتي الخَمرَ يُسَمُّونَها بغَيرِ اسمِها، يُعزَفُ علَى رُءوسِهِم بالمَعَازفِ؛ وَالمغنِّياتِ، يَخسِفُ اللهُ بِهِمُ الأرضَ، ويجعَلُ منهُمُ القِرَدةَ والخَنازيرَ»** صحيح ابن ماجه. صحيح.

وهو مسخ واقع لهؤلاء لا محالة.

وقد ظهَرَ صِدقُ النبيّ ﷺ؛

فإنَّ أناسًا يَشرَبون الخمرَ ويُسمُّونها بغيرِ اسمِها؛

فبَعضُهم يُسمِّيها بالمشروبات الرُّوحيِّة!

وما أشنَعَ هذا القولَ وَمَا أكذَبَه!

فكيف يكونُ هذا الشَّرابُ المزيلُ للعقلِ؛ المميتُ للقلبِ؛ وَيَجلبُ غَضَبَ الرَّبِّ؟

كيف يكونُ شرابًا رُوحيًّا؟!

لقد وقع الخسف قديماً وحديثاً،

وسيقع مستقبلاً،

وقد رأينا على الشاشات بالصوت والصورة أناساً في بلد من البلدان؛

كانوا يرقصون ويلهون ويغنون،

فبينما هم في غمرتهم وسكرهم ابتلعتهم الأرض!

انهارت تحت أقدامهم!

وخُسف بهم أمام الكاميرات والنّاس ينظرون،

وقد تناقلت هذا الحدث وسائل الإعلام بأنواعها،

ورأى القاصي والداني ذلك، وهو موجود إلى الآن.

إنها آية؛ فأين المعتبرون؟

إنها آية؛ فأين الذين ينغمسون في الشهوات والملذات؟

أنها آية؛ فأين الذين يجاهرون بالغناء والربا والزنا؟

أنها آية؛ فأين الذين يسهرون على الفضائيات ومتابعة العاهرات ؟

لقد انتشرت المراقص والنوادي الليلية في بلادنا الإسلاميّة، وتداخلت في شعوبها؛

واختلط الرجال بالنساء وجاهروا بمعصية الله علنا،

وتناقلت وسائل الإعلام ذلك ونشرته؛

حتى دخلتْ في بيت كل مسلم.

ألا فليعلم كل إنسان؛ أن الله يغار إذا انتُهكت محارمه.

وإن من أعظم المصائب وأشد البلايا...

أن ترى المسلم يعيش متابعاً لمثل هذه الحفلات الساقطة،

أو يسافر ليرى المشاهد الصاخبة.

أفلا يخشى منْ يفعل ذلك أن يخسف الله به كما خسف بغيره؟

أفلا يعتبر بغيره؟

أم أنه يرغب أن يكون هو عبرة لغيره !؟

يقول الله ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٥ -٤٧].

فإذا كان هذا الخسف واقع،

فلابدّ أن نعلم أن لكل شيء سبباً،

وسبب ذلك الذنوب والمعاصي.

ومنْ أعظمها: ظهور الحفلات والمعازف، وانتشار الزنا.

ولا شك أن الزنا جريمة، وعواقبه وخيمة على الفرد والمجتمع.

وللأسف وُجد من ينادي به في البلدان الإسلامية،

وأباحوه في بعض الدول تحت حماية القانون،

أو يسمى بغير اسمه (علاج نفسي وروحاني)!

أو تفريغ طاقات!!

ومثله تماماً الزواج المثلي (اللواط).

أصبح يُمارس في دول العالم تحت حماية القانون أيضا؛

وربما فيما بعدُ: سيكون مباحا في الدول العربية والإسلامية.

فهاتان الفاحشتان؛ المعازف والزنا؛

ما ظهرت في أُمّة إلا حلّت بها العقوبة.

ورأس البلاء، ومفتاح الجرائم الأخلاقية

هو النظر المحرّم في شاشة أو صورة؛

أو امرأة ساقطة ذات إغراء؛

أو فَتى من الشواذّ جنسيا؛

حتى يجرّ غيره للوقوع في الفاحشة.

ذهاب الصالحين

من أشراط الساعة: موت الصالحين وتناقص أعدادهم؛

وأن ذَهابهم يكون شيئاً فشيئاً؛

وليس مرّةً واحدة.

فالأمم لا تحيا ولا ترقى إلا بعظمائها،

وعظماء أمّة الإسلام هم أهل الصلاح والإصلاح،

الذين يحتسبون وجه الله فيما ينالهم من العنت والمشقّة حين تأدية واجبهم،

والذين يتركون في الناس الذِّكر الحسن في حياتهم وبعد مماتهم،

إنهم البركة الحقيقيّة والذخيرة التي لا تنضب،

يَعرف ذلك من لَمَسَ أَثرهم،

وحرص على القرب منهم،

وشتّان بين الجليس الصالح وجليس السوء.

فإذا كانت حاجة الأمم إليهم وتعلّقها بهم لا تُقدّر بثمن،

فكيف الحال إذا كان تناقصُ أعدادِهم واختفاءُ آثارهم؟

ويكون هذا علامة من علامات الساعة وأشراطها؟

ذلك هو ما أخبرنا به رسول الله ﷺ تصريحاً وتلميحاً.

ورد في حديث مرداس الأسلمي ﵁ مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ: **«يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، ويَبْقَى حُفالَةٌ كَحُفالَةِ الشَّعِيرِ، أوِ التَّمْرِ، لا يُبَالِيهِمُ اللهُ بالَةً»** صحيح البخاري.

معنى **«حُفالَةٌ»**: أي نخالة؛ وهي ما يسقط من قشر الشعير عند الغربلة، ومن التمر بعد الأكل، وقد جاء في رواية أخرى بلفظ: (حثالة)، وهي بذات المعنى.

وأما معنى: **«لا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً»**: أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزناً.

هذا الحديث يشير صراحةً إلى موت الصالحين

وتناقص أعدادهم؛

وهو من أشراط الساعة،

وأن ذهابهم يكون شيئاً فشيئاً؛ وليس مرّةً واحدة.

وقريبٌ من الحديث السابق؛ ما جاء في سنن ابن ماجة، ومسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«لتُنتَقَوُنَّ كما يُنتقى التَّمرُ مِنْ أَغفَالِهِ؛ فلَيذهَبنَّ خيارُكُم وليَبقينَّ شرارُكُم»** صحيح ابن ماجه.

ومعنى **«مِنْ أَغفَالِهِ»**: أي مما لاخير فيه.

وعنه ﵁، أن النبيّ ﷺ قال: **«إنَّكم في زَمانٍ مَن ترَكَ منكم عُشْرَ ما أُمِرَ به هلَكَ، ثُم يَأْتي زَمانٌ مَن عمِلَ منهم بعُشْرِ ما أُمِرَ به نَجا»** رواه الترمذي وأحمد.

هذا الحديث يُسفِر عن ذات الحقيقة،

وهو أن صلاح المجتمعات آخذٌ بالتناقص مع مرور الوقت،

كما يشير إلى النِّسبية والتفاوت في مستوى الصّلاح؛ بين الأَجيال الأُولى في الإسلام والأجيال اللاّحقة.

وقد فُسّر الحديث بأن العُشر المأمور به؛ إنما المقصود به:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

ففي الرعيل الأوّل وفي فجر الإسلام؛

كان الدَّين قويا وأنصاره كُثْر،

ولكن حين يضعف الإسلام ويكثر الدجَّالون،

ويقلّ أنصار الدين؛

يُعذر المسلمون فيما تركوه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

لعدم القدرة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

كما أن المسلم لا يُعذر فيما يُهمِل من الفرض الذي تعلق بخاصة نفسه،

وإن كثُر أهل الظلم وقلّ أهل الحق،

فيكون معنى الحديث: أن زمان الصحابة كانوا في واقعٍ يسمح بالاستقامة التامّة على منهج الله؛ فلا يكون تركهم للمأمورات كحال مَنْ تركها في زماننا هذا.

وهنا تأتي مسألة النسبية المتلازمة بين تديّن الإنسان وواقعه، والتنبّؤ بالتناقص التدريجي في استقامة المجتمعات كشرطٍ من أشراط الساعة، فيكون معنى الحديث مطابقاً لقوله ﷺ: **«لا يَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ إِلَّا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْه، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»** رواه البخاري.

إذن؛

دائرة الصلاح تضيق شيئاً فشيئاً،

هذا هو مقتضى الأحاديث السابقة،

وهو الأمر الذي يقودنا إلى سؤالين مهمّين لا يمكن إغفالهما:

ما هو الصلاح المقصود؟

ومن هم الصالحون؟

يخطيء البعض حين يختزل معنى الصلاح واسم الصالحين؛

في المشايخ من أصحاب العمائم و اللحى الطويلة؛

أو العلماء وطلبة العلم الشرعيّ،

والحق أن دائرة الصلاح تتسع باتساع مفهومه لتشمل ميادين الخير كلّها،

والحريصين على ازهار أمتهم والارتقاء بها في جميع النواحي،

ويشمل نقاء القضاء والحُكّام؛

واجتهاد العمّال وإخلاص الموظفين وغيرهم،

فالتناقص ظاهرةٌ عامّة تشمل هؤلاء جميعاً.

ومع انتشار وسائل الفساد والإفساد،
وعدم قدرةِ كلّ جيلٍ أن يُنشيء جيلاً آخر شبيهاً به،
أو على الأقل: يتناسب معه كمّاً وكيفاً،
نشأ هذا الاختلال في مستوى الصلاح؛
وسبّب تناقص مظاهره على وجه العموم.

والواقع يشهد؛ أنه قلّما يذهبُ رأسٌ من رؤوس الصلاح فيخلفه من هو مثله في مستواه العلمي أو مكانته الدعويّة؛ أو دوره الحيوي؛ فيخلّف في الناس فراغاً.

وبالمثل: فإننا نشهد نكسةً تربويّةً عامّة؛
فضلاً عن كثرة المغريات التي تُبعد الناشئة عن التوجّه التربوي المنشود،
ومن ثَمّ؛
فإمكانيّة التغيير أو البناء في المستقبل قد تواجه صعوباتٍ جمّة؛
تتطلّب مجهوداً أكبر مما كان عليه في السابق.

وكواقعٍ حتميّ؛
ونبوءةٍ بدأت وسوف تتحقّق؛
فإن دائرة الصلاح سوف تتقلّص باستمرارٍ،
تضمحلّ تماماً ولا يبقى منها أثرٌ،
وتكون تلك هي العلامة على قيام الساعة.

ولنا في ذلك حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقومُ السَّاعةُ حتى يأخُذَ اللهُ شريطتَه مِن أهلِ الأرضِ، فيَبقى فيها عَجاجةٌ، لا يعرِفونَ مَعروفًا، ولا يُنكِرونَ مُنكَرًا»** رواه أحمد.

والشَّريطَة: يعني أهل الخير والدين. **والعَجَاج**: الغوغاء والأراذل، ومن لا خير فيه.

وعن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يَدرُسُ الإسلامُ كما يَدرسُ وَشيُ الثَّوبِ؛ حتَّى لا يَدرى ما صيامٌ ولا صَلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صَدقةٌ، ويُسرَى على الْكتابِ في ليلةٍ؛ فلا يبقى في الأرضِ منْهُ آيةٌ»** رواه ابن ماجة، إسناده قوي.

قَالَ حُذَيْفةُ: وتبقَى طوائفُ منَ النَّاسِ؛

الشَّيخُ الكبيرُ والعجوزُ،

يقولونَ: أدركْنا آباءَنا على هذِهِ الكلمةِ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ،

فنحنُ نقولُها؛

فقالَ لَهُ رجل اسمه صِلَة: ما تُغني عنهم: لا إلَهَ إلَّا اللهُ،

وَهُم لا يَدرونَ ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدقةٌ؟

فأعرضَ عنهُ حُذَيْفةُ،

ثمَّ ردَّها عليهِ ثلاثًا، كلَّ ذلِكَ يُعرِضُ عنهُ حُذَيْفةُ،

ثمَّ أقبلَ عليهِ في الثَّالثةِ، فقالَ: يا صِلةُ، تُنجيهِم منَ النَّار. قالها ثلاثًا. صحيح ابن ماجه.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: قولُ الرَّسولُ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى لا يُقالَ فِي الأَرضِ: اللهُ اللهُ**» صحيح الترمذي.

على أننا نؤكّد أن هذه تتحدّث عن جانبٍ إخباريّ يتعلّق بفترةٍ زمنيّة طويلة

تشمل أجيالاً كثيرة متتالية،

فليس المقصود نفي الخير عن هذه الأمة بين ليلة وضُحاها؛

أو أن تكون هذه الأحاديث سبباً في تسرّب اليأس في النفوس؛

أو مدعاةً للتخاذل،

فكما بيّنت السُّنَّة الخلل الحاصل؛

فقد بيّنت أسبابه،

وبتجنُّب هذه الأسباب يكون صلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

والعبدُ إنما هو مكلّفٌ بإصلاح نفسه وأسرته ومن يقدر عليهم؛

الأقرب فالأقرب،

وليس مسؤولاً عن إصلاح مجتمع بأكمله إن عجز عن ذلك،

ما دام قد أدّى ما عليه: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

ارتفاع الأسافل

قد ظهرت هذه العلامة في زماننا ولا تزال تتسع،

حيث يموت أجيال العلماء والعقلاء والحكماء،

ولم يبقَ إلا حثالة من الناس يُرْفَعُون على الأكتاف والأعناق،

ويشار لهم بالعظمة،

وتتسلَّط عليهم الأضواء في وسائل الإعلام؛

يظهرون على الشاشات

ويتكلمون في أمور العامة، وهذا من علامات الساعة.

إنّها من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت؛

هي ارتفاعُ أسافلِ الناس عن خيارهم،

واستئثارهم بالأمور دونهم،

فقد يكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلِهم ومن لا خير فيهم،

وهذا الأمر من انعكاس الحقائق،

وتغيُّر الأحوال وتقلب الأمور،

وأيضاً هو أمرٌ مشاهد وواضحٌ في هذا الزمن.

قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ بالدُنْيَا، لَكِعٌ ابن لَكِعٍ»**
سنن الترمذي.

وفي هذا الحديثِ يُبيِّن النبيّ ﷺ أنَّه في آخِرِ الزَّمانِ وقبلَ قِيامِ القيامةِ؛ يَسودُ مَن ليس بأهلٍ للقِيادةِ والحُكمِ؛ فيَكونُ هو الممكَّنَ في الأرضِ والسَّعيدَ فيها، وهذا مِن تبَدُّلِ الأحوالِ وتَغيُّرِها إلى الفسادِ والشَّرِّ؛ فيقولُ:

«لا تَقُومُ السَّاعَةُ»، أي: يومَ القيامةِ لن يَأتيَ **«حتَّى يكونَ أسعَدَ النَّاسِ بالدُّنيا»**، أي: يكونَ أكثرَ النَّاسِ سَعادةً ومالًا، وأطيبَهم عَيشًا، وأرفَعَهم مَنصِبًا، وأنفَذَهم حُكمًا، فهؤلاء الأربعُ جِماعُ الدُّنيا؛ من يكون؟ إنه:

«لُكَعُ ابنُ لُكعَ»، معناه: اللئيم بن اللئيم، وقيل: الأحمق الجاهل.

والمعنى: مَن لا يُحمَدُ له ذِكرٌ ولا خُلُقٌ، فهو وصفٌ يُطلَقُ على الحُمقِ والذَّمِّ.

وفي الحديثِ: إخبارُ النبيّ ﷺ بما سيَحدُثُ بعدُ في آخِرِ الزَّمانِ، وهو مِن دَلائلِ نُبوَّتِه.

وفيه: انقلابُ الأحوالِ في آخِرِ الزَّمانِ.

ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ»** قالَ: كيفَ إضاعَتُها يا رَسولَ اللهِّ؟ قالَ: **«إذا أُسْنِدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ»** صحيح البخاري.

هذه نتيجة طبيعية ؛

عندما يُوَسَّد الأمر إلى غير أهله،

وتنعكس الأحوال وتنقلب الموازين؛

حيث يُصدَّق الكاذب ويُكذب الصادق،

ويُؤتمن الخائن ويُخوَّن الأمين،

ويَتكلم الجاهل ويَسكت العالم،

فلا عجب أن ترى الذي يقود الأمة ويُمسك بزمامها هم السفهاء.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبيلة مُنَافقُوهَا»**.

وصدق النبيّ ﷺ مَا رَوَى عَنْه عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ حيث قال: **«وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ؛ وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُقْرَأَ الْمُثْنَاةُ عَلَى رُءُوسِ الْمَلَأِ»** أخرجه الحاكم.

والمقصود ب: **«الْمُثْنَاةُ»**: كُتُبٌ كَتَبَها أهلُ الكتاب، فيها الكثير من الأكاذيب شَغلوا الناس بها وتركوا الكتاب والسنة، فتلك علامة من علامات الساعة.

وما أكثر الكتب والصحف والفضائيات اليوم التي تشيع هذا؛

ناهيك عن مواقع الانترنت؛ ووسائل المعلومات المضللة.

عن أنس بن مالكرضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَواتٌ خَدّاعَاتٌ؛ يُصدَّقُ فيهَا الكاذِبُ، وَيُكذَّبُ فيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤتَمَنُ فيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فيهَا الأَمينُ، وَيَنطِقُ فيهَا الرُّويْبِضَةُ»**. قِيلَ: وما الرُّويبِضةُ؟ قال: **«الرَّجُلُ التّافِهُ يَتكلَّمُ فِيْ أَمرِ العَامَّةِ»** صحيح الجامع للألباني.

وفي رواية: **«الرَّجُلُ السَّفيهُ يَتكلَّمُ فِيْ أَمْرِ العَامَّة»**.

وهذا ما رأيناه ونراه في هذه الأيام،

نرى مشاهير الناس من الممثلين والممثلات يتكلَّمون باسم الدين،

ونرى الراقصات وبائعات الهوى في النوادي الليلية؛

يظهرون هنا وهناك

للكلام في قضايا السياسة؛ ومصير البلاد والأوطان!

كثرة الروم وقلة العرب

الروم هم مَن يُطْلَق عليهم اليوم الأوروبيون والأمريكان، وسُمُّو بالروم نسبة إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، ولهذا يطلق عليهم بنو الأصفر.
التذكرة للقرطبي: ٢/ ٦٨٩.

وقد بيَّن النبيّ ﷺ أن من علامات الساعة؛
أن يكثر الروم في آخر الزمان ويقلّ العرب.

أخرج الإمام مسلم عن المستورد بن شداد أنه قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تَقُومُ السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**». فَقالَ له عَمْرٌو: أَبْصِرْ ما تَقُولُ، قالَ: أَقُولُ ما سَمِعْتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ. صحيح مسلم.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أم شريك رضي الله عنها أنها سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**لَيفرَّنَّ النَّاسُ منَ الدَّجَّالِ حتَّى يَلحَقوا بالجبَالِ. قَالت أمُّ شريكٍ: يا رَسُولَ اللهِ فَأَينَ العربُ يومئذٍ؟ قالَ: هم قليلٌ**» صحيح الترمذي.

لعل المراد بالروم هم النصارى؛
لأن أهل الروم نصارى،
وقد تحقّق ذلك باتساع بلادهم بالاستعمار؛

واحتلال مئات الجزر في البحار والمحيطات؛

ثم اكتشافهم أمريكا وبلاد ما وراء البحار؛

ونشر اللغات الأوروبية وأديانها فيها،

ويَكثرون أكثر بقرب يوم القيامة،

وكذلك كانوا من قبل؛

حتى إن القاضي عياض المتوفى عام ٥٤٤ هـ قال: هذا الحديث ظهر صدقُه، فإنهم اليوم أكثر مَن في العالم.

وفي زماننا اليوم؛

اتفقت أو تقاربت الكثير من الإحصائيات التي تشير إلى نِسَب معتنقي الأديان من سكان العالم.

ويمكن تقسيم عدد سكان العالم الذي يقدر بـ [٧٬٠٩٥٬٢١٧٬٩٨٠] نسمة في الوقت الحالي، إلى مجموعات حسب الديانة لهم، كما يلي:

أولا: المسيحية؛ هي الديانة الأوسع انتشاراً في العالم، وقد تجاوز عدد معتنقيها نسبة ٢.٢ مليار نسمة أي ما يعادل ٣١.٥٠٪ من مجموع سكان العالم.

ثانيا: الإسلام؛ وهو ثاني أكثر الديانات إتباعاً في العالم؛ حيث يقدّر عدد المسلمين في العالم بحوالي ١.٦ مليار نسمة؛ أي ما يعادل (٢٣.٢٠٪) من مجموع سكان العالم.

ثالثا: الهندوسية؛ ويربو عدد أتباعها على المليار نسمة أي ما يعادل (١٥٪) من سكان العالم، والغالبية العظمى منهم يعيشون في الهند.

رابعا: اللا دينون؛ وهم الملحدون ومن لا يعتقدون بالأديان، والذين يشكلون ٨٥٠ مليوناً من شعوب الأرض؛ أي ما يعادل (١٤ ٪) من مجموع سكان العالم.

خامسا: البوذية: وهي من الديانات الرئيسيّة في العالم، حيث يقدر أتباعها بـ٥٠٠ مليون نسمة أي ما يعادل (٦.٧٧٪) من مجموع سكان العالم، وأكثر من نصفهم يعيش في الصين.

سادسا: المذاهب القومية؛ وهي الأديان المرتبطة بالقبيلة أو العرق، ويصل عدد أتباع هذه المذاهب الوضعية إلى قرابة ٢٢٨ مليون نسمة أي ما يعادل (٦٪) من سكان العالم.

سابعا: اليهودية؛ وهي الديانة الأقدم بين الديانات السماوية، ويقدر عدد اليهود بـ ١٥ مليون نسمة؛ أي ما يعادل (٠.٠٢٪) من مجموع سكان العالم، وأكبر تجمّع لهم في فلسطين المحتلة.

ثامنا:أديان أخرى؛ كالبهائية، والطاوية، والسيخيّة وغيرها الكثير.

ولكن هذه الأرقام غير دقيقة تماما بطبيعة الحال،

ولا يمكن التعويل عليها بشكل نهائيّ،

فهي لا تغطّي نسبة من يغيّرون دياناتهم ليعتنقوا ديانات أخرى بشكل دقيق،

ولا تأخذ بعين الاعتبار ما تُحدثه الحروب والهجرات من تغيير في المعتقدات والأفكار،

والتي قد تحتاج سنوات أخرى لتتبلور ملامحها بشكل جليّ على أرض الواقع.

أما مسيحيو العالم العربي؛

يمكن تقديرهم بحوالي ٢٢ مليون نسمة،

وهم جزء لا يتجزأ من تركيبة الوطن العربي،

وهم قريبون في عاداتهم وتقاليدهم من المسلمين الذين تجمعهم وإياهم نسيج اجتماعي واحد. يتوزعون على الترتيب في لبنان ومصر، تليهما سورية والعراق؛ وفلسطين؛ والأردن؛ وجنوب السودان.

كما يتوقع أغلب الباحثين؛

وفق دراسات وأبحاث جامعية عالمية؛

أن يصبح الإسلام هو الدين الأوسع انتشاراً متفوقاً بذلك على المسيحية،

بعد نحو أربعة عقود،

وذلك بسبب الارتفاع الكبير في الخصوبة؛ وأعداد المواليد عند المسلمين؛

مقارنة بغيرهم من أتباع الأديان الأخرى.

كثرة القَّراء وقلة الفقهاء والعلماء

أخبر النبيّ ﷺ أن من علامات الساعة؛ أن يكثر القرّاء ويقلّ العلماء. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«سَيَأْتِي على أُمَّتِي زمانٌ تَكثُرُ فيه القُرَّاءُ، وتَقِلُّ الفُقَهاءُ، ويُقبَضُ العِلمُ، ويَكثُرُ الهَرْجُ»**، قالوا: وَمَا الهَرْجُ يا رسولَ الله ؟ قال: **«القتلُ بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يَقرأُ القرآنَ رجالٌ لا يُجاوزُ تَراقِيَهم، ثم يأتي مِن بعدِ ذلك زمانٌ يُجادِلُ المُنافقُ والكافرُ المشركُ باللهِ المُؤمنَ بِمِثلِ ما يقولُ»** أخرجه الحاكم وصححه.

وقد جعل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كثرة القرّاء وقلة الفقهاء علامة على قلب الموازين واختلال الأمور.

وقد ظهر مصداق هذا الحديث في زماننا،

فقل الفقهاء العارفون بما جاء عن الله ورسوله،

وكثر القراء في الكبار والصغار،

والرجال والنساء،

بسبب كثرة المدارس المتخصصة بتعليم القرآن والحديث وانتشارها.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه،

وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه،

كثير سؤاله قليل معطوه،

الهوى فيه قائد للعمل،

اعلموا أن حُسن الهدى في آخر الزمان،

خير من بعض العمل.

وقد تساهل كثير من الناس في إطلاق الألقاب والمسمَّيات العلمية على غير أهلها،

حيث وُصف بها أُناس بضاعتهم في العلم قليلة،

كمن يقولون: فضيلة العلّامة؛

أو فضيلة الدكتور ؛

أو فضيلة الشيخ أو سماحة الشيخ؛

وسَمْتُهم ووقارُهم ليس كسمت ووقار العلماء.

وظنوا أن من كُثر كلامهم وجدالهم؛ هو الذي استحق أن يطلق عليهم هذه الألقاب والمسمَّيات.

ذكر ابن رجب أن ذلك من الجهل المحض؛ حيث قال: وقد فُتن كثير من المتأخرين بهذا، فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم الناس!

ثم قال:

فليس العلم بكثرة الرواية،

ولا بكثرة المقال،

ولكنه نور يُقذف في القلب يَفهم به العبدُ الحق،

ويَستنير به على الأمور كلها.

عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس؛ قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال: العالم هو من يخشى الله تعالى ويعمل بعلمه.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم عن كثرة الكلام والجدال؛ إنما العلم خشية الله.

وقال الحسن البصري: العالم من خشي الله بالغيب. تفسير هذه الآية لابن كثير.

ولما سأل موسى ربه: أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمُهُم بي. سنن الدارمي.

وعرّفهم ابن القيم بأنهم:

فقهاء الإسلام،

ومن دارت الفتيا على أقوالهم،

والذين خُصّوا باستنباط الأحكام،

وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب. سنن الدارمي.

قال أبو حيان:

العلماء ثلاثة:

عالم بالله وبأمر الله،

وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله،

وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله.

فالأول: الخائف لله؛ العالم بسنته وحدوده وفرائضه.

والثاني: فذلك الخائف لله؛ وليس بعالم بسنته ولا حدوده ولا فرائضه.

وأما الثالث: فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه؛ وليس بخائف له.

جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرّ، ص: ٢٩٥.

وقال ابن جماعة في تعريفه للعلماء: أنهم العالمون الأبرار الذين قصدوا بعلمهم وجه الله والتقرب له، لا مَن قَصَدَه بسوء نية أو خبث؛ أو لأغراض دنيوية من طلب شهرة أو جاه أو مال؛ أو لكثرة الأتباع والطلاب.

فقد رُوى عن ﷺ: **«مَنْ تعلَّمَ العلْمَ ليُباهِيَ بِهِ العُلماءَ، أَوْ يُمارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إليه، أَدخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ»** صحيح الجامع للألباني.

يتبين مما سبق من التعاريف: أن العلماء هم علماء الشريعة، الخائفون من ربهم الذين قصدوا بعلمهم وجه الله تعالى، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة.

وليس المراد بالعلماء

ما يفهمه البعض من الناس في زماننا اليوم؛

بأنهم أهل الصناعات والاختراعات؛

والاطلاع على أسرار الفَلَك والكون،

والذين يسمَّون بمسمَّيات مختلفة كعالم هندسة،

أو عالم فلك، وغير ذلك،

فهم علماء؛ لكن في مهنهم في الدنيا ومكاسبها الماديّة.

والعلماء في تخصصات الدنيا؛ هل لهم أجر؟

أجرهم يكون بالنية؛ كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ * وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ١٨-٢١]. و ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: هي الدنيا.

فإن كان هذا العالم أو المخترع ليس مؤمنا؛

ويقصد من اختراعه المال والشهادات؛ والرتبة والراتب؛

والسبق إلى الشهرة؛ دون أن يكون الله تعالى في باله؛

فله كل ما طلب في الدنيا؛ كما شاء وكما أراد؛

ثمّ جعل الله لهُ بسبب كفره: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.

أما إن كان هذا العالِم المخترع أو المستكشف مؤمنا؛

وكانت نيته لخدمة بلده الإسلامي والمسلمين؛

وإن تقاضى أجرا ؛ أو حصل على شهادة

أو حصل على شهرة دون أن يطلب؛ فله ذلك في الدنيا؛

وله الأجر في الآخرة حسب نيته.

مثلا (توماس أديسون) ؛ مخترع المصباح الكهربائي؛

اكتسب بهذا الاختراع شهرة عالمية عالية وثروة كبيرة.

وذاع صيته حتى ملأ العالم.

وما زال هذا الصيت يملأ الآفاق حتى اليوم.

هل قصد هذا العالِم بهذا الاختراع خدمة الإنسانية؟

هل قصد بهذا العمل وجه الله؟ هل كان الله في باله؟

إذن هو حصل على أجره في الدنيا مالا وشهرة،

وسيحاسب على كفره إن كان كافرا.

حتى الشهيد؛ فالشهادة مصطلح ديني شرعي؛ والجنَّة مكان يمتلكه الله تعالى؛

فإن كان الشهيد توجّه من أجل إعلاء كلمة الله؛ وكان الله على باله؛

فإن له الشهادة؛ وله الجنة.

أما إن كانت نيته القومية والوطنية؛

أو كانت نيته الدفاع عن وطنه؛ لأنه مجرد وطن؛

أو كانت نيته الدفاع عن نظام الدولة؛ أو فكرة القومية العربية؛

أو من أجل الدفاع عن جماعة دينية أو تنظيم سياسي؛

فهو ليس بشهيد؛

لأن البوذي يدافع عن وطنه في تايلاند؛ وهو ليس بشهيد.

والهندوسي يدافع عن وطنه في الهند؛ وهو ليس بشهيد.

والنصارى يدافعون عن أوطانهم وبلادهم وهم ليسوا شهداء.

واليهود احتلوا فلسطين ويدافعون عنها؛

هؤلاء جميعا ليسو شهداء؛ ولا يدخلون الجنة

لأن الوطن لا يمتلك جنة؛ والوطنية والقومية لا تمتلك جنة؛

والجماعات والتنظيمات لا تمتلك جنة؛

الذي يمتلك الجنة للشهيد هو الله؛

وإن كان هؤلاء يريدون الحصول على لقب (شهيد) والوصول إلى الجنة؛ عليهم أن يحاربوا من أجل إعلاء كلمته وأن يُقتلوا من أجله.

وهذا نادر جدا في جيوش وحروب العرب والمسلمين اليوم؛

لا نجده في عصرنا الحاضر؛

من أجل ذلك؛ كانت الهزائم تلحق هذه الجيوش.

التحية للمعارف

من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصُّغرى وعَلامَاتِهَا التي حَدَّثَ عَنهَا رَسُولُ الله ﷺ، والتي ظَهَرَتْ ومَا زَالَتْ مُنْتَشِرَةً، بَل هيَ في ازْدِيَادٍ، التَّحِيَّةُ والسَّلامُ على أَهْلِ المَعْرِفَةِ فَقَط، بِحَيثُ لا يُسَلِّمُ الإِنسَانُ إلا على مَن يَعْرِفُ وهوَ في طَرِيقِهِ.

والأَسْوَءُ حَالاً؛
أن يَدْخُلَ الإِنسَانُ مَجْلِسَاً فِيهِ أُنَاسٌ يَعْرِفُ بَعْضَهُم؛ ولا يَعْرِفُ الآخَرِينَ،
فَيَتَوَجَّهُ إلى مَن يَعْرِفُ فَيُسَلِّمُ عَلَيهِ ويُصَافِحُهُ، ويَدَعُ الآخَرِينَ،
وإذا سَلَّمَ عَلَيهِم؛ سَلَّمَ سَلامَ المُجَامَلاتِ!

روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»**.

وروى البخاري في الأَدَبِ المُفْرَدِ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه ذَكَرَ عَن النبيّ ﷺ أَنّه قَال: **«بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ...»**.

لقد حَثَّنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ على إِفْشَاءِ السَّلامِ بَينَنَا،
وأَخبَرَنَا بِأَنَّهُ سَبَبٌ في زِيَادَةِ المَحَبَّةِ فِيمَا بَينَنَا،

وأَنَّهُ من صِفَاتِ المُؤمِنِينَ،

وهوَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**

صحيح مسلم.

فإِيمَانُ المُؤمِنِ لا يَكْمُلُ ولا يَصْلُحُ حَالُهُ إلا بالتَّحَابُبِ،

والسَّلامُ سَبَبٌ من أَسبَابِ التَّآلُفِ،

ومِفتَاحٌ من مَفَاتِيحِ اسْتِجْلابِ المَوَدَّةِ،

وفي إِفْشَائِهِ تَتَمَكَّنُ الأُلْفَةُ بَينَ المُسْلِمِينَ،

وفِيهِ رِيَاضَةٌ للنَّفْسِ،

ولُزُومُ التَّوَاضُعِ،

وإِعْظَامُ حُرُمَاتِ المُسْلِمِينَ.

روى الإمام البخاري عَن عَمَّارٍ ﵁ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ، ذَكَرَ منهَا: بَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ.

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ**

مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» صحيح ابن ماجه.

ومن المُؤْسِفِ أن يَحْرِمَ الإِنسَانُ نَفْسَهُ هذا الخَيرَ العَظِيمَ، والأَجْرَ المُتَرَتِّبَ على إِلقَاءِ السَّلامِ.

روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ﵄، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبيّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»** متفق عليه.

إنَّ من أَعْظَمِ مَا شَرَعَ اللهُ لَنَا في هذا الدِّينِ إِفْشَاءَ السَّلامِ،
الذي هوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الإِسلامِ،
وتَحِيَّةُ المَلائِكَةِ،
وتَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ،
وتَحِيَّةُ المُؤمِنِينَ يومَ يَلْقَونَ رَبَّهُم ﷻ يومَ القِيَامَةِ،
وقد أَمَرَ اللهُ تعالى عِبَادَهُ بذلكَ عِنْدَ دُخُولِ بَعْضِهِم على بَعْضٍ،
وعِنْدَ لِقَائِهِم مَعَ بَعْضِهِمُ البَعْضِ.

قَالَ تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النور:٢٧].

وقَالَ تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور:٦١].

قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي أن يسلم الإنسان على من في بيته وهم أهله لأنهم من نفسه،

أو على من كان بداخله من غير أهله لأنهم إخوته في الإسلام، أو إن لم يجد أحدًا فإنه يلقي السلام على نفسه، فلو لم يكن في البيت أحد فإنه يسلم، ولا مانع من حمله على جميع ما ذُكر.

وروى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضاً.

لقد أَصْبَحَتِ الأُمَّةُ اليومَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ،

لقد تَمَزَّقَ شَمْلُهَا،

وتَشَتَّتَ جَمْعُهَا،

وطَمِعَ فِيهَا الضَّعِيفُ قَبلَ القَوِيِّ،

وأَصْبَحَتِ الأُمَّةُ قَصْعَةً مُسْتَبَاحَةً لأَحْقَرِ وأَخْذَلِ أُمَمِ الأَرْضِ.

لِذَا كَانَ لِزَاماً على الأُمَّةِ أن تَرجِعَ إلى تَعَاليم نَبِيِّهَا ﷺ، لَعَلَّ اللهَ ﷻ أن يُعِيدَ إِلَيهَا عِزَّهَا الذي ذَهَبَ، بأن تَكُونَ مُتَحَابَّةً فِيمَا بَينَ بَعْضِهَا البَعْضِ، ولَن يَكُونَ هذا إلا بِإِفْشَاءِ السَّلامِ.

إن أسلوب التحية والسلام هو عنوان ومقدمة لثقافة كل شعب،

بل هو مرآة عاكسة وكاشفة لكثير من معالم تلك الثقافة.

فعادة أهل اليابان بالتحيَّة مثلا؛ أن ينزعوا أحذيتهم من أرجلهم!

بينما يرتمي الهندوسي على الأرض تحية للذَّوات وأصحاب السيادة!

ومن عادات بعض أهالي الهند أن يقبضوا بأيديهم على لحي بعضهم!

وفي الموزمبيق يقوم الناس بالتحية من خلال التصفيق بالأيدي ثلاث مرات!

أما الأوروبيون؛ فيرفعون القبعات عن رؤوسهم عند التحية.

وفي بعض جزر المحيط الجنوبية؛

يرمي الصديق صديقه بجرة مملوءة بالماء تحية له؛

وعند بعض جزر الفلبين؛

يرفعون قدم من يحيونه إلى وجوههم ويمرِّغونها بها.

وعند قبائل التبت جبال الهيمالايا؛

عادة السلام عندهم: إخراج اللسان للضيف تعبيرا عن الترحيب به!

أما عندنا في الإسلام نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وعن أبي هريرة؛ أنَّ رجلًا مرَّ على رسولِ الله ﷺ وهوَ في مَجلِسٍ فقال: السَّلامُ عليكُم؛

فقالَ ﷺ: **«عشرُ حَسناتٍ»**.

فمرَّ رجلٌ آخرُ فقالَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ؛

فقالَ ﷺ: **«عِشرونَ حسنةً»**.

فمرَّ رجلٌ آخرُ فقال: السَّلامُ عليكُم و رحمةُ اللهِ و بركاتُه،

فقالَ ﷺ: **«ثلاثونَ حَسَنةً»**

فقامَ رجلٌ من المجلِسِ ولَم يُسَلِّمْ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما أوشَكَ ما نَسيَ صاحبُكم! إذا جاء أحدُكم المجلِسَ فليُسَلِّمْ؛ فإنْ بَدا لهُ أن يجلسَ فليجلِسْ، و إذا قامَ»**. و في روايةٍ: **«فإن جلَسَ ثمَّ بدا لهُ أن يقومَ قبلَ أن يتفرَّقَ المجلِسُ فليُسَلِّمْ، ما الأُولَى بأحقَّ مِنَ الآخرةِ»** صحيح الأدب المفرد للألباني.

أما قولك لأخيك المسلم "مرحبا" أو "هاي" أو "بانجور" فهذه كلها كلمات للمجاملة؛ ليس عليها أجر عند الله كأجر السلام في الإسلام؛ فالأجر المترتب على قول: **"السلام عليكم"** هو عشر حسنات، أما من قال: **"السلام عليكم ورحمة الله"** فتكتب له عشرون حسنة، ومن قال: **"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"** كتبت له ثلاثون حسنة، فعن كل حرف من حروف إلقاء السلام تُكتب حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ والحمد لله كل الحمد أننا مسلمون.

التماس العلم عند الأصاغر

من أشراط الساعة؛ أن يُلتمس العلم عند الأصاغر. عَن أبي أمَيَّةَ الجُمَحيِّ ﵁ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «**مِن أشراطِ السَّاعةِ أن يُلتَمَسَ العِلمُ عِندَ الأصاغِرِ**» صحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

قيلَ لابنِ المُبارَكِ: مَنِ الأصاغِرُ؟ قال: الذين يَقولونَ برَأيِهم دُونَ عِلْم.

قال السَّخاويُّ: لا يَزالُ النَّاسُ بخَيرٍ ما أخَذوا العِلمَ عَن أكابِرِهم، فإذا أخَذوه عَن أصاغِرِهم هَلَكوا. أشراط الساعة ص: ٩٢.

عَنِ ابنِ مَسعودٍ قال: لا يَزالُ النَّاسُ صالِحين مُتَماسِكين ما أتاهمُ العِلمُ مِن أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ومِن أكابِرِهم، فإذا أتاهم مِن أصاغِرِهم هَلكوا. صحَّح إسنادَه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة.

وقال بَعضُ الحُكَماءِ: سَوِّدوا كِبارَكم لتَعِزُّوا، ولا تُسَوِّدوا صِغارَكم فتَذِلُّوا.

وقال ابنُ عُثَيمين ﵀: قَولُ الرَّسولِ ﷺ: «**مِن أشراطِ السَّاعةِ أن يُلتَمَسَ العِلمُ عِندَ الأصاغِرِ**».

ما المَقصودُ بالأصاغِرِ هنا؟

هَل هو أصاغِرُ العِلمِ أو أصاغِرُ في السِّنِّ؟

قال: كُلُّها؛ لأنَّ الأصاغِرَ في العِلمِ ما عِندَهم عِلمٌ كامِلٌ،

والأصاغِرَ في السِّنِّ ما عِندَهم تَجرِبةٌ،

ولِهذا حَذَّر النبيّ ﷺ مِن حُدَثاءِ السنّ؛

لأنَّ حُدَثاءَ السنّ ما عِندَهم دِرايةٌ وتَجرِبةٌ في الأمورِ. شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري؛ الشريط السادس.

وبهذا يكون معنى الحديث:

أن الناس يتركون العلماء الكبار علما وسنّا، ويطلبون العلم عند الجهلة الذين لا يعرفون شيئاً عن كتاب الله، ولا عن سنة رسول الله،

أو الذين يتكلمون بالهوى،

وبما يُعجب أهواء من يُملي عليه الفتوى

والجواب عليها حسب رغباته ورغبات أنظمة الحكم في الدولة،

أو من يُقدّم له شيكات بنكية متسلسلة تحمل أرقاما مُغرية؛

أو من يرفعه رتبة أو درجة في منصبه مع كل فتوى!

إن من أشراط الساعة أن يُقبِل الناس على هؤلاء،

حتى إنّ أحدَهم إذا دُعي إلى كتاب الله؛

وقيل له: نرجع لأقوال السلف وأقوال الصحابة والتابعين؛

وما رواه الإمام البخاري وما رواه الإمام مسلم؛

يقول: لا حاجة إلى هؤلاء!

فالأَصاغر؛ إذا كان أحدهم يَقبل عقلُه هذا الشيء قبله،

وإلا فإنه يتفاخر ويقول:

لا أقبل هذا الحديث، لأنَّ عقلي لا يقبله!

وليس الأصاغر بمعنى أن عمره عشر سنين أو خمسة عشر سنة،

فقد يكون شيخاً كبيراً عمره سبعين أو ثمانين؛

لكنه صغير في العلم لا علم عنده،

لا يعرف كتاباً ولا سنة،

ويخدع أتباعه بأنه دخل مجمع اللغة العربية، والبحوث الإسلامية،

فإذا به يُفتي في الفقه! ويُفتي في القرآن! ويفتي في كذا وكذا،

فيتكلم بكلام لم يقله أحدُ قبله، ولا يستحي من نفسه!

وهكذا بعض (أئمة) الشيعة وبعض (أئمة) المسلمين السنّة.

ظهور الكاسيات العاريات

من علامات الساعة الصغرى؛ ظهور النساء الكاسيات العاريات؛ هنّ كاسيات من حيث الظاهر، إلا أنهنّ عاريات بسبب ضيق لباسهنّ.

هنّ يلبسن ثياباً ساترة لجميع أبدانهنّ،

لكنها شفافة تصف ما تحتها، أو ضيقة تبرز عوراتهن؛

وهنا قد يكون الإغراء أكثر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صِنْفَانِ من أهلِ النارِ لمْ أَرَهُما بَعْدُ: قومٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ الناسَ بِها، ونِساءٌ كَاسِياتٌ عَارِياتٌ، مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلَنَّ الجنةَ، ولا يَجِدَنَّ رِيحَها، وإِنَّ رِيحَها لَيوجَدُ من مَسِيرَةِ كذا وكذا»** صحيح الجامع للألباني.

وقد ظهر هذا الصنف في زماننا هذا؛

ويا ليت الفاجعة وقفت عند هذا الحد؛

بل صارت تلك النساء الكاسيات العاريات يتبجّحن؛

ويُعيِّرْنَ النساء الطاهرات المحجّبات؛

بدعوى الحضارة والتقدّم!

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيكونُ في آخِرِ أُمَّتي رجالٌ يَركَبونَ على سُروجٍ كأشباهِ الرِّحالِ، يَنزِلونَ على أبوابِ المسجِدِ، نساؤُهم كاسياتٌ عارياتٌ على رؤوسِهِنَّ كأسنِمةِ البُختِ العِجافِ، العَنُوهُنَّ فإنَّهُنَّ ملعوناتٌ...»** السلسلة الصحيحة للألباني.

قوله: **«يَركَبونَ على سُروجٍ كأشباهِ الرِّحالِ، يَنزِلونَ على أبوابِ المسجِدِ»**. هي المركبات بأنواعها؛ والسيارات المعروفة اليوم.

هذه الأحاديث وأمثالها؛

تُعد من معجزات النبوة،

فإنه لم يرَ ما أَخبر به،

ولكنه وقع كما أَخبر،

وذكر بأن هذا من أشراط وعلامات الساعة.

تخرج النساء كما نشاهد في عصرنا هذا،

فتكون المرأة كأنها عارية،

إما لِرقة هذه الثياب وشفافيتها،

وإما لقصره؛

وإما لأنها ثياب ضيقة تُظهر تفاصيل جسمها،

فتُبرز صدرها ومُؤخرتها،

فتكون كأنها عارية، وكل هذا واقع ومشاهد.

إن المجتمع قفز قفزات سريعة في وقت قصير من الزمن،

وصار هناك تحول ملحوظ في ملابس النساء عندنا،

وشياطين مصمِّمي الأزياء عرفوا من أين تُؤكل الكتف.

فالحديث عن الملاحظات الشرعية على ما تلبسه نساؤنا حديث يطول،

ولكن ثمة ظاهرة انتشرت انتشاراً سريعاً في الآونة الأخيرة في مجتمعاتنا الإسلامية،

وقد أفتى علماؤنا بحرمتها؛

إنها ظاهرة لبس النساء البنطال الضيق والبلوزة الضيقة؛

وتخرج المرأة أو الفتاة تغطي شعرها؛

وفيه تجسيد صدرها وأثدائها وفخذيها؛

حتى تجسيد فرجها.

تظنّ أنها سترت نفسها؛

إنها في الحقيقة أكثر إغراء؛

وهي تدري أو لا تدري؛

فتكون من النساء الكاسيات العاريات تماما.

فكيف رضيت به بناتنا ونساؤنا؟

بل كيف رضي الأب والأخ؟

وكيف رضي الزوج والإبن؟

لا أدري؟

بل على المرأة أن تضع عباءتها على رأسها لينزل إلى قدميها وتكون بذلك قد سترت نفسها كما أمر الله.

وعليك أيها الأب أو الأخ أو الزوج أو الإبن؛ أن لا تقع أنت أيضاً في الإثم لرضاك بهذا، بل ربما يكون الإثم الأعظم عليك.

صدق رؤيا المؤمن

ومن أشراط الساعة أيضاً؛ صدق رؤيا المؤمن؛ فكلما اقترب الزمان، وكلما قربت الساعة كثرت هذه العلامة، وهي أن المؤمن يرى الرؤيا في المنام، فتقع الرؤيا في الواقع كما رآها، وكلما كان المرء صادقاً في إيمانه كانت رؤياه صادقة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا اقترَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكدْ رُؤيا المؤمنِ أَنْ تكذبَ، وَأَصدَقُهُم رُؤْيا أَصدَقُهُم حَديثًا»** متفق عليه.

وفي رواية زاد أبو داود: **«وَالرُّؤيا ثَلاثٌ: فَالرُؤيا الصَّالحةُ بُشرَى مِنَ الله، وَالرُّؤيا تحزينٌ مِنَ الشَّيطانِ، وَرُؤيا ممّا يُحدِّثُ بِهِ المرءُ نَفْسَه، فإذَا رَأَى أَحَدُكُم مَا يَكرَه فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثُ بها النَّاسَ»** صحيح أبي داود.

وقال ﷺ: **«إذَا اقترَب الزَّمَانُ لَمْ تَكدْ رُؤيا المُسلمِ تَكذبُ»** صحيح مسلم.

وهي علامةٌ على صدق الإنسان والتزامه بدينه، كما أنّها من علامات نهاية الزمان؛ حيث تكثر وتشيع بين المؤمنين. عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا اقْتَرَبَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيا المُؤْمِنِ، ورُؤْيا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»** صحيح البخاري.

كثرة الكتابة وانتشارها

من أشراط الساعة الصغرى: كثرة الكتابة وانتشارها. كانت الكتابة و الكتب في العصور والأزمان القديمة زمن رسول الله ﷺ غير منتشرة انتشاراً كبيراً بخلاف زماننا هذا؛ وشتان بينهما، كانت قديما باستخدام جلود الحيوانات والألواح الخشبية وقطع الحجارة، فأخبر النبيّ ﷺ أنَّ من علامات الساعة **«فُشُوّ القَلَم»** يعني انتشار الكتب والكتابة بشكل واسع جدا كما نراه اليوم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ... فُشُوُّ القلَمِ»**

صحيح الأدب المفرد للألباني.

قوله: **«بَيْن يَدَيِ السَّاعَة»**، أي: مِنْ عَلاماتِ قُرْبِ القِيامَةِ.

وقوله: **«فُشُوُّ القَلَمِ»**، وفي رواية: **«ظُهورَ القَلَمِ»**. أي: انْتِشارُ الكِتابَةِ انتشارا واسعا جدا.

ظهرت وتحققت هذه النبوءة؛

وظهرت وسائل العلم وأدواته بين الناس،

وقد ظهرت في هذا الزمان ظهوراً باهراً؛

وتحققت هذه النبوءة،

كما انتشرت في جميع أرجاء الأرض.

ومع هذا كله فقد ظهر الجهل في الناس، وقلّ فيهم العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولم تغن عنهم أدوات الكتابة الحديثة وسرعة طباعة الكتب وكثرتها.

ناهيك عن ظهور أدوات هامة أخرى مثل الكمبيوتر وأدواته؛

وما تبعه من طابعات الليزر؛

منها السلكية واللاسلكية؛

وغيرها من الوسائل الإلكترونية التي ساهمت بشكل لافت في سرعة انتشار المطبوعات؛

كالكتب والصحف والمجلات وأنواع الكتابة الإلكترونية؛

والرسائل المرئية على مواقع الانترنت؛

تلك التي انتشرت وملأت الأفاق بسرعة فائقة كسرعة البرق،

أو تجد هذه الكتابة على شكل ملصقات على المنتجات الصناعية،

والمراكب والحافلات،

والمراكز والمحلات التجارية،

وقد انتشرت انتشاراً عظيماً في هذا الزمان.

قديما كان النبيّ ﷺ يقول: **«إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لا نَكْتُبُ ولَا نَحْسُبُ»** صحيح البخاري.

أي: الذين يكتبون عدد قليل جداً، ولكن هو يخبر أنه في آخر الزمان سيكون أكثر

هذه الأمم يعرفون القراءة والكتابة، وسيظهر القلم وتفشو الكتابة، وقد حدث هذا الشيء وتحقق.

وليس هذا ذماً لظهور القلم وأن يكتب الناس، ولكن يخبر أن الأمة العربية التي كانت جاهلة وكانت أميَّة، سيأتي يوم من الأيام على أغلبها يظهر فيهم القلم وتفشو الكتابة والمطبوعات الورقية والإلكترونية.

فالعرب قديما لم يكونوا يحتاجون إلى القلم،
بل منهم من كان يفتخر أنه لا يكتب بالقلم؛
كما قال الشعبي: ما كتبتُ بيضاء في سوداء،
بل يسمع فقط،
وكان حافظاً وعالماً وفقيهاً يحفظ ما سمعه،
والإمام ابن شهاب الزهري كان عالما لا يحتاج إلى كتاب يكتب إليه،
فهو يحفظ الحديث حين يسمعه من أول مرة،
ولا يحتاج أن يكرَّر عليه الحديث،
وليس محتاجاً إلى أن يكتب،
كان حفظُه قويٌّ جداً، فكان العرب هذه عادتهم،
إذْ كانوا يفتخرون بالحفظ.

فقوله ﷺ: «**وفُشُوُّ القَلَمِ**» يخالف كل المقاييس والاعتبارات في زمانه؛

ويخالف المنطق المعروف والمألوف في ذلك الوقت،

وقد تحققت هذه النبوءَة بعد مرور مئات السنين،

هذا المعنى لا يليق إلا بإنسان يرى مالا يراه غيره من البشر؛

إنه إنسان يوحَى إليه من السماء.

ناهيك عن استعمال الكتابة في زماننا اليوم للتوثيق في أغلب الأمور،

منها توثيق عقد الزواج بالكتابة؛

بعد أن كان عرض وقبول؛ وشهادة الشهود دون كتابة،

ومنها توثيق الطلاق في المحاكم الشرعية بالكتابة؛

ومنها توثيق العلاقات التجارية المختلفة؛

كالشراكة؛ وإثبات الديون؛ والحقوق المالية بين الأطراف،

إذن؛ فعِلْمُ التوثيق أصبح له معان متعددة،

فهو الذي يهتم بضبط أمور الناس عن طريق الإثبات بالكتابة.

ونذكر على الأخصّ دور القلم والكتابة في التعلم والتعليم؛

بعد ظهور المدارس والجامعات في عالمنا اليوم؛

إذْ كانت دروس العلم تُلقى صوتيا وشفهيا على طلاب العلم في جميع مراحلها،

ومن المستحيل أن نجد طالبا أو معلما اليوم؛ في مدرسة أو جامعة؛

لا يحمل معه قلما؛

بل هي متوفرة بأشكال وألوان مختلفة؛

حتى أصبح استخدام تعدد الألوان في العملية التعليمية

من الأساليب التربوية المعتمدة والمنتشرة فيها.

ورغم اختلاف أساليب التعليم في المدارس والجامعات في عصرنا اليوم؛

وتطورها إلى الألواح الإلكترونية ذات الشاشة المعروفة؛

لم يتعطل دور القلم واستخدامه؛

بل نجد في هذه الأجهزة استعمال أقلام مغناطيسية خاصة للكتابة عليها.

التهاون بالسنن التي رغّب فيها الإسلام

لا يَعلمُ وقتَ قِيامِ السَّاعةِ إلَّا الله، ومن عَلامَات اقتراب السَّاعة: التَّهاون بشعائر الله. كما جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مِنْ أشراطِ الساعةِ أنْ يَمُرَّ الرجلُ في المسجدِ، لا يصلي فيه ركعتينِ»** صحيح الجامع للألباني.

وقد أخْبَرَنا النبيّ ﷺ بعَلاماتِ اقْتِرابِ يوْمِ القيامَةِ وأشْراطِه حتى نكونَ على اسْتِعْدادٍ له بالتَّوبَةِ وإخْلاصِ الإيمانِ لله سُبحانَه، ومن ذلك أنَّه قال: **«مِنْ أشْراطِ الساعَةِ»**، أي: منْ عَلاماتِ قُرْبِ القيامَةِ **«أنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ في المسْجِدِ»** أي: يتَّخِذَه مَمَرًّا وطَريقًا ويَدخُلَه **«لا يُصَلِّي فيه رَكعتيْنِ»**، أي: تَحِيَّةً للمسْجِدِ أو نافِلَةً؛ وهذا يكون كسلا وتهاونا بالسنن التي رغّب فيها الإسلام.

وكل ركن من أركان الإسلام العملية؛ شُرِّعَت له سُننٌ من جنسه؛
على المسلم ألا يتهاون في أدائها،

فهناك السنن الرواتب،
والوتر وقيام الليل،
وصلاة الضحى،
وهذه من جنس الصلاة.
وهناك الصدقة والإحسان بالإنفاق، وهذا من جنس الزكاة.

وهناك صيام التطوع بأنواعه

كصيام النوافل ثلاثة أيام من كل شهر وتسمى الأيام البيض،

وصيام يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع،

وصيام ستة أيام من شهر شوال،

وصيام يوم عرفة، ويومي تاسوعاء وعاشوراء،

وهو من جنس صيام رمضان.

وهناك حج النافلة والعمرة.

هذه جميعها سنن رغّب بها الإسلام؛

ويتهاون المسلم في أدائها أو أداء بعضها؛

كون ذلك من قرب علامات الساعة.

انتفاخ الأهلّة

من أشراط الساعة؛ أو من علامات آخر الزمان: انتفاخ الأهلة. عن أنس بن مالك قال؛ عن النبيّ ﷺ: **«من اقترابِ السَّاعةِ انتفَاخُ الأَهِلَّةِ، وَأن يُرَى الهلالُ لليلةٍ، فيقال: هو ابنُ ليلتيْنِ»** السلسلة الصحيحة. حسَّنه الألباني.

فما المقصود بأن يُرى الهلالُ ابن لَيلَة؛ فيقال: ابن لَيلَتين؟

ذَكَرَ اللهُ الأهِلَّةَ في كِتابِه الكَريمِ مُوَضِّحًا أنَّها مَواقيتُ للنَّاسِ، فبرُؤْيةِ الهِلالِ يَبدَأُ شَهْرٌ ويَنْتَهي آخَرُ، وعلى تلك الرُّؤْيةِ تتَحدَّدُ أَوقَاتٌ وفَرائضُ كَثيرةٌ؛ كالصِّيامِ، والحَجِّ.

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيّ ﷺ: **«مِنِ اقْتِرابِ السَّاعةِ»**، أي: مِن عَلاماتِ يومِ القِيامةِ التي تُؤْذِنُ بِقُرْبِه ووُقوعِه: **«انْتِفاخُ الأَهِلَّةِ»**، أي: عَظَمَةُ جِرْمِها وحَجْمِها، **«وأنْ يُرى الهِلالُ لِلَيْلَةٍ»** أي ابنُ لَيلة وَاحدَة وهيَ أوَّلُ لَيلَةٍ يَظْهَرُ فيها **«فيُقالُ: هو ابنُ لَيلَتيْنِ»**؛ لكِبَرِ حَجْمِه، أو يَحدُث تغيّر فلكي فعلي في الأهلّة لاقتراب القيامة.

وإنَّما جُعِلَ ذلك مِن عَلاماتِ اقْترابِ السَّاعَةِ؛ لأنَّه عندَ اقْتِرابِها يَزيدُ الامْتِحانُ للعِبادِ بِالتَّكْليفِ، كما يَقَعُ بخُروجِ الدَّجَّالِ ونَحْوِه.

وأيْضًا لأنَّه لانْتِفاخِ الهِلالِ وكِبَرِ حَجْمِه؛ يَضْطَرِبُ النَّاسُ فيما يُقَدِّرونَ مِن الأَوقَات والعِباداتِ؛ برُؤْيةِ الأهِلَّةِ مِن الصَّوْمِ والإفْطارِ، والوُقوفِ بعَرَفَةَ، ونَحْوِ ذلك، فتَزِلَّ أقْدامٌ وتَثْبُتُ أُخْرى.

وفائدَةُ هذا الإخْبارِ منه ﷺ: أنَّه لا اعْتِبارَ بِجِرْمِ الهِلالِ كَبُرَ أو صَغُرَ، وأنَّ الرُّؤْيةَ هي المُعْتَبَرَةُ لا جِرْمَ الهِلالِ، وهذا الحديثُ مِن عَلاَمات النُّبُوَّةِ.

فانتفاخ الأهلة: هو ظاهرة فلكية تحصل في آخر الزمان، وهي أن يرى الناس الهلال على غير حقيقة حجمه؛ فيرونه حين طلوعه كبيراً عما هو معتاد في أول الشهر؛ فيُرى وهو ابن ليلة كأنه ابن ليلتين.

ويذكر أهل التفسير أن منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً،
ينزل القمر في كل ليلة إحدى تلك المنازل والمواقع،
ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين،
وإن كان الشهر تسعاً وعشرين؛ فيستتر ليلة واحدةً ويُسمّى محاقاً.
وبنزول القمر هذه المنازل الخاصّة به؛
وبشكلٍ منتظم؛
يتمكّن الناس من تحديد الأوقات اليوميّة،
وهو رحمةٌ إلهيّة بالناس؛ مما يُضطرّ فيه إلى معرفة التواريخ.

وأيّ اختلالٍ في هذه المنازل التي ينزلها القمر؛

يؤدّي بالضرورة إلى اختلاف المواقيت وحدوث الارتباك،

ونحن نعلم أن أهل الباديةِ والفلكيين؛

يعتمدون على المشاهدة الحسيّة للقمر في السماء،

فيكون هذا الاختلاف الشكلي في حجم القمر مُشكلاً لهم؛

وبالتالي اختلال في الأوقات من الجانب الفلكي المفسّر لحدوث هذه الظاهرة المستجدّة التي تعني تغيّراً في حركة الأجرام السماويّة،

والتي يبدو أنها ستزيد،

حتى يُرى الهلال ابن الليلة وكأنّه ابن ليلتين أو ثلاثة.

وقد حصل أن وقع انتفاخ الهلال في عهد الصحابة؛

وسيحدث مرّةً أخرى في آخر الزمان؛

ويتكرّر هذا حتى يُصبح ظاهرةً عامّة،

وسيكون علامة على اقتراب الساعة.

كثرة الكذب

من علامات الساعة وأشراطها كثرة الكذب، قال ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تَظْهَرَ الفِتَنُ ويكثرَ الكذِبُ**» أخرجه البخاري ومسلم.

والذي ينقل الخبر الكاذب دون تثبُّت أَحد الكاذِبَيْن.

وبيَّن النبيّ ﷺ أن الكذب وكثرته؛ وانتشاره في آخر الزمان؛ علامة من علامات الساعة.

أخرج الإمام مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**» صحيح مسلم.

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأحادِيثِ بما لَمْ تَسْمَعُوا أنتُمْ ولا آباؤُكُمْ، فإيَّاكُمْ وإيَّاهُمْ، لا يُضِلُّونَكُمْ، ولا يَفْتِنُونَكُمْ**» صحيح مسلم.

وعند مسلم أيضاً من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ بين يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ**» صحيح الجامع للألباني.

وما أكثر الكذب في هذه الأيام،

سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول،

أو في وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة،

وما أكثر من نقل الأخبار دون تثبُّت،

وهو أحد أنواع الكذب،

هذا الكذب على أحواله المختلفة؛ لم يكن في القرون الماضية،

بل كان الكذب عيبا يخجل منه الإنسان المسلم وغير المسلم؛

وقد اختلف هذا الأمر في زماننا،

وتحققت هذه النبوءة؛

وهذا كله من علامات الساعة.

وأخطر ظواهر الكذب في تاريخنا المعاصر؛

ما يعرف اليوم: الكذب السياسي.

بحيث يعتقد أغلب القادة السياسيين؛

بأنَّ عليهم مسؤولية أخلاقية تدفعهم إلى الكذب؛

بغية حماية مواقعهم في السلطة؛ خلال مواجهة الآخرين المعارضين لهم.

ولذا، فإنهم يكذبون في قضايا السياسة الخارجية؛ أو الداخلية؛

على حد سواء وبلا استثناء؛ عن قصد وتعمّد،

مطمئنين بأن جماهيرهم عادة لا تحاسبهم أو تعاقبهم بسبب خداعهم.

موت الفجأة

يعتبر موت الفجأة من علامات يوم القيامة؛ ودليل ذلك حديث أنس ﵁ أن النبيّ ﷺ قال: «**مِنَ اقترابِ الساعةِ... أنْ يَظهَرَ موتُ الفَجأةِ**» صحيح الجامع للألباني.

وأما عن قول السائل: هل هو خير أم شرّ؟

فجوابه أنه يختلف باختلاف الميت،

فالمؤمن هو له خير،

والكافر والعاصي على العكس من ذلك،

وقد تضمن تخفيف الموت على المؤمنين وراحتهم.

أما الأشخاص الذين يعيشون بغفلة ولا يتوبون،

فقد يكونون عرضة لمصير سيئ عند الموت.

لذلك، يُنصح بأخذ الحذر والاستعاذة من موت الفجأة.

وقد جاء في بعض الأحاديث ما يدل على أن موت الفجأة يكثر في آخر الزمان،

وهو أَخْذَةُ غَضَبٍ للفاجر، وراحة للمؤمن،

فقد يصاب المؤمن بموت الفجأة بسكتة أو غيرها،

ويكون راحة له؛ ونعمة من الله عليه؛

لكونه قد استعدّ واستقام وتهيأ للموت،

فيؤخذ فجأة وهو على حالة طيبة وعمل صالح، فيستريح من تعب الموت.
وقد يكون بالنسبة إلى الفاجر أَخذَةُ غضب عليه، يتفاجأ به على شرِّ حال.

بينما في العصر الحاضر،
نلحظ تزايد حالات الموت الفجائي الذي لا يُمهل صاحبه،
ونستطيع القول أن مظاهرَ وأسباباً جديدةً قد برزت إلى الوجود،
وكلها ترتبط بظاهرة الموت الفجائي.

فالموت فجأةً هو أمرٌ طاريءٌ على تاريخ البشريّة،
صحيحٌ أنه كانت له صورٌ في السابق،
إلا أنه لم يكن بمثل هذه الكثافة التي نراها هذه الأيام،
فهل لهذه الظاهرة المعاصرة علاقةٌ بالحديث عن أشراط الساعة وعلاماتها؟

بالعودة إلى الحديث؛ نجد أن تزايد حالات الموت الفجائي علامةٌ أشار إليها النبيّ ﷺ؛ وبيّنها ووضّحها تمام الوضوح، أبرزها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **«إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ مَوتُ الفَجْأَةِ»** رواه الطبراني وحسّنه الألباني.

هذه الحالة كانت موجودةً في السابق؛ وإنْ بشيءٍ من القلّة، فلم تكن ظاهرةً عامّةً ولكن حالات معدودة يمكن وصفها بالندرة، ثم يؤول الحال في آخر الزمان إلى بروز هذه الظاهرة؛ وتزايد حالاتها وتناميها بحيث يلحظها الجميع.

ثم نعرج إلى حديثٍ آخر عن موت الفجأة، لربّما يفهمه البعض على غير وجهه، وهو حديث عبيد بن خالد السلمي رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**مَوْتُ الفَجْأَة أَخْذَةُ أَسَف**» رواه أحمد وأبو داود.

في ظلّ وجود عدد من العلماء الذين يصحّحونه، فإن وصف النبيّ ﷺ لموت الفجأة بأنه: «**أَخْذَةُ أَسَف**» قد تُفهم بأنها حالةٌ تستوجب الذمّ، فالأسف من حيث الأصل اللغوي هو الغضب، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف: ٥٥].

وهذا يقودنا إلى السؤال:

هل موت الفجأة بحدّ ذاته مذموم؟

أو أنه أمارةٌ على سوء الخاتمة؟؟

في الحقيقة: النصوص الشرعيّة لا تدلّ على أن الموت السريع دون معالجة السَّكرات التي يراها الناس في المحتضرين ذات دلالةٍ مذمومة؛ بحيث يُظن بصاحبها ظنّ السوء، ليس الأمر كذلك، وهذا ما يشير إليه كلام العلماء.

والفيصل في المسألة؛

أن الذمّ في موت الفجأة من حيث ما يترتّب عليه،

فميّت الفجأة لا تُتاح له الفرصة في أن يُلقّن الشهادة؛

كما هو الحال للمحتضرين الآخرين،

وقد لا يكون مستعدّاً للقاء الله،

بخلاف من تقدّمت له الدلائل؛

وساق الله له من الشواهد على قرب مفارقته للدنيا،
فاستعدّ لهذا اللقاء.

ثم إن الذين يموتون على هذا النحو؛
لا يتوقّعون موتاً ولا ينتظرونه؛
لعدم وجود أماراته؛ كمرضٍ، أو كبر سنّ، أو جروحٍ، أو نحو ذلك،
وبالتالي؛ يكون حرصهم على كتابة الوصية وإعدادها أقلّ من غيرهم.

ويمكن النظر إلى موت الفجأة من زاويةٍ أخرى،
فإن تعلّق بأهل الصلاح والتقوى، كان رحمةً له؛
إذْ خُفّف عنه سكرات الموت.
وإن تعلّق بأهل الفسق والفجور؛ كان نقمةً عليه،
إذ لمْ يمهله الله حتى يتوب ويتدارك أمره،
والنظر إلى المسألة من هذا المنظور واردٌ على ألسنة الصحابة،
فقد أُثر عن عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما قولهم:
"هُو أَسَف على الفاجر، وراحة للمؤمن".

ومن معالم انتشار موت الفجأة في العصر الحاضر؛
ظهور عددٍ من الأمراض المسبّبة له،

ولم تكن تُعرف من قبل؛ أو لم يكن لها ذاك الانتشار،

كحدوث الجلطة الدماغيّة، والسكتة القلبية، وهبوط الدورة الدموية،

أو ارتفاع نسبة البوتاسيوم في الدم؛ أو زيادة معدّل حموضته،

أو حدوث ما يُسمّى بالرجفان البطيني،

وكلّها أمورٌ تسبّب الموت السريع لصاحبه،

والواقع يشهد بارتفاع معدّل الوفيات عالميّاً بسبب هذه الأعراض؛

دون تفريقٍ بين صفوف الشباب والمتقدّمين في العمر؛

إذ لا علاقة لها بعامل السنّ.

ومن أسباب موت الفجأة:

ما أبدعته عقول البشريّة حديثا من أنواع الإشعاعات اللامرئية؛

مما نعلم عنه ومما لا نعلم عنه؛

إذْ تعمل على اختلال وظائف القلب وخلايا الدماغ؛

ما يفوق الأسلحة الحديثة؛ من قنابل وصواريخ ومعدّات حربيّة،

فضلاً عن الأسلحة النوعية ذات الدمار الشامل،

كالقنبلة النووية والقنبلة الهيدروجينيّة.

ويمكن للنشاط الإشعاعي أن يسبب سرطان الغدة الدرقية والأورام؛

وسرطان الدم الحاد؛ وأمراض العيون؛ والاضطرابات العقلية؛

وحتى الأضرار التي تلحق بالمواد الوراثية.

وإذا تعرض الجسم لجرعة كبيرة من الإشعاع خلال فترة زمنية قصيرة جداً، فقد يؤدي ذلك إلى الوفاة في غضون ساعات أو أيام قليلة.

ومن الصور الحديثة لموت الفجأة: ما تسبّبه حوادث الطرق، وتعرّض الناس لهذه المخاطر بسبب إهمال بعض السائقين وقيادتهم على نحوٍ متهوّر، فضلاً عن الخسائر البشريّة الحاصلة جرّاء الاصطدام؛ أو تجاوز الطريق؛ أو انفجار العجلات، وما يحصل أحياناً من الأعطال الميكانيكيّة في السيارة، ومثل هذا الكلام ينسحب على وسائل النقل الأخرى كالقطارات والطائرات.

هذا هو موت الفجأة، وانسلال الروح على حين غرّة، فلا مقدّمات ولا علامات، ولا أمارات ولا دلالات، ولا إمهال ولا إخطار، فلْيحذر كلّ الحذر المتهاونون الغافلون، الذين غرّهم طول الأمل، والمنشغلون بحطام الدنيا ومتاعها، ولا بد من المحاسبة الجادة للنفس والعودة إلى الله تعالى، قبل أن يُفجأ بالموت، ولات حين مناص.

وقوع التناكر بين الناس

التناكر بين الناس من علامات الساعة في آخر الزمان، وقد أشار النبيّ ﷺ إلى معناه بقوله: **«فلا يَكادُ أَحَدٌ أن يَعرِفَ أَحَدًا»**.

عَن حُذَيفةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسولُ الله ﷺ عَنِ السَّاعةِ فقال: **«عَلِمُها عِندَ رَبِّي، لا يُجَلِّيها لِوقْتِها إلَّا هو، ولَكِن أُخبِرُكم بمَشاريطِها وما يَكونُ بينَ يَدَيها، إنَّ بينَ يَدَيها فِتنةً وهرْجًا»**. قالوا: يا رَسولُ الله! الفِتنةُ قَد عَرَفناها، فالهَرجُ ما هو؟ قال: **«بِلِسانِ الحَبَشةِ القَتْلُ، ويُلقى بينَ النَّاسِ التَّناكُرُ، فلا يَكادُ أَحَدٌ أن يَعرِفَ أَحَدًا»** سلسلة الأحاديث الصَّحيحة؛ صحّحه الألباني.

وقد ذكَرَ السَّخاويُّ من أشراطِ السَّاعةِ: تَناكُرُ النَّاسُ، واختلافُ قُلوبِهم وأقوالِهم، والتَّظاهُرُ بالمُآخاةِ المُعَبَّرُ عَنه بإخوانِ العَلانيَّةِ أعداءِ السَّريرةِ؛ ممَّا سَبَبُه رَغبةُ بَعضِهم إلى بَعضٍ ورَهبةُ بَعضِهم من بَعضٍ. القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة. (ص: ٩٧).

إنَّه عِندَ كثرةِ المِحَنِ والفِتَنِ تَخِفُّ العَلاقةُ بينَ النَّاسِ؛ حَتَّى تَصِلَ إلى القَطيعةِ وتَدابُرِ القُلوبِ، فلا يَتَعارَفُ النَّاسُ إلَّا لَمصالِحِهم الدُّنيَوِيَّةِ. وهذا الحَديثُ مِصداقٌ لواقِعِ النَّاسِ اليومَ. (نهاية العالم) لمحمد العريفي (ص: ١١٨).

وأما التناكر بين الناس في آخر الزمان، فقد أشار النبيّ ﷺ إلى معناه في نهاية الحديث، بقوله: «**فلا يَكادُ أَحَدٌ أن يَعرِفَ أَحَدًا**». وهذا التنكّر يقع عند كثرة الفتن والمحن، وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة عليهم؛ ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه غير مكترث بمصالح الآخرين؛ ولا بحقوقهم،

فتنتشر الأنانية البغيضة،

ويحيى الإنسان في نطاق أهوائه وشهواته،

فلا تكون هناك قيم أخلاقية يعرف بعض الناس بها بعضا،

ولا يكون هناك من الأخوّة الإيمانية ما يجعلهم يلتقون على الحب في الله تعالى؛

والتعاون على البر والتقوى.

وأما غربة الإسلام، فهي أن الإسلام بدأ في آحاد الناس، وهم بالنسبة لكثرة من حولهم في أهل الكفر كالغريب في بلاد أخرى لمن هم فيها.

قال الإمام النووي رحمه الله: في شرح حديث: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» رواه مسلم.

قال: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر فظهر، ثم سيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ. من كتاب: (أشراط الساعة) للشيخ يوسف الوابلي.

وفي واقعنا المعاصر؛

استحكمت غربة الدين في مظاهر كثيرة،

وتداخلت لديهم الحدود بين الحلال والحرام،

فعادت الغربة عبر مظاهر مؤسفة من الانحلال الخلقي تحميه الحكومات،

وترعاه مؤسسات وقنوات،

وتجلى ذلك من خلال تساهل أكثر المسلمين بالوقوع في الفواحش،

حتى صار الإسلام مجرد صفة متوارثة؛

كما يرث لون بشرته وتفاصيل وجهه،

ليس إلا عاطفةً باردة،

أو فكرةً جميلة،

أو قصةً عبر التاريخ.

أكثر المسلمين اليوم خرجوا في الطرقات بلا احتشام ولا وقار؛

وأكثر الفتيات خرجن بزيّ لا تستطيع التفريق فيه بين المسلمة وغير المسلمة،

وبدت المرأة المحتشمة بحجابها الشرعي غريبة.

والربا من أكبر الكبائر صار فائدة بنكية تحت حماية القانون،

وبلغت الغربة ذروتها:

إذْ أصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنةً وفضولاً؛

وتدخُّلاً في شؤون الغير،

والمجاهرة بالكفر والإلحاد أصبح حرية شخصية!

والزنا والتعرِّي وشرب الخمر وممارسة المعاصي في حماية رجال الدولة؛

وأصبح الملتزم بدينه؛ مطاردا من أجهزة الأمن؛

يشعر بالوحشة وإحساس بالغربة.

هذه هي الصفة الغالبة للمجتمع الإسلامي اليوم.

فالطفل والشاب والشيخ الكبير؛ رجلا أو امرأة، تحدّثه نفسه بتردد:

يا رب: كلُّ هؤلاء الناس منحرفون؛ هل هم جميعا على باطل؟

يا رب أكثر هؤلاء الناس ضالُّون؛ لماذا أنا وحدي على حقّ ؟

ثم يحتار ويتساءل: أَيٌّ منّا على حق: أنا أم هم؟!

هل هم على حق من ناحية؛ وأنا على حق من ناحية أخرى؟

فأنا في كلا الحالتين أواجه خسارة فادحة؛ لا أدري ماذا أفعل؟

كم أنا حزين و بائس!!

فيأتي الردّ وتتجلَّى الطمأنينة في منبعها الأصلي بهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]. **يَخْرُصُونَ**: أي يكذبون.

عودة أرض العرب مروجا وأنهارا

شبه الجزيرة العربية كانت في الماضي قبل ظهور الإسلام أرضا ذات أنهار، ثم طرأت عليها الحالة الصحراوية قرونا كثيرة؛ ثم أعلن الرسول ﷺ بالمعجزة الإخبارية: أن الأنهار والمسطحات الخضراء ستعود مرة ثانية إلى شبه الجزيرة العربية في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لاَ تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وَأَنهَارًا»** رواه مسلم. إسناده صحيح.

في هذا الحَديثِ بَيانٌ لِبَعضِ العَلاماتِ الصُّغرى؛ فيُخبِرُ النبيّ ﷺ أنَّه لا يَقومُ يَومُ القيامةِ؛ ولا يَنتَهي أجَلُ الدُّنيا حتى تَصيرَ وتَرجِعَ جَزيرةُ العَرَبِ مُروجًا وأنهارًا.

والمَرْجُ: هو الأرضُ الواسِعةُ ذاتُ النَّباتِ الكَثيرِ، تَكثُرُ بها المياهُ العَذبةُ الصَّالِحةُ لِلشُّربِ والرِّيِّ، وهذا إشارةٌ إلى الغِنى وكَثرةِ المالِ الذي سيَحصُلُ في بِلادِ العَرَبِ المُسلِمينَ في الجزيرة العربية.

لو وقف أحدنا على قمّة أحد الكثبان الرمليّة في الصحراء العربيّة،

وأطلق بصره يمينا وشمالا؛

لم يكن لترى عيناه سوى اللون الأصفر ورمال الصحراء،
أو صخور بركانيّة،
وأعشابٌ صحراويّةٌ؛ وأشجارٌ قليلةُ الأوراق كثيرةُ الأشواك.

كنا نرى الشمسَ لها حضورٌ قويّ بأشعّتها التي تُغشي الأبصار وتُلهب الأرض.
ناهيك عن ندرة الماء،
ولم يكن ليُتخيّل للحظة واحدة أن هذه الصحراء القاحلة في يوم من الأيام.
قبل قرون كثيرة؛
كانت مكسوّة ببساطٍ أخضرَ يتخلّله الزهور؛
وكانت الأنهار والجداول تنساب بين المروج؛
في لوحة رائعة تستثير المشاعر والخواطر.

وما بين خُضرة الماضي البعيد وصفرةِ الحاضر،
تقفُ معجزةٌ نبويّة،
تتعلّق بالكشف عن الحال المناخي للجزيرة العربيّة في الماضي السحيق،
بما لا يمكن معرفته ولا استنتاجه بالملاحظة،
ولم تكن ثمّة دلائل تساعد على بناء التصوّر المناخي في عصر النبوّة،
ولم يكن ليتمّ الوصول إلى حقيقة الأمر
إلا من خلال الوحي السماوي الذي قصّ علينا أنباء ما قد سبق،
وجزمَ بعودةٍ أخرى لتلك المشاهد في جزيرة العرب.

ومع شرطٍ من أشراط الساعة،

يُقلّب سجلاّت الماضي ويكشف عن حقائق المستقبل،

يرويه لنا أبو هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وَأَنهَارًا»** رواه مسلم.

إن كلّ من عاش المناخ الصحراوي لشبه الجزيرة العربيّة،

وذلك بسبب وقوعها بين خطّي عرض ١٢-٣٢ شمال خطّ الاستواء،

ونتيجةً لهذا الموقع؛

عانت المنطقة قلّة الأمطار وندرتها،

وارتفاع درجات الحرارة،

وغياب الغطاء النباتي الطبيعي،

ووجود بيئةٍ صحراوية قاسية،

هذه الحالة المناخيّة؛ امتدّت جذورها في الماضي السحيق؛

وأعماق التاريخ القديم.

ولكن ماذا يقول النبيّ ﷺ **«حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وَأَنهَارًا»**.

قوله: **«حَتَّى تَعُودَ»** أي أنها كانت كذلك في السابق.

كيف علم الرسول بذلك؟ ومن أعلمه؟

إن كلّ دارس للجيولوجيا؛

يعلم ما شهدته الكرة الأرضيّة قبل نحو مائة ألف عام؛

من عصرٍ جليدي غطت فيها طبقات الثلوج مساحات واسعة من الأرض؛
يقتضي ذلك أن شبه الجزيرة كانت ضمن هذه المساحات.
وتهيّأت لها ظروفٍ ساعدت على نزول الأمطار الغزيرة؛
ونشوء الغابات وجريان الأنهار.

وفي وقتٍ لاحقٍ؛
شهدت الجزيرة العربية زيادة كبيرة في هطول الأمطار؛
ما يقرب من عشرة آلاف عام؛
أدت لنشأة العديد من البحيرات، وتوسع الغطاء النباتي؛
فانتشرت عبر أرجائها التجمعات البشرية.

ثم ظهرت بعدها تغيرات مناخية مغايرة؛ استمرت ١٢ ألف سنة الأخيرة؛
شهدت الجزيرة العربية خلالها حقبة صحراوية جافة؛
عايشها الرسول ﷺ وأصحابه؛ وطول عصور الإسلام.
وبقيت واستمرت حتى بداية القرن الحادي والعشرين؛
حيث لوحظ في عصرنا الحاضر؛
بداية تغيير مناخي معاكس في الجزيرة العربية؛ من صحراء إلى خضراء.
شاهدنا على الفضائيات ومواقع التواصل أمطاراً شديدة تجتاح الصحراء العربية؛
شاهدنا ثلوجا تتساقط بغزارة؛ وحبات البرد بشكل كثيف متراكم؛
وشلالات وفيضانات تجتاح مناطق كثيرة في منطقة تبوك وغيرها من المناطق.

فالسبب الرئيسي في جفاف شبه الجزيرة العربية يرجع إلى انتهاء تأثيرات العصر الجليدي الذي بدأ قبل ١.٦ مليون عام، وانتهت قبل نحو ١٠.٠٠٠عاما، وهو ما يتوافق مع الأبحاث والمسوحات الجيولوجية التي تؤكد أن نهراً بطول ١٢٠٠ كيلومترا كان يشُق شبه الجزيرة العربية إلى نصفين، وقد جفَّ قبل نحو ٩٠٠٠ عاما فقط، أي بعد انتهاء العصر الجليدي مُباشرة.

وبغض النظر عن حديث الأوساط العلميّة من علماء الجيولوجيا عن وجود دلائل على حقبةٍ أمطار غزيرة عاشتها الجزيرة العربيّة في الماضي السحيق، من خلال بعض الصور التي التُقطت بالأقمار الصناعيّة للمنطقة، إلا أننا نجزم بأن هذا الواقع هو حقيقةٌ علميّة نستمدّها من حديث رسولنا الكريم ﷺ الذي يُخبرنا عمّا لا نعلم.

وثمّة حديث آخر له علاقةٌ جزئيّة، وهي ازدهار منطقة تبوك تحديداً بالمروج والأنهار، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك: **«يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ الحَيَاةُ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا»** متفق عليه.

هل هي معجزة جديدة للرسول ﷺ!؟

نعم، هذه معجزة تحققت في زماننا اليوم!

وقد رأينا وشاهدنا في بدايات القرن الحادي والعشرين تغيرات وانقلابات مناحية في الجزيرة العربية؛

أحالت مناطق في الصحراء العربية القاحلة إلى بساتين خضراء بسبب سقوط الأمطار والثلوج فيها بازدياد!!

الواضح من خلال قراءة الحديث السابق؛ أن المنطقة كانت تشكوا من قلة المياه في عهد النبيّ ﷺ؛ لذلك منع الصحابة من مسّ الماء في عين تبوك حتى يأتي ويدعوا لهم، ولكن الأعجب ما قاله لمعاذ: **«يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى ما هَاهُنَا قدْ مُلِئَ جِنَانًا»** رواه مسلم.

قال الرسول ﷺ هذا القول؛ والصحابة من حوله في ضيق شديد؛

بل هم في أحوج الناس للماء.

وحدث فعلا ما تنبأ به الرسول ﷺ؛

فقد انتشرت البساتين والمزارع الآن في تبوك؛ وخاصة حول المدينة،

وسوف تتسع هذه البساتين والمزارع أكثر في السنوات المقبلة؛

نظراً لازدياد نسبة تساقط الأمطار والثلوج فيها.

تلك التي تسببت في فيضانات ضخمة؛

لم تشهدها المنطقة في عصور زمنية طويلة سابقة!!

كثرة المطر وقلة النبات

حالة أخرى من علامات الساعة؛ وقد بدأت تتحقق في زماننا؛ وفي بلادنا الإسلامية على وجه الخصوص؛ تلك هي المجاعة على وجه الحقيقة كما يصوّرها الإسلام، ويُستشهد لها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«ليسَتِ السَّنَةُ بأَنْ لا تُمْطَرُوا، ولَكِنِ السَّنَةُ أنْ تُمْطَرُوا وتُمْطَرُوا، ولا تُنْبِتُ الأرْضُ شيئًا»** رواه مسلم.

فهم يُمطرون المرّة بعد المرّة، شلالات وسدود تفيض، دون فائدةٍ تُذكر.

يَبْتلي اللهُ سُبحانه عِبادَه بأنواعٍ مِن البَلايا، ومنها الابتلاءُ بالقَحطِ والجَفافِ، وهذا كلُّه منعٌ لأسبابِ الحياةِ، ويُؤدِّي في كَثيرٍ مِن الأحيانِ إلى فَناءِ كَثيرٍ مِن النَّاسِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ أنَّه **«ليستِ السَّنَةُ»** وهي القَحطُ والجَدبُ **«ألَّا يَنزلَ المَطرُ، ولكنَّ السَّنَةَ أنْ تُمطَروا وتُمطَروا»**، يَعني: المرَّةَ بعدَ الأُخرَى مطرًا كثيرًا **«ولا تُنبِتُ الأَرضُ شيئًا»** لإمساكِه تَعالى لَها منَ الإنباتِ، فرُبَّ مَطرٍ لا يَنبُتُ مِنه شيءٌ، فالقَحطُ الشَّديدُ لَيس بألَّا يَنزلَ المطرُ، بلْ بأنْ يُمطرَ ولا يَنبُتَ؛ وَهَذَا أسرَعُ في الهلاكِ.

فالماء هو عصب الحياة، ولولا الأمطار ما اخضرّت الحقول وجرت الأنهار. وإن هذا المشهد يوقفنا على أحد ملامح الضعف البشري أمام الرحمة الإلهيّة، فقُوتُهم الزراعي

وثروتهم الحيوانيّة معتمدةٌ على هذه الأمطار، وحاجتهم إلى الماء في الشرب والاستخدامات اليوميّة له، وتأخّر نزول المطر يكدّر عليهم عيشهم، ولا يعرف هذا على حقيقته إلا الذين يعيشون مباشرة على المطر، وتقوم حياتهم عليه.

لكننا هنا أمام ظاهرةٍ انقلبت فيها الموازين،

وتعطلت الأسباب؛

وتبدّلت السنن الإلهيّة؛

واختلف قانونها أمام حالةٍ ينزل فيها المطر لكن بلا فائدةٍ حقيقيّةٍ،

فلا نبات ولا ثمار؛

وهذا من أشراط الساعة.

وعلى أن هذا المطر بالرغم من كثرته وشموله، ليس له أثرٌ نافعٌ يحقّق الحاجة البشريّة الملحّة إلى المطر، بل هو وبالٌ عليها، وقد حدّث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا وَلَا تَنْبُتَ الْأَرْضُ شَيْئًا»** رواه أحمد في مسنده.

فالقحط ليس بألاَّ تُمطر السماء،

بل بأن تمطر ولا تُنبت.

فالأمطارُ التي تحدّث عنها الحديث أمطار نقمةٍ لا رحمة.

ولهذا؛ فإن لهذا الشرط من أشراط الساعة مَلمَحان نجدهما في الواقع المعاصر:

أحدها: أن المحاصيل الزراعية قلّت بالجملة، وانعكاس ذلك على الارتفاع في أسعار المواد الغذائيّة، بل إن الحديث عن الأزمة الغذائيّة ينمو ويتصاعد في تصريحات المؤسسات والهيئات العالميّة، وباتت هذه القضيّة تشكّل محوراً مهمّاً لعددٍ من الندوات والمؤتمرات الإقليميّة والدوليّة.

الثاني: تفاقم مشكلة السيول والأمطار في الكثير من الأصقاع والبلدان، وشكوى الناس من الفيضانات المدمّرة التي لا تُبقي على شيء، وتكتسح كلّ ما يمرّ أمامها من مظاهر عمرانيّة أو أراضٍ زراعيّة، فهي سيولٌ نشأت عن أمطارٍ غزيرة، لكنّها أمطارٌ لا تُنبتُ كلأً ولا تُخرج زرعاً يأكل منه الناس ويستفيدون منه.

إن حال العباد في هذا العصر ؛

أنهم لا يستطيعون الصبر عن نزول المطر؛

ولا يطيقون نزوله على نحوٍ يدمّر ممتلكاتهم.

هذا هو حال عالمنا اليوم.

انحسار الفرات عن جبل من ذهب

هذه علامةٌ من علامات الساعة الصغرى؛ حيث ينحسر نهر الفرات عن جبل من الذهب؛ ويتسامع الناس بهذا الكنز العظيم، ويتسابقون من كلّ جانب للحصول عليه والاستئثار به، فتتهافت نفوسهم، وبعد ذلك تحدث المجزرة الكبرى التي أخبر عنها الرسول محمد ﷺ؛ بحيث يُقتل من كلّ مئة تسعة وتسعين، أو تسعة من كلّ عشرة؛ كما جاء في بعض الرواياتٍ.

سيحدث قتل ودمار؛

وغاراتٌ وحروب؛ تُراق فيها الدماء وتُزهق لأجلها الأرواح،

مؤامرات وخيانات ستبدو على صفحات التاريخ؛

وقد بدأت كنقاطٍ سود تذمّ أصحابها أينما كانوا،

وما أقدموا على فعلتهم المشينة إلا لسُكرهم بخمرة المال،

ولأجله اختلس الناس ما لا يحقّ لهم.

ومثّل له النبيّ ﷺ بقوله: **«لَوْ كانَ لابنِ آدَمَ وادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابتَغَى ثَالثًا، وَلَا يَملأُ جَوفَ ابن آدَمَ إلاَّ التُّرَاب، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَاب»** متفق عليه.

فلا يزال الإنسان حريصاً على المال لاهثاً وراءه،

مستكثراً منه،

حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

عَن أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: **«لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُراتُ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ؛ يَقتَتِلُ النَّاسُ عليه، فيُقتَلُ من كُلِّ مِائةٍ تِسعةٌ وتِسعونَ، ويَقولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنهم: لَعلِّي أكونُ أنا الذي أنجو»** صحيح مسلم.

وعَنه ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: **«يوشِكُ الفُرَاتُ أن يَحْسِرَ عَن كنزٍ من ذَهَبٍ، فمَن حَضَرَه فلا يَأخُذْ مِنه شَيئًا»** متفق عليه.

قَولُه: **«يَحْسِرُ»** أي: يَكشِفُ. وقَولُه: **«فمَن حَضَرَه فلا يَأخُذْ مِنه شَيئًا»** نَهيٌ على أصلِه مِنَ التَّحريمِ؛ لأنَّه لَيسَ مِلكًا لأحَدٍ، فحَقُّه أن يَكونَ في بَيتِ مَالِ المسلِمين، ولِأنَّه لا يُوصَلُ إليه إلَّا بقَتْلِ النُّفوسِ، فيَحرُمُ الإقدامُ على أخذِه.

عَن عَبد الله بنِ الحارِثِ بنِ نوفَل قال: كُنتُ واقِفًا مَعَ أُبيِّ بنِ كَعبٍ فقال: لا يَزالُ النَّاسُ مُختَلِفةً أعناقُهم في طَلَبِ الدُّنيا، قُلتُ: أجَلْ، قال: إنِّي سَمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: **«يوشِكُ الفُرَاتُ أن يَحسِرَ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ، فإذا سَمِعَ به النَّاسُ ساروا إليه، فيَقولُ من عِندَه: لَئِن تَرَكنا النَّاسَ يَأخُذونَ مِنه ليُذهَبَنَّ به كُلِّه، قال: فيَقتَتِلونَ عليه، فيُقتَلُ من كُلِّ مِئةٍ تِسعةٌ وتِسعونَ»** رواه مسلم.

قال ابنُ عُثَيمين رحمه الله: (كذلك أيضًا من أشراطِ السَّاعةِ؛ والذي لا بُدَّ أن يَكونَ أنَّ الفُراتَ وهو النَّهرُ المَعروفُ بالعراق؛ يَحْسِرُ (يكشف) عَن ذَهَبٍ؛ جَبَلٍ من ذَهَبٍ أو كنزٍ من ذَهَبٍ، فكُلُّ إنسانٍ يُقاتِلُ غَيرَه عليه.

وقيلَ: لأجلِ أن يَحصُلَ على البترولِ الذي صاروا يُسَمُّونَه اليوم الذَّهَبَ الأسوَدَ،

فالله أعلَمُ بما أرادَ رَسولُ الله ﷺ،

لَكِنَّنا إلى الآنَ لا نَعرِفُ الذَّهَبَ إلَّا أنَّه ذلك المَعدِنُ الأصفَرُ المَعروفُ،

فنَبقى على ما هو عليه؛ ووَراءَنا أيَّامٌ،

فالدُّنيا لَم تَنتَهِ بَعدُ حَتَّى نَقولَ: لا بُدَّ أن نُطَبِّقَ الحَديثَ على الواقِعِ الحاضِرِ المتمثِّل في حرب جيوش العالم للاستيلاء على الثروة النفطية في العراق.

لَكِن ما دامَتِ الدُّنيا لَم تَنتَهِ

فنَحنُ نَنتَظِرُ ما أخبَرَ به الحديث،

ولا بُدَّ أن يَقَعَ ويَقتَتِلَ النَّاسُ عليه،

وهذا من أشراطِ السَّاعةِ؛ لَكِنَّه ربما لَم يَأتِ بَعدُ.

إنها الفتنة التي تتضاءل عندها اغترار الناس بمال قارون الذي كان ولا يزال مضرباً للمثل في الطغيان المالي الذي بلغ حدّه ومنتهاه، والذي جاء وصفُه القرآني في غاية البلاغة والدّقة، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

وتنطق أفواه المساكين حسرةً وطمعاً فتقول: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [القصص:٧٩].

لكنّ فتنة نهر الفرات
تفوق نتائجُها ما حصل بسبب الثروة القارونيّة،
فإن الأحاديث تتكلّم عن ثروةٍ طائلةٍ تفوق الخيال،
ويمكن لصاحبها أن يتربّع عرش العالم بلا منافس.

والآن يحسن بنا استجلاء بعض ما تضمّنته تلك الأحاديث،
ونبدأ ببيان النهر المشار إليه وهو الفرات،
ويقع شمال شبه الجزيرة العربية،
وعندما تقع هذه الفتنة،
ويتسامع الناس بهذا الكنز العظيم،
يتسابقون من كلّ جانب للحصول عليه،
وبعد ذلك تحدث المجزرة الكبرى التي أخبر عنها الرسول ﷺ
بحيث يُقتل من كلّ مائة تسعة وتسعين،
أو من كلّ عشرة واحداً.
«وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنهُم: لَعلِّي أكونُ أَنَا الّذي أَنْجُو».
وهذه لفتةٌ تدلّ على أن مطلبهم باهظ الثمن،
وهو بذل الأرواح،
وأن فرصة النجاة ضئيلة، ولكنّه الطمع الذي لا ينتهي.

ثم يأتي الحديث عن النهي النبوي المذكور: **«فمَن حَضَرَه فلا يَأْخُذْ مِنه شَيئًا»** والسرّ في ذلك أن النهي متعلّقٌ بالآثار المترتّبة عليه؛ لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال.

بقي أن نُشير إلى مسألةٍ نجدها في الكتب المعاصرة،

وهي محاولة تفسير جبل الذهب بالبترول،

باعتبار أن الاقتصاد العالميّ يُسميّه الذهب الأسود،

ولا شكّ في خطأ هذا في تأويل النبوءات قبل وقوعها؛

وإخراج الألفاظ عن مدلولاتها،

وهو ما يُشير بجلاء إلى خضوع الفكر لسطوة المفاهيم الماديّة.

والحقّ أن نقول:

لن نعلم حقيقة هذا الإخبار الغيبيّ وكيفيّته؛ إلا بعد وقوعه.

كلام السباع والجمادات للإنسان

لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس؛ هذا ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«والَّذي نفسي بيدِه، لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُكلِّمَ السِّباعُ الإنسَ، ويُكلِّمُ الرَّجلُ عذَبَةَ سوطِه، وشِراكَ نعلِه، ويُخبِرُه فخِذُه بما حدَّث أهلُه بعدَه»** السلسلة الصحيحة للألباني.

لقدْ تَحدَّث النبيّ ﷺ في مواطِنَ كثيرةٍ عن عَلاماتِ السَّاعةِ، وفصَّلها وبيَّن أحوالَها؛ لأنَّ وُقوعُ تلك المَغيباتِ على النَّحوِ الَّذي أخبَرَ به الرَّسولُ ﷺ يَكونُ دَليلًا عَلَى نُبوَّتِهﷺ ؛ فيَزدادُ المؤمنُ إيمانًا،

ويَدخُلُ العاقِلون مِن غيرِ المسلِمين في الإسلامِ،

وفي ذلك أيضًا دَعوةٌ إلى الاستعدادِ ليوم القيامة؛

إذ إنَّهم إذا رأَوْا عَلاماتِها دَفعَهم هذا إلى الاستعدادِ لها،

وتوجيهٌ للمسلِمين الَّذين يُدرِكون بعضَ هذه العلاماتِ:

كيف يتَصرَّفون عندَ وُقوعِ هذه الأحداثِ؛

كالتَّوجيهِ بتقديرِ أوقاتِ الصَّلَواتِ في أيَّامِ الدَّجَّالِ،

الَّتي تَكونُ يومًا كسَنةٍ، ويومًا كشهرٍ، ويومًا كجُمعةٍ،

وسائرُ أيَّامِه كأيَّامِنا هذه،

وكالتَّحذيرِ مِن الولوغِ في الفتنِ وإذكائِها.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيّ ﷺ: **«والَّذي نفسي بيدِه»**، أي: يُقْسِمُ النبيّ ﷺ بالله الَّذي يَملِكُ أمرَ نفسِه. **«لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى»** أي: مِن علاماتِها الَّتي ستَحدُثُ قبلَ يومِ القيامةِ أن: **«تُكلِّمَ السِّباعُ الإنسَ»** والسِّباعُ هي الوُحوشُ والحيواناتُ الضَّاريةُ، والمعنى: أنَّ تِلك الحيواناتِ سوف تتحدَّثُ مع الإنسانِ. **«وحتَّى يُكلِّمَ الرَّجلَ عذَبةُ سَوطِه»** أي: ومِن علاماتِ السَّاعةِ أيضًا أن تتحَدَّثَ عذَبةُ السَّوطِ إلى صاحبِها يَعْني بما أحدَثَت يَداه، وعذَبةُ السَّوطِ طرَفُه. **«وشِراكُ نَعْلِه»** أي: ومن علاماتِ السَّاعةِ أيضًا أن يتَحدَّثَ رِباطُ الحِذاءِ مع صاحبِه بما مشَتْ إليه رِجلُه. **«وتُخبِرَه فَخِذُه بما أحدَث أهلُه بعدَه»**. أي: ومِن عَلاماتِ السَّاعةِ أيضًا أن تتَحدَّثَ أعضاءُ الإنسانِ إليه، فسوف تُخبِرُه فَخِذُه بما حدَث في بيتِه مِن بعدِه، وبما رآه سِرًّا.

وكَلامُ هذه الأشياءِ غيرُ محالٍ على الخالق؛

فإنَّه على ما يشاءُ قديرٌ.

وقد صحَّ في أخبارٍ أخرى كلامُ البَقرةِ مع الحاملِ لها،

والرَّاعي للغَنمِ مع الذِّئبِ.

وشاهدنا وسمعنا بعض الجمادات في عصرنا الحاضر تنطق وتتكلم؛

نحن نسمع جهاز المذياع (الراديو) ينطق ويتكلم؛

وهو من الجمادات التي أخبر عنها النبيّ.

ونتعامل يوميا مع أجهزة الهاتف؛ وأدوات أخرى كثيرة تتكلم.

وهذا مِن بَعضِ دَلائلِ نُبوَّتِه ﷺ. ومن بعضِ علاماتِ السَّاعةِ.

فتح القسطنطينية

من علامات الساعة الصغرى التي لم تقع بعد: فتح مدينة القسطنطينية (وهي مدينة اسطنبول اليوم) على أيدي المسلمين بدون قتال؛ وذلك قبل خروج الدّجال.

هذا الفتح العظيم يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى؛

وانتصار المسلمين عليهم،

فعندئذ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية؛

فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال،

وسلاحهم التكبير والتهليل.

القسطنطينية كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة ما بين ٣٣٥ – ٣٩٥م؛

ثم عاصمة الدولة البيزنطية (الإمبراطورية الرومانية الشرقية) ما بين ٣٩٥ – ١٤٥٣م؛

بعد هذا؛ فُتحت على يد العثمانيين بعد محاولات عدة؛

فدخل محمد الفاتح هذه المدينة؛ وأطلق عليها اسم (إسلام – بول) أو الآستانة؛

ثم أُطلق عليها اختصارا اسم (اسطنبول).

وبدخوله؛ أصبحت المدينة عاصمة الإمبراطورية العثمانية.

وكانت القسطنطينية فُتحت للمرة الأولى في عهد الدولة العثمانية على يد السلطان محمد الفاتح عام١٤٥٣م؛ الموافق سنة ٨٥٧هـ.؛ ولكنه فتحها بقتال وبسلاح، أما الفتح الآخر الذي بَشَّرَ به النبيّ ﷺ الذي هو من علامات الساعة؛ سيكون بدون قتال؛ كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ قال: **«سَمعتُم بمَدينَةٍ جَانِبٌ منهَا في البَرِّ، وَجَانِبٌ في البَحرِ ؟ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغزُوَهَا سَبعُونَ أَلْفًا مِنْ بَني إسحَاقَ، فإذَا جَاؤوهَا نَزَلوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بسلاَحٍ، وَلَمْ يَرمُوا بسَهْم، قَالُوا: لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكبَرُ، فَيَسقُطُ أَحَدُ جَانبَيهَا الَّذيْ فِيْ البَحرِ، ثُمَّ يَقُولُ الثَّانيَةَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكبَرُ، فَيَسقُطُ جَانبَهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُ الثَّالثَةَ: لَا إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أكبَرُ، فَيُفَرجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُونَهَا، فَيَغنَمُونَ، فَبَينَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ المَغَانِمَ إذْ جَاءَهُمْ الصَّريخُ، فَقَال: إنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَترُكُونَ كُلَّ شَيءٍ وَيَرجعُونَ»** صحيح مسلم.

في هذا الحديثِ يَسألُ النبيّ ﷺ الصَّحابةَ: هلْ سَمِعْتُم عنْ مَدينةٍ، جانبٌ مِنها في البرِّ، وجانبٌ مِنها في البحرِ؟ وفي رِوايةٍ أُخرى لمسْلمٍ: أنَّها قُسطَنْطينيَّةُ، وقيل: المرادُ مَدينةُ رُوما، فأخبَرَ الصَّحابةُ النبيّ ﷺ أنَّهم قدْ سَمِعوا بها، فقالَ لَهمُ النبيّ ﷺ: **«لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى يَغزوَها سَبعونَ ألفًا مِن بَني إسحاقَ»**، والمرادُ بهم: مَن أَسلمَ مِن غيرِ العربِ، وهُمْ مِن سُلالةِ نَبيِّ الله إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهما السلام، ولعلَّ المرادَ بهم أكرادُ الشَّامِ، قيل: يُحتمِلُ أنْ يكونَ معهم غيرُهم مِن بَني إسماعيلَ عليه السلام، وهُم العربُ، أو غيرُهم مِن المسْلمين، واقتصَرَ على ذِكرِه بَني إسحاقَ تَغليبًا لهُم على مَن سِواهم.

والمعنى: أنَّ مِن عَلاماتِ قُربِ قِيامِ القيامةِ:

فتْحَ تلك المدينةِ على المسْلِمين،

فإذا جاؤوا إلى المدينةَ،

نَزلوا حَوالَيْها مُحاصِرينَ أَهلَها فلم يُقاتِلوا بسِلاحٍ وَلم يَرْموا بسَهمٍ،

ولكنْ يَقولون: **«لا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكبرُ»،**

فيَسقطُ أَحدُ جانِبَيْها،

فقالَ ثورُ بنُ زَيدٍ الدِّيليُّ أَحدُ رُواةِ الحَديثِ:

لا أَظُنُّ أَبا هُريرةَ إلَّا قال: **«الَّذي في البَحرِ»** أي: الجَانب الَّذي في البَحرِ.

ثُمَّ يقولُ المُسلِمونَ في المَرَّةِ الثَّانيةِ: **«لا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ»،**

فيَسقطُ جانِبُها الآخرُ الَّذي في البَرِّ.

ويَقولونَ الثَّالثةَ: **«لا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أَكبرُ»،**

فيُفتَحُ لَهم فيَدخلونَها؛

فيَغنَمون مِن غَنائمِ تلكَ البلدةِ على وَجْهِ الغَلَبةِ والقَهْرِ.

فبيْنَما هُم على حالٍ يَقتَسِمونَ فيها المَغانِمَ،

جاءَهمُ الصَّريخُ، وهو المُنادي المسْتغيثُ والمحذِّرُ لهم،

فَيقولُ: **«إنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَرجَ»**، أي: في أهلِيكم وذَرارِيِّكم،

فيَتركونَ كلَّ شيءٍ منَ المَغانِمِ وغَيرِها؛

ويَرجِعونَ سريعًا لمُقابلةِ الدَّجَّالِ، ومُساعدةِ الأَهلِ والعِيالِ.

وفي هذا الحديثِ بيانٌ لبعضِ عَلاماتِ السَّاعةِ.

وفيه: إشارةٌ مِن رَسولِ الله ﷺ إلى كلِّ مُجاهدٍ في سَبيلِ الله؛ ألَّا يَستبْعِدَ أن يَفتحَ اللهُ الحُصونَ ويَهدِمَ المَعاقلَ، بِقولِ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُمْرَانُ بَيْتِ المقدسِ، خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلحمَةِ، وَخُرُوجُ الملحَمةِ فَتْحُ قِسطَنْطينيَّةِ، وفتحُ القسطنطينيةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»**. ثُمَّ ضَرَبَ بيَدِهِ عَلى فَخِذِ الذي حَدَّثَ أو منكبِهِ ثم قال: **«إنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّك هُنَا، أَوْ كَمَا أَنك قاعدٌ»**. يعني: معاذَ بنَ جبلٍ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النبيّ ﷺ: **«عُمْرانُ بيْتِ المَقْدِسِ»**، أي: أنْ يُعمَّرَ بيْتُ المقدِسِ بكثْرَةِ النَّاسِ فيهِ، وانتِعاشِ التَّجارَةِ والمالِ.

وقوله: **«خَرابُ يثْرِبَ»**، أي: المدينةَ النَّبَويَّة؛ والمعنى أنَّ عُمْرانَ بيْتِ المقدِسِ علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتظَرُ بعْدها خرابُ المدينَةِ النَّبويَّةِ، وقيل: يتسبَّبُ في خرابِ المدينَةِ، أو أنَّ ذلك وقْتُ خَرابِ المدينَةِ.

وقوله: **«وخَرابُ يثْرِبَ خُروجُ المَلْحَمَةِ»**، أي: إنَّ خُروجَ المَلْحَمَةِ علامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظرُ بَعدَها، وقيل: إنَّ وقْتَ خَرابِها أو بسبَبِ خرابِها يكونُ خُروجُ المَلْحَمَةِ، وهي الحربُ العَظيمةُ بين المسلِمين بالشَّامِ والرَّومِ، وقيل: بين المسلِمين والتَّتارِ بالشَّامِ.

وقوله: **«وخُروجُ المَلْحمَةِ»**، أي: علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتَظَرُ بَعدها: **«فتْحُ القُسطنطينيَّةِ»**؟ وقيل: إنَّ فتحَ القُسطنطينيَّةِ يكونُ وقْتَ خُروجِ المَلْحمَةِ أو بسبَبِها.

والقُسطنطينِيَّةُ مَدينةٌ جانِبٌ منها في آسيا وجانِبٌ في أوربَّا؛

ويَفْصِلُ بين الجانبين البحْرُ.

والمعنى: أنَّ فتْحَها مِن قِبَلِ المسلِمين علامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظَرُ بَعدَها: **«خُروجُ الدَّجَّالِ»**.

وقيل: يكون وقتَ فتْحِها أو بسبَبِه.

والدجَّالُ هو الأعْوَرُ الكذَّابُ مُدَّعي الألوهِيَّةِ.

«ثمَّ ضرَبَ بيَدِه»، أي: ضرَبَ النبيّ ﷺ بيَدِه **«على فَخِذِ الَّذي حدَّثَه»**، أي: مُعاذٌ **«أو مَنْكِبِه»**؛ شكٌّ من الرَّاوي، ثمَّ قال: **«إنَّ هذا»**، أي: ما حدَّثتُ بهِ ممَّا سيَحدُثُ في المستقبَلِ، **«لحقٌّ»**، أي: كائنٌ لا مَحالَةَ.

ثمَّ أوْضَحَ النبيّ ﷺ تأْكيدَ وقوعِهِ، فقال: **«كما أنَّك هنا»**، أو **«كما أنَّك قاعِدٌ»**، يعني: معاذَ بنَ جبَلٍ، أي: هذا الكلامُ حَقٌّ واقِعٌ كما أنَّك أَمامي.

وفي الحَديثِ: مُعجِزةٌ ظاهِرةٌ للنَّبيِّ ﷺ بإخْبارِه بأشياءَ ستقَعُ.

وفيهِ: بيَانُ النبيّ ﷺ لبعْضِ عَلاماتِ السَّاعَةِ الَّتي ستَعْقُبُ بعْضُها بعْضًا.

قتال المسلمين اليهود في فلسطين

من عَلامَاتِ السَّاعَةِ التي أَخْبرَ عَنْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ تَقع بَعْدُ، قِتَالُ المُسْلِمِينَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ خَلْفَ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فَيُنْطِقُ اللهُ الحَجَرَ والشَّجَرَ، فَيُنَادِي المُسْلِمَ: يَا عَبْدَ الله، هذا يَهُودِيٌّ خَلفِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ. وَقَد بشَّر القرآن الكريم في سورة الإسراء؛ بأن نهاية اليهود ستكون في فلسطين على يد المسلمين؛ كما أشارت الأحاديث الصحيحة على ذلك.

فهل اقترب هذا اليوم؟

وهل هذا من علامات اقتراب القيامة؟

إن نهاية اليهود على يد المسلمين أَمرٌ مُحتَّم، وردت الأخبار به على لسان رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المسلمُون اليَهُودَ، فيَقتلُهُم المسلمُون، حَتَّى يَختَبيءَ اليَهُوديُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجرِ وَالشَّجرِ، فيَقُولُ الحَجَرُ أَو الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ؛ هَذا يَهُوديٌّ خَلفِي؛ فتَعَالَ فاقْتله. إلاّ الغَرْقَدَ، فَإِنَّه مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ**» متفق عليه.

في هذا الحَديثِ يُخبِرُ الرسول ﷺ بعَلامةٍ مِن عَلاماتِ قِيامِ السَّاعةِ،

وهي قِيامُ حَربٍ بيْن المُسلِمينَ واليَهودِ،

فيَقولُ ﷺ مُخاطِبًا الحاضِرينَ مِن أصحابِه،
والمُرادُ غَيرُهم ممَّن سيَكونونَ في آخِرِ الزَّمانِ:
«لا تَقُومُ السَّاعةُ حتى تُقاتِلوا اليَهودَ»:
وذلك عِندَما يَنزِلُ عيسى ابنُ مَريمَ عليه السلام،
ويَكونُ المُسلِمونَ معه، واليَهودُ مع الدَّجَّالِ.

وفي هذه الحَربِ يَتعاوَنُ كُلُّ شَيءٍ مع المُجاهِدينَ المُسلِمينَ، حتَّى تَتكَلَّمُ الجَماداتُ مِنَ الحَجَرِ ونَحوِه، كُلَّما اختبَأَ يَهوديٌّ وَراءَ شَيءٍ منها تَكَلَّمتْ ونادَتْ على المُسلِمِ فقالَتْ: **«يا مسلمُ، هذا يَهوديٌّ وَرائي، تَعالَ فاقتُلْه»**، فنُطْقُ الجَمادِ بذلك حَقيقةٌ.

وفي رِوايةِ مُسلمٍ: **«إلَّا الغرْقَدَ؛ فإنَّه مِن شَجَرِ اليهودِ»**.
والغرقَدُ: نَوعٌ مِن شجَرِ الشَّوكِ مَعروفٌ ببِلادِ بَيتِ المقدِسِ.
وهناك يكونُ قتْلُ الدَّجَّالِ واليَهودِ.
والمعنى: أنَّ كلَّ شَيءٍ يَتعاوَنُ مع المسلمِ مِن النَّباتاتِ والجَماداتِ على قتْلِ اليهودِ، إلَّا هذا النَّوعَ مِن الشَّجرِ.
وفي الحَديثِ: دَليلٌ على بَقاءِ دِينِ الإسلامِ إلى يَومِ القيامةِ، وظُهورِه على جَميعِ أعدائِه.

وعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»** متفق عليه.

وروى الإمام مسلم عَن ابْنِ عُمَرَ ﵄، عَن النبيّ ﷺ قَالَ: **«لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»** صحيح مسلم.

أما حديث: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود أَنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه».** ذكر الباحثون: لم نجد في كتب السنة حديثاً هذا نَظْمُه، ويبدو أن الراوي أدرج حديثين مختلفين، فرواهما على أنهما حديث واحد:

أما الأول: عن نهيك بن صريم السكوني قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتُقَاتِلُنَّ المشرِكينَ، حَتَّى يُقَاتلَ بَقيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ عَلَى نَهْرِ الأُرْدُنِّ؛ أَنتُمْ شَرْقيَّهُ وَهُمْ غربيَّهُ».**

قال الرواي: ولا أدري أين الأردن يومئذ؟ قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار ورجال البراز ثقات.

وأما الثاني: فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتلَ المسلمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُم المسلمُون، حَتَّى يَخْتَبِيءَ اليَهُوديُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ أَو الشَّجَرُ: يَا مُسلمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُوديٌّ خَلفي، فتَعَالَ فَاقْتُلْه»** متفق عليه.

فقد دل الحديث الأول على قتال عموم المشركين في المكان المذكور،

ودلّ الحديث الثاني على قتال اليهود دون تحديد المكان،

وليس من الضروري أن يرتبط الحديث الأول بالثاني،

وإن كان الارتباط ممكناً؛ فعلينا ألا نحكم بذلك إلا بدليل، ولا دليل هنا.

وسَوَاءً كانُوا مُشركينَ أو يَهُودا؛

فكُلّهُم في الهَوَاء سَوَاء؛

وإِنَّ قَتْلَ اليَهُودِ جَمِيعاً لا يَكُونُ إلا بَعْدَ قَتْلِ الدَّجَّالِ،

روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ** "أَيْ خَارِجَ المَدِينَةِ" **فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَو الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»** إسناده صحيح.

أما الملاحظ من قتال المسلمين لليهود الذي أخبر به النبيّ ﷺ؛

فالواضح بأنه سيكون من المسلمين بالمسمّى نفسه؛

ولا وجود للجنسيات أو القوميات العربية أو الإسلامية؛

فالوقت يكون مختلفا عن زماننا.

هذا الحديث لم يذكر: يا فلسطيني؛ أو يا أردني؛ أو يا مصري أو سوري أو سعودي أو جزائري؛ كما هو شائع اليوم.

الحديث لم يذكر: يا تركي أو باكستاني؛ أو أية قومية عربية أو إسلامية أخرى.

أو أسماء تنظيمات دينية أو سياسية أو عسكرية؛

أو أية مسمَّيات أخرى؛ إنما ذكر في الحديث: يا مسلم.

فلهذا ينصر الله المسلمين على اليهود بسبب استقامتهم على دين الإسلام ونصرهم لدين الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

إنّ من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ قِتَالُ الْمُسْلِمِينَ لليَهُودِ، وَإِبَادَتُهُم كُلِّيّاً، وَلَكِنَّ هذا الأَمْرَ لا يَكُونُ إلا في آخِرِ الزَّمَانِ بَعْدَ قَتْلِ الدَّجَّالِ، وَسَوْفَ يَجْتَمِعُ على اليَهُودِ الجَمَادُ والنَّبَاتُ والإِنْسَانُ لِشِدَّةِ خُبْثِهِم وَكَثْرَةِ جَرَائِمِهِم.

وَمَا غَلَبَتِ اليَهُودُ اليَوْمَ الْمُسْلِمِينَ إلا بِسَبَبِ غِيَابِ الإِسْلامِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ،
وَانْغِمَاسِهِم في الأَهْوَاءِ والشَّهَوَاتِ،
لِذَا تَرَاهُم هُمُ الذينَ يَبْدَؤُونَ بالهُجُومِ على الْمُسْلِمِينَ،
وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَلْتَزِمُ الْمُسْلِمُونَ دِينَ الله تعالى سُلُوكاً وَعَمَلاً
فَهُمُ الذينَ يَبْدَؤُونَ اليَهُودَ بالهُجُومِ عَلَيْهِم،
حَتَّى يَقِفَ بِجَانِبِهِمُ الحَجَرُ والشَّجَرُ،
وذلكَ بِسَبَبِ الْتِزَامِهِم دِينَ الله تعالى.

وعودة لواقعنا اليوم؛
فقد بدأ الفصل الأول بالتحقق،
فبلاد الشام الآن:
بدأت تتحوّل لأرض جاذبة لأنظار المسلمين؛ للجهاد فيها من شتى بقاع الأرض؛

وباتت الأنظمة العربية العلمانية فيها أقرب للسقوط من أي وقتٍ مضى؛
مع ظهور الوعي الإسلامي بوضوح في أجيال الشباب؛
خصوصا في المدارس والجامعات.

ويؤكد هذا الواقع؛
ارتفاع أصوات التمرد؛
وسماع المفردات الدينية في المنتديات والشوارع؛
وخلال المواجهات والاصطدامات بين السكان المسلمين المحليين؛
وبين وحدات الجيش اليهودي في فلسطين؛
مع وقوع شهداء وإصابات بالمئات كل يوم وكل ساعة؛
ناهيك عن اعتداءات الجماعات الحاخامية اليهودية على المسجد الأقصى؛
بهدف هدمه وبناء معبد؛
وهو ما يدفع هذا نشوب حرب دينية عالمية بين المسلمين والبهود.
في الوقت الذي بدأ فيه القلق الغربي والصهيوني يتصاعد من هؤلاء؛
وجدوا أنهم يحملون السلاح في أيديهم؛ ويحملون العقيدة في قلوبهم،
وهذه اللحظة الفارقة في تاريخ الأمة.

نحن ننتظر أن يتحقق هذا؛
في وقت سَتُزال فيه الحدود المزعومة؛

بين حكومات الدول العربية والإسلامية العلمانية المتخاذلة؛

وستنتهي أسماء القوميات البغيضة فيها.

في هذا الوقت؛ يجتمع المسلمون كلهم باتجاه واحد لإعلاء كلمة واحدة؛

ثم يتحقق قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٧].

ثم الوعد المنتظر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥].

الخسوفات الثلاثة

هي من أشراط الساعة، جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن الساعة قال: **«إنَّها لَن تَقومَ حتى تَرَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ؛** فذَكَر منها... **ثلاثَ خُسوفٍ: خَسفٌ بالمَشرِقِ؛ وخَسفٌ بالمَغرِبِ؛ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ»** صحيح مسلم.

وهذه الخسوف تكون عظيمة وعامة لأماكن كثيرة من الأرض، في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب. وقد وُجد عبر التاريخ الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة المذكورة في هذا الحديث قدرا زائدا على ما كان وما وُجد، كأن يكون أعظم منه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ حُذَيْفَةُ أنَّ رَسولَ الله ﷺ أخبَرَهم أنَّ السَّاعةَ لا تكونُ ولا تقومُ حتَّى يَسبِقَها وُقوعُ عشْرِ آياتٍ، أي: عَلاماتٍ، ومِن هذه العلاماتِ:
«خَسْفٌ بالمَشرِقِ، وخسفٌ بالمَغْرِبِ، وخسفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ»، والخَسْفُ هو الذَّهابُ والغِيابُ في باطنِ الأرضِ، كما حدَثَ لقارونَ، ولعلَّ هذه الخُسوفَ الثَّلاثةَ لم تَقَعْ إلى الآنَ.

إن من أعظم ما يميّز آخر الزمان،

هو زمن اقتراب الساعة ودنو أمرها؛

وظهور الأحداث العظام المؤذنة باختلال العالم،

وانفراط نظامه.

ومن تلك الأحداث: الخسوفات الثلاثة التي أخبرنا النبيّ ﷺ أنها تكون علامة على قرب قيام الساعة، وأخبرنا رسولنا ﷺ أن هذه الخسوفات الثلاثة تكون عقوبة ربانية على ظهور المعاصي وانتشارها.

جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها؛ عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«يَكونُ في آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ خَسفٌ ومَسخٌ وقَذفٌ»**، قالَت: قُلتُ: يا رسولَ اللهِّ، أَنَهلِكُ وَفينَا الصَّالحونَ ؟ قالَ: **«نعَم إذا ظَهَرَ الخبَثُ»** صحيح الترمذي وصححه الألباني.

في هذا الحديثِ تُخبِرُ عائشةُ رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«يكونُ في آخِرِ هذه الأُمَّةِ خسْفٌ»: وهو الهُبوطُ الَّذي يقَعُ بجُزْءٍ من الأرضِ.

«ومسْخٌ»: وهو تحويلُ الصُّورةِ وتبْديلُها إلى أقبَحَ منها، كما مُسِخَت بنو إسرائيلَ قِردةً وخنازيرَ؛ شكلا أو معنى.

قيل: والمرادُ بالمسْخِ هنا على ظاهرِه لِمَن أراد اللهُ أنْ يُعجِّلَ له العُقوبةَ في الدُّنيا.

«وقذْفٌ»: وهو الرَّمْي بالحِجارةِ كما حدَثَ لقومِ لوطٍ.

قالت عائشةُ ﵂: قلْتُ: يا رسولَ الله، أنهلِكُ وفينا الصَّالحون؟، أي: وهلْ يقَعُ مثْلُ هذا العذابِ على الأُمَّةِ وفيها من الصَّالحين؟ فقال النبيّ ﷺ: **«نَعَمْ، إذا ظَهَرَ الخَبَثُ»:** أي: إذا كثُرَ، والمُرادُ بالخبَثِ: الفُسوقُ والفُجورُ والمعاصي.

والمعنى: أنْ يكثُرَ أهْلُ الفَسادِ على أهلِ الصَّلاحِ.

وزاد التِّرمذيِّ في حديثِ عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ ﵁: فقال رجُلٌ من المُسلمين: يا رَسولَ الله، ومتى ذاك؟ قال: **«إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ»** رواه الترمذي وصححه الألباني.

وفي الحديثِ: عِظَمُ الذُّنوبِ في آخرِ الزَّمانِ، وعِظَمُ عُقوبتِها.

وقد جعل الله ﷻ هذه الآية نذيراً بين يدي الساعة؛

حتى يعود الناس إلى رشدهم،

ويعلموا أنهم إن أصرُّوا على ما هم عليه من المعاصي والذنوب؛

فإن ما أعدَّه الله للعاصين يوم القيامة؛ لا طاقة لأحد به.

كما أخبرنا النبيّ ﷺ أن الخسوفات التي هي من علامات الساعة تقع في أماكن ثلاثة، **المكان الأول:** جهة الشرق والمراد به مشرق المدينة حيثما كان الرسول، ولا شك أن المقصود موضع بالمشرق وليس جميع أرجائه.

والمكان الثاني: جزيرة العرب، وليس بالضرورة أن يشمل جميع أرجائها؛ بل ربما أتى على بعض قبائلها، كما جاء في مسند أحمد.

والمكان الثالث: جهة الغرب؛ والمراد به غرب المدينة النبوية، والمقصود منه ليس عموم المغرب وإنما موضع منه.

ما زالت الخسوفات تقع منذ بدء الخلق إلى يومنا هذا،

فهي لم تنقطع عن الأرض منذ أن خُلِقت،

وقد أخبرنا سبحانه عن الخسف كعقوبة عاقب بها من عصى أمره،

فمنهم من خسف به الأرض؛

ومنهم من أغرقه؛

وعليه فينبغي حمل الكلام النبويّ عن هذه الخسوفات الثلاثة على قدر زائد عن مثيلاتها.

كانت هذه وقفة مع أحد أشراط الساعة،

وهي بمثابة النذير ليستعدَّ المؤمن بعمل ما يُنجيه من أهوالها،

وتجنب المعاصي بأنواعها،

وفي مقدمتها الزنا وشرب الخمر والغناء،

وهذا ما نراه عيانا في زمننا هذا،

وعُدَّت من أسباب التمدُّن والتحضُّر!!

ارتجاف المدينة لنفي خبثها

أَخْبَرَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ من عَلامَاتِ السَّاعَةِ ارْتِجَافُ المَدِينَةِ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ الدَّجَّالِ. روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ؛ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»** صحيح مسلم.

مَعنَى قَولِهِ ﷺ: **«هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ»**: عَنَى بِذَلِكَ أَنَّ الأَمْصَارَ تُفْتَحُ على المُسْلِمِينَ، فَتَكْثُرُ الخَيْرَاتُ، وتَتَرَادَفُ عَلَيْهِم الفُتُوحَاتُ، يَخْرُجُ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ مِن بِلادِ الحِجَازِ وَبِلَادِ العَرَبِ إِلَى مَا وَجَدُوا مِنَ رَغَد العَيش، واتَّخَذُوا البِلادَ المَفْتُوحَةَ داراً لَهُم، وَدَعُوا إِلَيهَا مَن كَانَ بالمَدِينَةِ لِشِدَّةِ العَيْشِ بِهَا، وضِيقِ الحَالِ، فَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: **«وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»**.

وروى الشيخان عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَن النبيّ ﷺ قَالَ: **«لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»** متفق عليه.

النَّقْبُ: الطَّرِيقُ بَينَ الجَبَلَينِ.

فَلا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ؛

يَكُونُ يَوْمَ الخَلاصِ من كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ من مَدِينَةِ رَسُولِ الله ﷺ.

وروى الإمام أحمد عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:

«يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ،

يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ،

يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ».

فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟

قَالَ: **«يَجِيءُ الدَّجَّالُ، فَيَصْعَدُ أُحُدَاً، فَيَنْظُرُ الْمَدِينَةَ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ؛ ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَاً مُصْلِتاً** (أَيْ: مُجَرِّداً سَيْفَهُ) **فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجُرْفِ** (اسم مكان)، **فَيَضْرِبُ رُوَاقَهُ** (أي مَوْضِعَ جُلُوسِهِ). **ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ»** صحيح البخاري.

يَزْعُمُ اليَهُودُ أَنَّهُم قَتَلُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، وَصَلَبُوهُ؛

وَزَعَمَ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى قُتِلَ وَصُلِبَ وَدُفِنَ،

وَخَرَجَ من قَبْرِهِ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ،

وَصَعِدَ إلى السَّماءِ،

وَجَلَسَ عَن يَمِينِ الرَّبِّ أَبِيهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ يَوْمَ الخَلاصِ،

لِيَقْضِيَ بَيْنَ الأَحْيَاءِ والأَمْوَاتِ.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

وقَد بَيَّنَ اللهُ تعالى الحَقَّ، وَكَذَّبَ اليَهُودَ والنَّصَارَى.

إنّ المَقْصُودَ من يَوْمِ الخَلاصِ الذي جَاءَ في الحَدِيثِ؛

هُوَ يَوْمُ خَلاصِ المَدِينَةِ من كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ،

وَمُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ،

وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ؛

وَهَذا من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

أَنَّ المَدِينَةَ تَرْتَجِفُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ،

حَتَّى يَخْرجَ مِنْهَا كُلُّ خَبِيثٍ فِيهَا،

لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ دُخُولُهَا،

بَلْ مُحَرَّمٌ دُخُولُ رُعْبِهِ عَلَيْهَا،

وذلكَ لِوُجُودِ المَلائِكَةِ المُحِيطَةِ بالمَدِينَةِ؛

تَحْرُسُهَا من دُخُولِهِ؛ وَدُخُولِ رُعْبِهِ.

نُزُولُ الخِلَافَةِ فِي أَرْضِ الشَّامِ

مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ نُزُولُ الخِلَافَةِ فِي أَرْضِ الشَّامِ.

رَوَى الإِمَامُ أحمد والحَاكِمُ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ رضي الله عنه، أَنَّ ابْنَ زُغْبٍ الْإِيَادِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ لِي وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا، فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ»**.

ثُمَّ قَالَ: **«لَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ، وَالرُّومُ وَفَارِسُ، حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِن الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا، وَمِن الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، وَمِن الْغَنَمِ، حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا»**.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ هَامَتِي، فَقَالَ: **«يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَت الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»** صحيح الجامع للألباني.

وَلَيْسَ المَقْصُودَ بِهَا خِلَافَةَ بَنِي أُمَيَّةَ.

ما الأَدِلَّةُ عَلى عَودَةِ الخِلَافَةِ بِأَرضِ الشَّامِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ؟

مَا يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الخِلَافَةَ سَتكُونُ أَيَّامَ المَهْدِيِّ الَّذِي سَيَسْتَقِرُّ فِي بِلَادِ الشَّامِ؛ بَعدَ خُرُجِهِ مِن بِلَادِ الحِجَازِ لِقِتَالِ الرُّومِ، نُصْرَةً لِلمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وبَعدَ نُزُولِ سَيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام، الأَحَادِيثُ التَّالِيَة:

أولاً: عَمُودُ الإسْلَامِ فِي بِلَادِ الشَّامِ أَيَّامَ الفِتَنِ؛ وقَد حُمِلَ عَمُودُ الإِسْلَامِ مِن تَحتِ وِسَادَةِ النبيّ ﷺ، وَوُضِعَ فِي الشَّامِ.

رَوَى الإِمَامُ الحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلا وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**» أخرجه أحمد وصححه الألباني.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحمَد عَن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ، فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**» صحيح الترغيب للألباني.

ثانياً: وُجودُ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ؛ مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذِهِ الخِلَافَةُ سَتقُومُ قَبلَ قِيامِ السَّاعَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ، والَّتِي أَمِيرُهَا المَهدِيُّ فِي بِلَادِ الشَّامِ، خَاصَّةً بَعدَ نُزُولِ سَيِّدِنَا عِيسى عليه السلام.

رَوَى الإِمَامُ مُسْلِم عَن جَابر بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَال: سَمِعْتُ النبيّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الْأُمَّةَ**» صحيح مسلم.

فَسَيِّدُنَا المَهْدِيُّ عليه السلام هُوَ الخَلِيفَةُ عَلى المُسْلِمِينَ يومَئذٍ فِي بِلَادِ الشَّامِ.

ثالثاً: تَملأُ الأَرضُ قِسْطاً وعَدْلاً بِبَرَكَةِ هَذِهِ الخِلَافَةِ؛ فَمَع ظُهُور خلافَةِ المَهْدِيِّ رضي الله عنه فِي بِلَادِ الشَّامِ:

تَملأُ الأَرضُ عَدْلاً وقِسْطاً،

وتُخرِجُ الأَرضُ خَيْراتِهَا وبَرَكَاتِهَا،

ويَمْلأُ اللهُ قُلُوبَ هَذِهِ الأُمَّةِ غِنَىً.

رَوَى الإِمَامُ الحَاكِمُ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي المَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطَى المَالُ صِحَاحاً، وَتَكْثُرُ المَاشِيَةُ وَتَعظُمُ الأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبعاً أَو ثَمَانِياً**» رواه الحاكم: صحيح.

قوله: «**سَبعَاً أَو ثَمَانِياً**»: يَعنِي سنوات.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ**» صحيح مسلم.

وفي رِوَايَةٍ ثَانِيَة للإِمَامِ مُسلِم؛ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «**يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ**». قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «**مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ**» صحيح مسلم.

ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ**». قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟

قَالَ: «**مِنْ قِبَلِ الرُّومِ**» صحيح مسلم.

ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**» صحيح مسلم.

رَابِعاً: الهِجرَةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إلى بِلَادِ الشَّامِ؛ مَا يُؤَكِّدُ أنَّ الخِلافَةَ سَتكُونُ فِي بِلَادِ الشَّامِ، لِأنَّ الإِيمَانَ يَكُونُ فِيهَا عِندَ حُدُوثِ الفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

روَى الإِمَامُ أحمَد عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ تَحْشُرُ النَّاسَ**». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**» صحيح الترمذي، صححه الألباني.

وفِي هَذِهِ الآوِنَةِ التِي تَعِيشُهَا الأُمَّةُ اليَومَ، يُفَكِّرُ البَعضُ بالسَّفَرِ إلى بِلادٍ غَيرِ إِسْلَامِيَّةٍ، فَارًّا من بِلَادِ الشَّامِ المُبَارَكَةِ إلى بِلَادِ الغرب، وهِيَ وإِنْ كَانَتْ في ظَاهِرِهَا جَنَّةً، إلا أَنَّهَا انْطَبَقَ عَلَيْهَا قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**» صحيح مسلم.

فالوَاجِبُ على أَهْلِ بِلادِ الشَّامِ أَنْ يَصْبِرُوا ويُصَابِرُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ؛ وسيأتي الله بالنصر والفرج على بلاد الإسلام آجلا أم عاجلا.

حصار العراق والشام

العراق دولة التراث؛ ودولة الفرات ودجلة، ودولة التاريخ والتضحيات الكثيرة، وتُعد من الدول التي لها العديد من المسميات التي تليق بها، والعراق يختلف عن الدول العربية جميعها من قديم الزمان وحتى وقتنا الحالي.

ورد في رِوَايَةٍ للإمَامِ مُسلِم؛ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: **«يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ»**. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: **«مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ»** صحيح مسلم.

القفيزُ: مِكيالٌ مَعروفٌ لأهلِ العِراقِ. **العجَمُ:** وهو اسمٌ يُطلَقُ على كلِّ مَن لا يَتكلَّمُ العربيَّةَ.

ثُمَّ قَالَ: **«يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ»**. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: **«مِنْ قِبَلِ الرُّومِ»** صحيح مسلم.

المديُ: مِكيالٌ مَعروفٌ لأَهلِ الشَّامِ.

وقد تحقق هذا القول في عصرنا وزماننا؛ حيث فُرض على العراق من الحصار الاقتصادي البري والبحري والجوي؛ لمنع وصول المُؤَن والأرزاق إليه؛ نتج عن قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ الذي صدر في يوم ٦ أغسطس ١٩٩٠ ونص على اقرار عقوبات اقتصادية خانقة على العراق؛ وهذا من دلائل النبوَّة.

يُحاصَر العراق أولا؛ ثم تحاصَر الشام؛ فيُمنع عنها الطعام والمساعدات، وهاتان العلامتان من أعجب ما أخبر به النبيّ ﷺ بما سيكون في آخر الزمان، فقد وقع هذا؛ حوصرت العراق حصارا دوليا عام ١٩٩٠م، ثم حوصرت فلسطين (غزة) حصارا شديدا عام ٢٠٠٦م، وما زالت تحت الحصار حتى الآن؛ وقد تحقق قول نبينا ﷺ.

هل وقع هذا الحصار لأهل العراق والشام فيما سبق؟

هل تحقق ذلك أيام الحروب الصليبية والتتار؟

أم أنه الحصار الذي وقع ويقع الآن؛ ونشاهده في زماننا اليوم؟

أم أنه لا يزال في علم الغيب؟

أم أن هذا الحصار سيكون أيام الملاحم قبل نزول عيسى عليه السلام؟

أم أنه يسبق المهدي.

المتمعِّن يجد أن هذا الحصار تكرر وتحقق في عصور سابقة. وأن القائلين بأن هذا الأمر قد ظهر هم كثيرون؛ وفي سنوات متفاوتة: أولها سنة ٣٨٨هـ، فهؤلاء على تفاوت سنوات وفياتهم، كل منهم يقول: إن هذا الحصار قد حصل في زمانه. ونحن في عصرنا الحاضر نجزم بأن هذا الأمر وإن كان قد حصل وتكرر في أزمان سابقة؛ فإنه ما زال يتحقق ويتكرر؛ للتأكيد والدلالة على صدق نبوءة النبيّ محمد ﷺ؛ بعد أن قاله بمئات السنين.

شمول الإسلام أرجاء المعمورة

مِن عَلَامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ: اِنْتِشَارُ الإِسْلَامِ في أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ، حَتَّى يَشْمَلَ جَمِيعَ مَا على سَطْحِ الأَرْضِ، بِحَيْثُ لا يَبْقَى بَيْتُ حَجَرٍ، ولا وَبَرٍ، ولا مَدَرٍ، إلا وَيَدْخُلُهُ هذا الدِّينُ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ.

عَن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ ﷻ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»** رواه أحمد والحاكم؛ إسناده صحيح.

المَدَرُ: الطِّينُ الصُّلْبُ. **الوَبَرُ:** الصُّوفُ أو الشَّعْرُ.

والمُرَادُ: بُيُوتُ أَهْلِ البَدْوِ والحَضَرِ.

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،

وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ،

بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ،

عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ،

وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ» إسناده صحيح على شرط مسلم.

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرَاً الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ.

وَقَد بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأُمَّةَ بِظُهُورِ هذا الدِّينِ مَهْمَا تَكَالَبَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الخُصُومُ. عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ...»** صحيح مسلم.

أَرَى اللهُ تعالى سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً ﷺ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا، وهذا يَعْنِي أَنَّ مُلْكَهَا سَيَعُمُّ الأَرْضَ كُلَّهَا، لأَنَّ التَّعْبِيرَ بِمَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، كِنَايَةٌ عَن شُمُولِ ذلكَ.

أَمَا تَرَى أَنَّ اللهَ تعالى يُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ،
وَرَبِّ المَشْرِقَيْنِ، وَرَبِّ المَغْرِبَيْنِ؛
والمُرَادُ شُمُولُ ذلكَ كُلِّهِ.

فالسَّعِيدُ المُوَفَّقُ هُوَ الذي يَقُومُ بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ، وَمَهْمَا كَثُرَ الشَّرُّ والفَسَادُ، لأَنَّ اللهَ تعالى غَالِبٌ على أَمْرِهِ، وَرَبُّنَا عز وجل قَالَ: **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة:٣٢].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُوداً فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْأُمَرَاءِ.

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ،

فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضّاً،

فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ،

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً،

فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ». ثُمَّ سَكَتَ. إسناده حسن.

هذهِ الأُمّةَ مَا خُلِقَتْ إلا لِيَكُونَ لَهَا البَقَاءُ

إِنَّ المُتَدَبِّرَ لِحَالِ الأُمَّةِ اليَوْمَ النَّاظِرَ لَهَا، يَرى أَنَّ جَمِيعَ أُمَمِ الكُفْرِ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا من كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، يَقْتُلُونَ وَيُدَمِّرُونَ، وَيُحْرِقُونَ وَيَغْتَصِبُونَ، وَيَفْعَلُونَ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُونَ لِيُبَدِّدُوا أَهْلَ هذا الدِّينِ تَمَاماً.

وَانْطَبَقَ على وَاقِعِنَا المَرِيرِ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا».**

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟

قَالَ: **«أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ».**

قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: **«حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»** صحيح أبي داود، صححه الألباني.

وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ هذا فَنَحْنُ نَتَفَاءَلُ،

بَلْ وَنَحْنُ على يَقِينٍ بِأَنَّ هذهِ الأُمَّةَ مَا خُلِقَتْ إلا لِيَكُونَ لَهَا البَقَاءُ؛

حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ،

وَتَكُونَ لَهَا السِّيَادَةُ والرِّيَادَةُ،

لذلكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ وَنَسْعَى جَاهِدِينَ للالْتِزَامِ بهذا الدِّينِ سُلُوكاً وَعَمَلاً؛

وَيَجِبُ عَلَيْنَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ التَّوْبَةُ؛ والرُّجُوعُ إلى اللهِ تعالى.

حذار من اليَأْسِ والقُنُوطِ،

لأَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ الله ﷺ مَا كَانَ يَعْرِفُ اليَأْسَ ولا القُنُوطَ،

بَلْ كَانَ ﷺ في أَحْلَكِ الأَوْقَاتِ والظُّرُوفِ مُتَفَائِلاً،

وَيَبُثُّ الأَمَلَ في نُفُوسِ أَصْحَابِهِ في تِلْكَ الظُّرُوفِ، فَيَقُولُ:

«والله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ» صحيح البخاري.

فَلَنْ يَبْقَ بَيْتٌ في أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ إلا وَسَيَدْخُلُهُ الإِسْلامُ،

رَغْمَ أَنْفِ كُلِّ عَبْدٍ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ،

رَغْمَ كُلِّ حَاقِدٍ وَحَاسِدٍ.

عَلَيْنَا بالالْتِزَامِ بِدِينِ الله تعالى

وَلْنَحْذَرِ اليَأْسَ والقُنُوطَ،

لأَنَّ اللهَ تعالى مَعَ المُتَّقِينَ،

ومَعَ المُحْسِنِينَ،

ومَعَ الصَّابِرِينَ.

الريح الطيبة تأخذ أرواح المؤمنين

من عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ التي أَخْبَرَ عَنْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ الله ﷺ: إِرْسَالُ رِيحٍ لَطِيفَةٍ بَارِدَةٍ تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى لا تُبْقِيَ مَن كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ، تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُم من تَحْتِ آبَاطِهِم، فَيَمُوتُونَ جَمِيعاً، ولا يَبْقَى إلا شِرَارُ الخَلْقِ.

لا يَبْقَى إلا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ،
يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُرِ،
عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِن الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِن الْحَرِيرِ** (إِشَارَةٌ إِلَى الرِّفْقِ بِهِمْ، وَالْإِكْرَامِ لَهُمْ) **فَلَا تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ ـ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ حَبَّةٍ؛ و قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ـ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»** صحيح مسلم.

وعَن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ ـ أَيْ: حَقَّرَ شَأْنَهُ، وعَظَّمَ فِتْنَتَهُ ـ ثمَّ قَالَ:
«فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِن الرُّمَّانَةِ،
وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا،
وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ،

حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِن الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِن النَّاسِ،
وَاللِّقْحَةَ مِن الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِن النَّاسِ،
وَاللِّقْحَةَ مِن الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْذَ مِن النَّاسِ،
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ،
إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً،
فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ،
فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ،
وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ،
فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» صحيح مسلم.

الْعِصَابَةُ: الْجَمَاعَةُ. **الْقِحْفُ:** هُوَ مُقَعَّرُ الْقِشْرِ. **الرِّسْلُ:** هُوَ اللَّبَن. **اللِّقْحَةُ:** الْقَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِالْوِلَادَةِ. **الْفِئَامُ:** الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ. **الْفَخْذُ:** الْجَمَاعَةُ مِن الْأَقَارِبِ.
يَتَهَارَجُونَ: أَيْ: يُجَامِعُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ بِحَضْرَةِ النَّاسِ كَمَا يَفْعَلُ الْحَمِيرُ، وَلَا يَكْتَرِثُونَ لِذَلِكَ.

وُروي كذلكَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
«لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى».
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ:
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩]. أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا.

أَي إِنِّي كُنتُ لَأَظُنُّ أَنَّ ظُهُورَ الدِّينِ عَلَى كُلِّ الأَديَانِ يَكُونُ تَامًّا ومُسْتَمِرًّا إِلى يَومِ القِيَامَةِ.

قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ،**

ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً،

فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ،

فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ،

فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ» صحيح الجامع للألباني.

ورُوِي كذلكَ عَن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً كَرِيحِ الْمِسْكِ،**

مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ،

فَلَا تَتْرُكُ نَفْساً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِن الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ،

ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ،

عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» صحيح مسلم.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في رواية أخرى؛ أنّ هذه الريح تأتي من اليمن، وذلك بقوله: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ اليَمَنِ**».

ويحتمل الجمع بين الروايتَين وَجهَين:

الأوّل: أنّهما ريحان؛ شاميّة، ويمانيّة.

والثاني: أنّ الريح تبدأ من إحدى المنطقتَين لتصلَ الأخرى.

لا تقومُ السّاعةُ إلا على شِرارِ الخَلْقِ

بَعْدَ انْتِشَارِ الإِسْلامِ في زَمَنِ المَهْدِيِّ، وَبَعْدَ نُزُولِ سَيِّدِنَا عِيسَى ﵇، وَبَعْدَ عَوْدَةِ النَّاسِ لِدِينِ الله ﷻ، وَارْتِفَاعِ رَايَةِ الإِسْلامِ.

وَحُصُولِ أَمْنٍ وَرَخَاءٍ عَجِيبٍ،

حَتَّى إِنَّهُ لَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بالحَيَّاتِ ولا تَضُرُّهُم،

وَتَرْعَى الأُسُودُ مَعَ الجِمَالِ، والنُّمُورُ مَعَ البَقَرِ!

بَعْدَ هذا الانْتِشَارِ العَظِيمِ للإِسْلامِ الذي يَعُمُّ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،

يُقَدِّرُ اللهُ تعالى بِأَنْ يُضْعِفَ الإِسْلامَ مَرَّةً أُخْرَى،

وَيَنْتَفِشَ الشَّرُّ وَيَظْهَرَ وَيَعْلُو،

وذلكَ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

عِنْدَهَا يَخْتَارُ اللهُ تعالى لهذا الدِّينِ أَنْ يُرْفَعَ من الأَرْضِ،

فَيُرْفَعَ القُرْآنُ،

وَيَذْهَبَ العِلْمُ،

وَيَنْدَرِسَ الإِسْلامُ.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ** (يَخْتَفِي أَثَرُهُ) **كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ** (الوَشْيُ: العَلَامَةُ والنَّقْشُ).

حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ،
وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ،
وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِن النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ،
يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَنَحْنُ نَقُولُهَا».

فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،
وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟
فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ؛
ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ.
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ،
فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِن النَّارِ ـ ثَلَاثًا. رواه الحاكم وابن ماجه، إسناده قوي.

عَنْ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: **«يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ** (أَيْ: كَنُخَالَةِ الشَّعِيرِ، وَرَديء التَّمرِ) **لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً»** وروى الإمام البخاري.

أَيْ: لَا يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْرًا، وَلَا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنًا.

وعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَن النبيّ ﷺ قَالَ:
«فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ،

لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً،
فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟
فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟
فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ» صحيح مسلم.

قوله: «**فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ**»: مَعْنَاهُ: يَكُونُونَ فِي سُرْعَتِهِمْ إِلَى الشُّرُورِ وَقَضَاءِ الشَّهَوَاتِ وَالْفَسَادِ كَطَيَرَانِ الطَّيْرِ، وَفِي الْعُدْوَانِ وَظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً فِي أَخْلَاقِ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ.

فِي ذلكَ الوَقْتِ؛
يَتَدَنَّى المُسْتَوَى الأَخْلاقِيُّ عِنْدَ النَّاسِ تَدَنِّيَاً هَائِلاً،
بِحَيْثُ تَصِيرُ الفَوَاحِشُ جِهَاراً نَهَاراً.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ الذي رواه البَزَّارُ وابْنُ حِبَّانَ؛ عَن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَتَسَافَدُوا فِي الطُّرُقِ تَسَافُدَ الحَمِيرِ**» إسناده صحيح.
تَسَافَدَ: أي تناكح الحمير في الطرقات.

وَمِنْ عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ:
إِرْسَالُ رِيحٍ لَطِيفَةٍ بَارِدَةٍ تَأْخُذُ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ،

وذلكَ بَعْدَ مَقْتَلِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ والدَّجَّالِ،

وَبَعْدَ وَفَاةِ سَيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام،

وَتَأْتِي هذهِ الرِّيحُ من اليَمَنِ، وفي رِوَايَةٍ من الشَّامِ.

عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ** (لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمَاً، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرَاً، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامَاً) **فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ،**

ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ،

ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحَاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ،

فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ،

حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ (أَيْ: في وَسَطِهِ وَدَاخِلِهِ) **لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ»** صحيح مسلم.

الملحمة الكبرى

حرب عظيمة تقع بين الروم وبين المسلمين في آخر الزمان، وأهل الكتاب يؤمنون إيماناً جازماً بهذه المعركة؛ ويسمونها في كتبهم وعقائدهم معركة (هارميجدون) وهو سهل أو واد يوجد في فلسطين.

والآيات متتابعة في وقوعها،

لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني،

وقد أخبر الرسول ﷺ أن وقوع الحرب الكبرى بين المسلمين والروم؛

وهي التي سماها بالملحمة ستكون أولاً،

ثم يفتح المسلمون القسطنطينية،

ثم يخرج الدجال.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري؛ ولابن ماجه من حديث معاذ بن جبل مرفوعا: «**المَلحَمةُ الكُبرَى وفتحُ القُسطنطينيَّةِ وخروجُ الدَّجَّالِ في سَبعةِ أَشهرٍ**».

وفي رواية من حديث عبد الله بن بِسر: «**بَيْنَ المَلْحمةِ وفَتْحِ المَدينةِ سِتُّ سِنينَ، ويَخرُجُ المَسيحُ الدَّجَّالُ في السَّابِعةِ**» إسناده صحيح.

ولا تناقض بين الروايتين؛ لأن الرقم (سبعة) اشترك بينهما، أما الاختلاف فقد كان بين الشهر والسنة، وهذا بسبب خطأ النقل بين الرواة؛ والراجح أن الحديث الثاني أصحّ.

روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عُمْرانُ بيتِ المقدسِ خرابُ يَثْرِبَ،

وخرابُ يَثْرِبَ خروجُ المَلحَمَةِ،

وخُروجُ المَلْحَمةِ فَتْحُ القُسْطَنْطينيَّةِ،

وفَتْحُ القُسْطَنْطينيَّةِ خروجُ الدَّجّالِ»،

ثمَّ ضَرَب بيدِه على فخِذِ الَّذي حدَّثه أو مَنْكِبَيْهِ، ثمَّ قال:

«إنَّ هذا الحقُّ كما أنَّكَ ها هنا» أخرجه أبو داود وأحمد. إسناده صحيح.

وفي رواية: **«إنَّ هذا لحقٌّ»**.

ومراد الرسول ﷺ: أن هذه الأحداث تقع متتابعة متوالية، وتُظهر كيف أن المسلمين في ذلك الزمان يشتبكون مع الروم في معركة كبرى، هي التي سماها الرسول ﷺ بالملحمة، وبعد انتصار المسلمين يفتحون القسطنطينية، ثم يخرج الدجال، وبعد خروج الدجال ينزل عيسى ويَقتل الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى، ويهلكهم الله في زمنه، والترتيب إلى هنا واضح.

أما السؤال عن سبب هذه الملحمة، فهذا جاء ذكره في أحاديث كثيرة في عدة روايات؛ من أشهرها وأوضحها في بيان ذلك حديث ذي مخمَّر الحبشي ﵁؛ والجامع بين هذه الروايات كلها أن المسلمين والروم يكون لهم عدو واحد يقاتلونه جميعا قبل حدوث الملحمة الكبرى.

وأما بخصوص قائد المسلمين في هذه الملحمة؛ فلم يَرِد نصا صريحا فيه، ولكن اجتهاد بعض أهل العلم في سردهم لعلامات الساعة؛ يدل على أن قائد المسلمين في هذه الملحمة هو المهديّ، ذكر هذا الحافظ ابن كثير في كتابه البداية النهاية؛ في باب الفتن والملاحم. كما ذكر ذلك صاحب كتاب عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر.

وفي حديث ذي مخمَّر ﵁: أن الروم يقولون لقائدهم: كفيناك العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة؛ فدل هذا على أن الملحمة الكبرى تكون بين العرب والروم، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية.

ورد في الأثر ؛ في رواية عن رسول الله ﷺ: «**يجيش الروم على وال من عترتي، اسمه يواطئ اسمي، فيلتقون بمكان يقال له: العماق، فيقتتلون، فيُقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك، ثم يقتتلون يومًا آخر، فيقتل من المسلمين نحو ذلك، ثم يقتتلون اليوم الثالث، فيكون على الروم، فلا يزالون حتى يفتحوا القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون فيها بالأترسة؛ إذ أتاهم صارخ أن الدجال قد خلفكم في ذراريكم**» رواه الخطيب في (المتفق والمفترق).

قوله: (**من عترتي، اسمه يواطئ اسمي**): هذا الوصف يتفق تماما على المهدي المنتظر.

قال النووي: (**العماق**): موضع بالشام بقرب حلب.

هل الخلافة المنتظرة على منهاج النبوة ستكون قبل ظهور المهدي؟

أم أنها لا تكون إلا معه؟

اختلف أهل العلم على مسلكين:

المسلك الأول: ستزداد غربة الإسلام حتى يظهر المهدي.

والمسلك الثانى: ستقوم خلافة على منهاج النبوة قبل ظهور المهدي، أو على الأقل ستنهض الأمة نهضة شاملة، ولا يبقى إلا ظهور القائد.

ولم يرد في الأحاديث الصحيحة نصٌ صريحٌ يفيد أن المهدي يقود المسلمين في الملحمة الكبرى ضد الروم آخر الزمان، ولكن ثبت أن قتال الروم يكون زمان نزول المسيح عليه السلام، وظاهر الأحاديث الصحيحة أيضا أن المهدي يكون زمان نزول المسيح أيضا.

روى ذو مخبر الحبشي؛ عن رسول الله ﷺ قال: «**سَتُصالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وهُمْ عَدُوًّا من ورائِهِمْ، فَتَسْلَمُونَ وتَغْنَمُونَ، ثُمَّ تَنْزِلونَ بِمَرْجٍ ذِي تُلولٍ فيَقُومُ رجلٌ مِنَ الرومِ فيَرْفَعُ الصَّلِيبَ،**

ويقولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ !

فَيَقُومُ إليهِ رجلٌ مِنَ المسلمينَ فيَقْتُلُهُ،

فيغدرُ القومُ،

وتكُونُ الملاحِمُ،

فَيَجْتَمِعُونَ لَكُمْ

فيأتونَكُمْ في ثَمانِينَ غايَةً

مع كلِّ غايَةٍ عشرَةُ آلافٍ» صحيح أبي داود. صحيح الجامع للألباني.

في هذا الحَديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ عن حدَثٍ يقَعُ مُستقبَلًا؛ وهو فتْرَةٌ يكونُ فيها بين المسلِمين والرُّومِ صُلْحٌ، ثمَّ يَقومُ القِتالُ بين المسلِمين والرُّومِ بعد نقْضِ الرُّومِ العهْدَ الَّذي بينهم وبين المسلِمين.

يقولُ جُبيرٌ: إنَّه سألَ ذا مِخْبَرٍ عن (الهُدْنَةِ)؛ وهي الفترَةُ الَّتي لا يكونُ فيها قِتالٌ بين المسلِمين والنَّصارى، فقال له: سمِعتُ النبيّ ﷺ يقولُ:

«**ستُصالِحون**»: أيْ يكونُ هناك صلْحٌ بينكم وبين الرُّومِ.

ويكونُ «**صُلحًا آمِنًا**»، أي يَحدُثُ فيهِ أمْنٌ.

«**فتَغزُون أنتم وهم عدُوّاً**»: أي: سيكونُ بينكم وبينهم تَعاونٌ في غزْوِ عدُوٍّ مُشترَكٍ.

«**من ورَائِكم**»: أي: مِن خلْفِكم.

«**فتُنْصرون**»: أيْ يتحَقَّقُ لكم النَّصْرُ.

وأيضًا «**تَغْنَمون**» وتَحصلون على الغَنائمِ من الأمْوالِ.

«وتَسْلَمون»، أي: تَكون لكم السَّلامَةُ من القتْلِ والجرْحِ.

«ثمَّ ترْجِعون»: أي: عن عدُوِّكم.

«حتَّى تَنزِلوا بمرْجٍ ذي تُلولٍ»: وهي أرْضٌ واسِعَةٌ فيها نَباتٌ كَثيرٌ.

«فيَرفَعُ رجلٌ من أهْلِ النَّصرانِيَّةِ الصَّليبَ»: أيْ يَرفَعُ رجلٌ نَصرانيٌّ الصَّليبَ الَّذي يَعبُدُه؛ وهو رمْزٌ للنَّصارى فيقولُ:

«غَلَبَ الصَّليبُ»: أيْ أنَّ النَّصرانيَّ يُرجِعُ النَّصْرَ للصَّليبِ.

«فيَغْضَبُ رجلٌ من المسلِمين فيدُقُّه»: أيْ يكْسِرُ الصَّليبَ.

«فعِند ذلك تغْدِرُ الرُّومُ»: أيْ في هذا الوقْتِ يَغضَبُ الرُّومُ ويَنقُضون عهْدَهم مع المسلِمين.

«وتَجمَعُ»: أيْ تَحشِدُ الرُّومُ رِجالَها وتَكُونُ المَلاحِمُ (أي المُلحَمَةِ الكبرى) وقِتالِ المسلِمين.

وفي روايةٍ أُخرى زِيادةٌ فيها: **«فيَثورُ المسلمون إلى أسلِحَتِهم»**، أي: يُسرِعون إليها، **«فيَقتَتِلون»** مع الرُّومِ، **«فيُكرِمُ اللهُ تلك العِصابَةَ بالشَّهادَةِ»**، أي: يُكرِمُ اللهُ جماعَةَ المسلِمين الَّذين يُقاتِلون الرُّومَ بالشَّهادَةِ في سَبيلِه.

وردت كلمة (هرمجدّون) مرّة واحدة في الكتاب المقدّس في سفر الرؤيا [١٦:١٦]. كما وردت في المفهوم السياسي الديني المسيحي المنتشر خصوصًا في الولايات المتحدة الأميركيّة، تعني «هرمجدّون» معركة نهاية العالم، وهي معركة عسكريّة سيكون فيها المسيح حاضرًا ليُخلّص المؤمنين به.

أمّا في المفهوم اليهودي، فالمعنى السابق يبقى نفسه، مع وجود فارق يتمثّل في أنّ مجيء المسيح سيكون الأَولى باليهود؛ لأنّهم لا يعترفون بيسوع مسيحًا. وبالتالي، سيُحقّق لهم النصر على بقيّة أمم الأرض؛ لأنّهم شعب الله المختار بحسب معتقدهم.

وعندنا نحن المسلمون، فإن هناك إيمانا بمعركة نهاية العالم الكبرى في آخر الزمان؛ تقع بين المسلمين والروم؛ دون الإشارة إلى اسم (هرمجدون) تحديداً، وينتهي الأمر بمجيء المسيح أو المهدي لنُصرة المسلمين على أعدائهم. وتنتهي المعركة بانتصار المسلمين.

عقائد مسيحية ويهودية مشتركة، تؤمن بمجئ يوم يحدث فيه صدام بين قُوى الخير وقُوى الشر، وسوف تقوم تلك المعركة في أرض فلسطين في منطقة مجدُّو، متكونة من مائتي مليون جندي؛ وهي تشير إلى معركة شرسة مدمرة؛ ستدور رحاها في ذلك الوادي؛ لخوض حرب نهائية؛ ربما بحرب نووية فاصلة.

كما يتسابق السياسيون اليوم في الغرب إلى تأكيد فكرة المعركة؛ بتفسيرها اليهودي لدى الشعوب؛ للحصول على مكاسب سياسية، وتنفيذاً لمآرب الصهيونية العالمية؛ وإرضاءً لدولة إسرائيل، وبهذا الصدد تقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) في كتابها النبوءة والسياسة: (إن النبوءات التوراتية تحولت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم؛ وكلهم

يعتقدون قرب نهاية العالم ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجعون التسلح النووي؛ ويستعجلون وقوع هذه المعركة باعتبار أن ذلك سيقرِّب مجيء المسيح).

وشارك في هذا التوجه تقرير لمنظمة حقوق الإنسان؛ صدر في قبرص عام ١٩٩٠م يقول: (توجد هيئات وجمعيات سياسية وأصولية في الولايات المتحدة؛ وكل دول العالم؛ تتفق في أن نهاية العالم قد اقتربت، وأننا نعيش الآن في الأيام الأخيرة التي ستقع فيها معركة هرمجدون، وهي المعركة الفاصلة التي ستبدأ بقيام العالم بشن حرب ضد دولة إسرائيل، وبعد أن ينهزم اليهود؛ يأتي المسيح ليحاسب أعداءهم ويحقق النصر، ثم يحكم المسيح العالم لمدة ألف عام؛ يعيش العالم في حب وسلام كاملين).

أما أحداث الملحمة ؛ فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ،
فَيَخْرُجُ إليهِم جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، مِن خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَومَئذٍ،
فإذا تَصافُّوا،
قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ،
فيَقولُ المُسْلِمُونَ: لا، واللَّهِ لا نُخَلِّي بيْنَكُمْ وبيْنَ إخْوانِنا،
فيُقاتِلُونَهُمْ،
فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عليهم أبَدًا،

ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللهِ،

ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا؛

فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ،

فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنائِمَ، قدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ،

إذْ صاحَ فِيهِمِ الشَّيْطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خَلَفَكُمْ في أَهْلِيكُمْ،

فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ،

فإذا جاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ،

فَبَيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ،

فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ،

فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ،

فلوْ تَرَكَهُ لانْذابَ حتَّى يَهْلِكَ،

ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بيَدِهِ، فيُرِيهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ» صحيح مسلم.

أخبَرَنا النبيّ ﷺ عن أحداثِ آخِرِ الزَّمانِ، وما يكونُ فيها مِن فِتنٍ وشدائدَ، وما يَحصُلُ فيها لأُمَّةِ الإسلامِ، وبيَّن سَبيلَ الخلاصِ مِن كلِّ ذلك.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّه لا تقومُ السَّاعةُ ولا يَنْتهي أجلُ الدُّنيا حتَّى تَنزِلَ الرُّومُ **«بِالأعماقِ»** أو **«بِدابِقٍ»**: وهما مَوضعانِ بِالشَّامِ بِالقُربِ مِن حَلَبٍ.

فيَنزِلُ الرُّومُ بأحدِ هذينِ الموضعينِ لقِتالِ المسْلِمين،

فَيخرجُ إليهم جيشٌ مِنَ المدينةِ المذكورةِ، وهي حَلبُ.

وقيل: المرادُ مِن المدينةِ دِمَشقُ.

وأمَّا ما قِيل مِن أنَّ المرادَ بالمدينةِ مَدينةُ رَسولِ الله ﷺ فضعيفٌ؛ لأنَّ المرادَ بالجيشِ الخارجِ إلى الرُّومِ جَيشُ المَهديِّ؛ بدَليلِ آخِرِ الحديثِ، ولأنَّ المدينةَ المنوَّرةَ تكونُ خَرابًا في ذلك الوقتِ.

فيَخرُجُ إليهم جَيشٌ هو مِن خِيارِ أهلِ الأرضِ يومَئذٍ.

وقوله: **«يومَئذٍ»** احترازًا مِن زمنِه ﷺ.

فإذا تَصافُّوا؛ ووقَفَ الطَّرَفانِ في مُواجَهةِ بعضِهما للحربِ، قالتِ الرُّومُ:

«خَلُّوا بيْنَنا وَبَيْنَ الَّذينَ سَبَوْا مِنَّا»: أيْ اترُكوا الَّذين قاتَلُونا منكم قبْلَ ذلكَ؛ وأسَروا بعضَ أهلِنا لنَقتُلَهم.

فالمعنى: إنَّنا لا نُريدُ أنْ نُقاتِلَ إلَّا الرِّجالَ الَّذين غَزَوا بِلادَنا وسَبَوا ذَرارِيَّنا.

والرُّومُ بذلك يُريدونَ مُقاتَلةَ المؤمنينَ؛ ومُخادعَةَ بعضِهم عَن بعضٍ، ويَبغونَ بِه تفريقَ كلِمَتِهم.

وُرِوي **«سُبُوا»:** ومعناه إنَّنا إنَّما نُريدُ أنْ نُقاتِلَ الَّذين كانوا منَّا أوَّلًا؛ فسَباهُم المسْلِمون حتَّى أسْلَموا بعْدَ إقامتِهم بدارِ الإسلامِ؛ وجَعَلوا يُقاتِلوننا مِن هناكِ.

وقيل: كِلا الضَّبطينِ صَوابٌ؛ لأنَّهم سُبوا أوَّلًا ثمَّ سَبَوا الكفَّارَ، ومُعظَمُ عَساكرِ الإسلامِ في بلادِ الشَّامِ ومِصرَ سُبُوا أوَّلًا، ثمَّ قاتَلوا الكفَّارَ وسَبَوهم، فأخَذوا منهم أسْرى.

فيَرفُضُ المسْلُمون، ويَقولون: لا واللهِ لا نُخَلِّي بيْنكم وبيْن إخوانِنا المسْلِمين،

فيُقاتِلُ المسْلمونَ الرُّومَ الكفَرةَ.

فَينهزِمُ ثُلثُ الجيشِ مِنَ المسْلِمينَ، وهؤلاء لا يَتوبُ اللهُ عليهم أبدًا، ولعلَّ ذلك لِفرارِهم مِن الحربِ، ويكونُ هؤلاء ممَّن شاء اللهُ تعالَى ألَّا تُقبَلَ تَوبتُهم؛ لعَظيمِ جُرمِهم، وقيل: هو كِنايةٌ عَن مَوتِهم على الكفرِ، وأنَّ عَذابَهم في الآخرةِ يكونُ أبدًا.

ثمَّ يُقتَلُ ثُلثٌ آخَرُ مِن جَيشِ المسْلِمين في تلكَ الحرب، وهؤلاء هُم أفضلُ الشُّهداءِ عِندَ الله.

ثمَّ يَفتَتِحُ ويَنتصِرُ الثُّلثُ الباقي مِن المسلِمينَ، ويَغْلِبون الرُّومَ ولا يُفتَنونَ في دِينِهم، فلا يَقَعون في فِتنةِ الكفرِ أبدًا وتَحسُنُ عاقبتُهم، ولا يُبتلَوْنَ بِبليَّةٍ، أو لا يُمتحنونَ بِمقاتَلةٍ، أو لا يُعذَّبون أبدًا، وقيل: لا تقَعُ بيْنهم فِتنةُ الاختلافِ وغيرِه، وفي هذا إشارةٌ إلى حُسنِ خاتمتِهم.

فيفَتتِحونَ قُسطَنْطِينيَّةَ، ويَأخذونَها مِن أيدي الكفَّارِ، وهي مَدينةٌ عَظيمةٌ مِن أعظَمِ بِلادِ الرُّومِ، وهي اليومَ مَدينةُ إسطنبولَ، ولعلَّ المرادَ مِن الرُّومِ النَّصارى؛ لأنَّ أهلَ الرُّومِ كانوا يومئذٍ نَصارى.

فبيْنَما المسْلِمونَ يَقْتسِمونَ الغنائمَ الَّتي أخَذوها عَنْوةً مِن الرُّومِ، وقدْ علَّقُوا سُيوفَهم بِأشجارِ الزَّيتونِ؛ وهو دليلٌ على كَمالِ الأمْنِ؛ إذ يَصرُخُ فيهمُ الشَّيطانُ ويُنادي بِصوتٍ مُرتفعٍ، فيُخبِرُهم أنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ قدْ قامَ مَقامَكم في أهلِيكم، وفي ذَرارِيِّكم بالشَّرِّ.

والدَّجَّالُ هو شَخصٌ مِن بني آدَمَ، يَدَّعي الأُلوهيَّةَ، وظُهورُه مِن العلاماتِ الكُبرى لِيَومِ القِيامةِ، يَبتَلي اللهُ به عِبادَه، وأَقْدَره على أشياءَ مِن مَقدوراتِ اللهِ تعالى؛ مِن إحياءِ

الميِّتِ الَّذي يَقتُلُه، ومِن ظُهورِ زَهرةِ الدُّنيا والخِصْبِ معه، وجَنَّتِه ونارِه، ونَهَرَيْهِ، واتِّباعِ كُنوزِ الأرضِ له، وأمْرِه السَّماءَ أنْ تُمطِرَ فتُمطِرَ، والأرض أنْ تُنبِتَ فتُنبِتَ؛ فيَقَعُ كلُّ ذلك بقُدرةِ اللهِ تعالَى ومَشيئتِه، وسُمِّيَ مَسِيحًا؛ لأنَّه مَمْسوحُ العَيْنِ مَطْموسُها، فهو أَعْوَرُ، وقيل غيرُ ذلك.

فيَخرُجونَ مِن قُسْطَنطينِيَّةَ راجِعِين إلى أهلِيهم، وذلك القولُ مِنَ الشَّيطانِ باطلٌ، أي: غيرُ صَحيحٍ.

فإذا جاء المسْلِمونَ مِن القُسطنطينيَّةِ إلى الشَّامِ؛ وتحديدًا إلى إيلياءَ وَهيَ بَيتِ المقدِسِ، خرَجَ الدَّجَّالُ حَقيقةً.

قيل: يَحتمِلُ أنْ يكونَ مَجيئُهم إلى الشَّامِ وخُروجُ الدَّجَّالِ مُتَّصلًا بفتْحِ القُسْطنطينيَّةِ. ويَحتمِلُ أنْ يكونَ ذلكَ بعْدَ الفتحِ بكَثيرٍ.

وبيْنما المسْلِمون يَستعِدُّون ويَتهيَّؤُونَ لقتالِ الدَّجَّالِ وأتباعِه مِن اليهودِ والنَّصارى؛ ويُسوُّونَ الصُّفوفَ؛ إذْ حضَرَتْهم الصَّلاةُ وأُقِيمَت.

فَينزِلُ عِيسى ابنُ مَريمَ عليه السلام، فَأَمَّهم، أي: فيَحضُرُ عِيسى عليه السلام مع المسْلِمينَ صَلاتَهم تلكَ، لا أنَّه يَؤُمُّهم ويَقتَدُون به.

ففي الصَّحيحينِ: «**كيْفَ أَنتُمْ إذَا نَزَلَ ابنُ مَرِيَمَ فيكُم وَإمَامُكُم منكُم؟**».

أي: إنَّ عِيسى عليه السلام يُصلِّي الجَماعةَ مع المُسلِمين، ويكونُ الإمامُ مِن أُمَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو المَهْديُّ، كما في الرِّواياتِ الأُخرى، وليس عِيسى عليه السلام، وهذا تَكريمٌ لهذه الأُمَّةِ، فيُصلِّي مَأمومًا؛ حتَّى يَعلَمَ الجميعُ أنَّه لم يَنزِلْ بشَرعٍ أو رِسالةٍ جديدةٍ.

ويكونُ الدَّجَّالُ حينئذٍ مُحاصِرًا للمسْلِمين، فإذا جاء الدَّجَّالُ عدُوُّ اللهِ ورَأى عِيسى عليه السلام، شرَعَ الدَّجَّالُ في الذَّوبانِ كما يَذوبُ المِلحُ في الماءِ، فلو تَرَكه عِيسى عليه السلام ولم يقتُلْه؛ لَانْذابَ الدَّجَّالُ حتَّى يَهلِكَ بِنفسِه بِالكلِّيَّةِ.

ولكنْ يَقتُلُه اللهُ بِيَدِ عيسى عليه السلام، فَيُرِيهم دَمَ الدَّجَّالِ في حرْبَتِه، وهي رُمحٌ صَغيرٌ؛ وذلك ليَظهَرَ بوُضوحٍ للمؤمنينَ؛ ويَزدادَ إيمانُهم بكونِ الدَّجَّالِ كان يَتلعَّبُ بأعينِ النَّاسِ، ولو كان عِنده القُوَّةُ والقدرةُ كما زَعَمَ؛ لَدفَعَ عن نفسِه القتْلَ والموتَ.

في هذا الحديثِ: بَيانُ الملحمَةِ الكبرى.

وفيه: أنَّ مِن عَلاماتِ السَّاعةِ فتْحَ القُسْطنطينيَّةِ، وهذا الفتحُ غيرُ الفتحِ الَّذي وَقَع على يَدِ محمَّدٍ الفاتحِ سنةَ ٨٥٧ هـ، بلِ المرادُ هنا فتحُ المَهديِّ لها آخِرَ الزَّمانِ.

وفيه: بَيانُ نُزولِ عِيسى عليه السلام مِن السَّماءِ في ذلكَ الوقتِ.

وفيه: بَيانُ مُعجِزةِ عِيسى عليه السلام؛ حيث إنَّ الدَّجَّالَ الجبَّارَ مع تَجبُّرِه؛ فَإنَّهُ يَذوبُ كما يَذوبُ المِلحُ في الماءِ بمُجرَّدِ رُؤيتِه.

علامات الساعة الكبرى

نورد علاماتِ الساعَةِ الكُبرى كما وردت في كتاب: (أصول الإيمان) في ضوء الكتاب والسنة بالترتيب الزمني؛ هذه العلامات كما وردت في الكتاب ستَظهَرُ مُتتابِعَةً وسَريعةً؛ ليُبادِرَ الناسُ بالتوبَةِ والعَمَلِ الصالِحِ قبلَ أن تُدرِكَهم هذه الأيامُ التي لا ينفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكُنْ آمَنَتْ من قبلُ؛ أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيرًا.

وقد جاء ترتيب العلامات الكبرى في هذا الكتاب كما يلي:

الأولى: خروج المهدي في مكة.

الثانية: ظهور المسيح الدجال في خراسان من بلاد إيران.

الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج إلى أرض الشام.

الخامسة: هدم الكعبة حجرا حجرا.

السادسة: ظهور دخان عظيم يملأ الأرض كلها.

السابعة: رفع القرآن من الأرض؛ من صدور الرجال ومن الصحف والمصاحف.

الثامنة: طلوع الشمس من مغربها.

التاسعة: خروج الدابة من الأرض تكلم الناس.

العاشرة: خروج نار عظيمة من عدن في اليمن؛ تحشر الناس إلى الشام، وهي آخر العلامات.

هذه الإمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها؛ فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالى؛ وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة، فإذا ظهرت إحداها تبعتها

الأخرى، روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ قال: **«خُروجُ الآياتِ بعضِها على أثرِ بعضٍ يتَتابَعنَ كما يتَتابَعُ الخَرَزُ في النظامِ»** صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

واتفق العلماء بأن ترتيب علامات الساعة الكُبرى إنما هو مسألة اجتهاديّة؛ وقد ذكر النبيّ ﷺ هذه العلامات في عدّة أحاديث، إلّا أنّ ذِكره لها كان لا يقتضي الترتيب في وقوعها؛ وذلك لمجيء العطف فيها بالواو لا ب: (ثمّ)، وهو الأمر الذي لا يشير إلى الترتيب فيها، ولأنّ ترتيب العلامات يختلف من حديثٍ إلى آخر. فقد كانت مسألة ترتيب علامات الساعة الكُبرى قابلة لاجتهاد العلماء، إلّا أنّهم اتّفقوا ابتداءً على أنّ خروج النار هي آخر العلامات.

كما أن ترتيب العلامات الكبرى كانت محل نزاع بين أهل العلم، فلم يرد في نصوص القرآن ما يدل على ذلك، ولأن النبيّ ﷺ لم يذكر العلامات بالترتيب.

ولم يرد حديث أو أثر صحيح في ترتيب هذه العلامات.

لم يقل: سيظهر كذا، ثم كذا ثم كذا.

وقد ورد في بعض الروايات عند مسلم أنه قال: إذا ظهر كذا فسيكون بعده كذا ثم كذا ثم كذا، ولكنه لم يذكر كل العلامات، فقد ذكر علامات كبرى في غير هذا الدليل، ولكن المتفق عليه أن آخر العلامات نار تحشر الناس من المشرق، وأما أول العلامات وترتيبها بعد ذلك؛ فهو محل اجتهاد أهل العلم. وسنذكر هنا هذه العلامات بإيجاز أو تفصيل؛ حسب الترتيب الاجتهادي:

الأولى: خروج المهدي في آخر الزمان

علماء المسلمين اجتهدوا وقالوا بأن ظهور المهدي أول أشراط الساعة الكبرى؛

وأن ظهوره أَهمّ علاماتها في آخر الزمان؛

ليتولى أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها،

وهو رجل يحكم بالإسلام؛ ويملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت جورا وظلما،

تنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها من قبلُ قط؛

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة،

والأمطار غزيرة، والمال وافر،

والحكم قوي، والعدو ضعيف؛

والدِّين قائم،

والخير في أيامه دائم.

وقد وردت في شأن ظهور المهدي أحاديث كثيرة؛ ما بين صحيحة وحسنة وضعيفة.

عن عبد الله بن مسعود ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«لو لم يَبقَ مِنَ الدنيا إلَّا يومٌ، لبَعَثَ اللهُ رجُلًا مِن أهلِ بَيتي يَملَؤُها عَدلًا كما مُلِئَتْ جَورًا»** إسناده حسن.

وفي لفظ: **«لا تَذهَبُ الأيامُ واللَّيالي حتى يَملِكَ العربَ رَجلٌ منْ أهْلِ بَيْتي، يواطِئُ اسْمُه اسْمي»** إسناده صحيح.

كما يُعَدّ تصنيف ظهور المهديّ أمراً مختلفاً فيه بين العلماء؛

إذ إنّ منهم من اعتبره من العلامات الكُبرى،

ومنهم من قال إنّه من العلامات الصغرى؛

وذلك نتيجة لأنّ الروايات لم يرد فيها نصٌّ واضح على تصنيفه ضمن العلامات الكُبرى أو الصُّغرى.

حيث ينتشر الفساد والظلم في آخر الزمان،

وتَكثُر المُنكَرات،

فيأذَن الله بخروج رجل صالح يجتمع عليه المؤمنون،

ليكون قائداً حاكماً يُصلِح اللهُ على يديه أحوالَ الأمّة،

ويكون اسمه محمد بن عبدالله،

ويُعرَف عند أهل السنّة بالمَهديّ،

وهو يخرج من قِبَل المشرق،

وتحديداً من مكّة المُكرَّمة،

فيُبايعه الناس عند الكعبة على السمع والطاعة والإتِّباع،

فيحكم المسلمين بضع سنين؛ يَنعمون فيها بالعدل والخيرات،

ويعظُم أمرُ الأمة.

وقد ذكر رسول الله ﷺ المهديّ في العديد من الأحاديث، منها ما رواه الألباني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«يخرجُ في آخرِ أُمَّتي المهديُّ، يَسقِيه اللهُ الغَيْثَ، وتُخرِجُ الأرضُ نباتَها، ويُعطِي المالَ صِحاحًا، وتكثُرُ الماشيةُ، وتَعظُمُ الأُمَّةُ، يعيشُ سبعًا، أو ثمانيًا»**، رواه الحاكم، صحيح.

قوله: **«سبعًا، أو ثمانيًا»**: أي سنين.

وقد تحدّث رسول الله أيضاً عن صفاته الخَلقيّة بقوله: **«المَهديُّ منِّي؛ أَجْلَى الجَبْهَةِ؛ أَقْنَى الأَنْفِ؛ يَمْلأُ الأَرْضَ قِسطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلئَتْ ظُلْمًا وَجُورًا؛ يَمْلِك سَبْعَ سنينَ»** رواه الحاكم وصحيح أبي داود؛ حسن.

في هذا الحديث: أخبَرَنا النبيّ ﷺ عن المهدِيِّ الَّذي يُصلِحُ الأرضَ بعدَ فسادِها، فأخبَرَنا بوصْفِه، وشكْلِه، وفِعالِه، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النبيّ ﷺ:

«المهدِيُّ مِنِّي»: أيْ مِن نسْلِي؛ يَعني: من ولَدِ فاطِمَةَ، ثمَّ بيَّن صِفَتَه:

«أجْلَى الجبْهَةِ»: أيْ لا يُوجَدُ شَعْرٌ في مُقدَّمِ رأْسِه؛ أو واسِعُ الجبْهَةِ.

«أقْنَى الأنْفِ»، أي: طَويلُ الأنْفِ مع دِقَّةِ طرَفِها.

«يملَأُ الأرضَ قِسطًا وعدْلًا»: وهما بمعنًى واحِدٍ، فلعَلَّه كرَّره للتَّأكيدِ.

«كما مُلئَتْ جَوْرًا وظلْمًا»: وهما بمعنًى واحِدٍ، فلعَلَّه كرَّره للتَّأكيدِ كذلك.

«يمْلِكُ سبْعَ سِنينَ»: أي مدَّةُ حُكْمِه سبْعُ سِنينَ؛ يَجعَلُ فيها العدْلَ يملأُ الأرضَ كما مُلئَتْ بالظُّلْمِ مِن قبْلِه.

وفي الحَديثِ: إخبارُ النبيّ ﷺ عن المستقبَلِ، وهو من دلائل نبوَّتِه الشَّريفةِ.

الثانية: ظهور المسيح الدجال

مسيح الضلالة؛ يَفتنُ الناس بما يُعطَى من الآيات: كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق، وسمي الدجال مسيحا، لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في ٤٠ يوما، والقول الأول هو الراجح.

جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ؛ مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ كافِرٌ** - ثُمَّ تَهَجَّاها (ك ف ر) - **يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»** صحيح مسلم.

ومعنى الدجَّال: المموّه الكذّاب؛ أي يكثر منه الكذب والتدليس؛ ولفظة الدجال أصبحت عَلَما على المسيح الأعور الكذاب.

والدجال رجل من بني آدم،

له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به وتحذيرهم من شرِّه،

حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يُفتنون به،

بل يكونون على علم بصفاته؛ ولا يغترّون به.

ووردت بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته ومنها:

عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: **«بَيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُنِي أطُوفُ بالكَعْبَةِ، فإذا**

رَجُلٌ آدَمُ، سَبْطُ الشَّعَرِ، بيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطُفُ رَأْسُهُ ماءً، فَقُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ مَرْيَمَ. فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فإذا رَجُلٌ (يعني رجلٌ آخر) **أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ، قُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا الدَّجَّالُ، أقْرَبُ النَّاسِ به شَبَهًا ابنُ قَطَنٍ»** صحيح البخاري.

وَحَرُمَ على الدجَّال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأما سوى ذلك من البلدان، فإن الدجال سيدخلها واحدة بعد الأخرى.

وأكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك،
وأخلاط من الناس؛ غالبهم الأعراب والنساء.

وفتنة الدجال عظيمة،
فهو يدَّعي الألوهيَّة؛ وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تُبهر العقول، وتحيّر الألباب؛ ابتلاء للعباد.

ورد في صحيح الجامع للألباني ما روى أبو داود وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي؛ عن رسول الله ﷺ قال: **«يا أَيُّها الناسُ! إنها لم تكن فتنةٌ على وجهِ الأرضِ، منذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ، وإنَّ اللهَ ﷻ لم يَبْعَثْ نبيًّا إلا حَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ، وأنا آخِرُ الأنبياءِ، وأنتم آخِرُ الأُمَمِ، وهو خارجٌ فيكم لا مَحالةَ، فإن يخرجْ وأنا بين أَظْهُرِكم،**

فأنا حَجِيجٌ لكلِّ مسلمٍ، وإن يخرجْ من بَعْدِي، فكلٌّ حَجِيجُ نفسِه، واللهُ خَلِيفَتِي على كلِّ مسلمٍ، وإنه يخرجُ من خُلَّةٍ بين الشامِ والعراقِ. فيَعِيثُ يمينًا وشمالًا».

قوله: **«فأنا حَجيجٌ لكُلِّ مُسلِمٍ»**: أيْ أكونُ أنا الخَصْمَ الَّذي يُحَاجِجُ الدَّجَّالَ، ويُقِيمُ عليه الحُجَّةَ نِيابةً عن كُلِّ مُسلِمٍ.

قوله: **«واللهُ خَليفَتي على كُلِّ مُسلِمٍ»**: أيْ أن اللهُ وَلِيُّ كُلِّ مُسلِمٍ وحَافِظُهُ، فيُعِينُهُ عليه ويَدْفَعُ شَرَّهُ.

قوله: **«خَلَّةٌ»**: أيْ مَوْضِعُ صُخُورٍ.

قوله: **«فيَعيثُ يَمينًا وشِمالًا»**: أيْ يُسرِعُ ويَشتَدُّ في الفَسَادِ في كُلِّ الجِهاتِ والنَّواحي.

ثم قال ﷺ: **«يا عبادَ الله ! أَيُّها الناسُ ! فاثبُتوا فإني سأَصِفُه لكم صفةً لم يَصِفْها إياه قبلي نبيٌّ، ... يقولُ: أنا ربُّكم، ولا تَرَوْنَ ربَّكم حتى تَمُوتُوا، وإنه أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ، وإنه مكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ: كافرٌ، يقرؤُه كلُّ مؤمنٍ، كاتِبٌ أو غيرُ كاتِبٍ».**

قوله: **«يقولُ»**: أي الدَّجَّالُ.

قوله: **«أنا ربُّكُم، ولا تَرونَ ربَّكُم حتَّى تَموتوا»**: أيْ من عَلاماتِ كَذِبِ الدَّجَّالِ أنَّه يَدَّعي ويَزعُمُ أنَّه رَبُّ النَّاسِ، ولكِنَّ الحَقيقةَ أنَّ اللهَ ربَّ العالَمِينَ لا يَراهُ أحَدٌ من المُؤمِنينَ فِيْ الدُّنيَا إلَّا بعدَ المَوتِ، وَأنَّه لا يَتجسَّدُ في صُوَرِ الدَّجَّالِ.

وقال ﷺ: **«وإنَّ من فتنتِه أنَّ معه جَنَّةً ونارًا، فنارُه جنةٌ، وجنتُه نارٌ، فمَن ابتُلِيَ بنارِه فلْيَسْتَغِثْ باللهِ، ولْيَقْرَأْ فواتِحَ الكهفِ...»**.

«وإنَّ من فتنتِه أن يقولَ للأعرابيِّ: أرأيتَ إن بَعَثْتُ لك أباك وأمَّك أَتَشْهَدُ أني ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثلُ له شيطانانِ في صورةِ أبيه وأمِّه، فيقولانِ: يا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، فإنه ربُّك».

قوله: **«للأعْرابيِّ»**: وهو من سُكَّانِ البَوادي والصَّحاري، ولعلَّ اختيارَ الأعْرابيِّ؛ لأنَّه يكونُ عادةً أقَلَّ مَعرفةً بالدِّينِ، فيكونُ أكثَرَ انخِداعًا وأشَدَّ فِتْنةً لِعَدَمِ عِلمِه.

ثم تابع رسول الله ﷺ قوله: **«وإنَّ من فتنتِه أن يُسَلَّطَ على نفسٍ واحدةٍ فيَقْتُلُها، يَنْشُرُها بالمِنْشارِ حتى تُلْقَى شِقَّيْنِ، ثم يقولُ: انظُرُوا إلى عَبْدِي هذا، فإني أَبْعَثُه ثم يَزْعُمُ أنَّ له ربًّا غيري، فيبعثُه اللهُ، ويقولُ له الخبيثُ: مَن ربُّك ؟ فيقولُ: رَبِّيَ اللهُ، وأنت عَدُوُّ اللهِ، أنت الدَّجَّالُ، واللهِ ما كنتُ قَطُّ أَشَدَّ بصيرةً بك مِنِّي اليومَ»**.

«وإنَّ من فتنتِه أن يأمرَ السماءَ أن تُمْطِرَ، فتُمْطِرُ، ويأمرَ الأرضَ أن تُنْبِتَ، فتُنْبِتُ».

«وإنِّ من فتنتِه أن يَمُرِّ بالحيِّ فيُكَذِّبونه، فلا يَبْقَى لهم سائمةٌ إلا هَلَكَت».

قوله: **«سائِمةٌ إلَّا هَلَكَتْ»**: أي يُعاقِبُهُم لأَنَّهُمْ كذَّبُوه؛ فيُميتُ مَواشِيَهم وحَيَواناتِهِم.

ثم تابع رسول الله ﷺ قوله: **«وإنَّ من فتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ فيُصَدِّقونه، فيأمرُ السماءَ أن تُمْطِرَ فتُمْطِرُ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِتُ، حتى تَرُوحَ مَواشِيهِم من يومِهِم ذلك أَسْمَنَ ما كانت، وأَعْظَمَه، وأَمَدَّه خَواصِرَ؛ وأَدَرَّهُ ضُروعًا»**.

قوله: **«وأَمَدَّهُ خَواصِرَ»**: أي مُمتلِئةُ البُطونِ.

«وأَدَرَّهُ ضُروعًا»: أي: أكثَرَ امتِلاءً باللَّبَنِ.

ثم تابع رسول الله ﷺ قوله: **«وإنه لا يَبْقَى شيءٌ من الأرضِ إلا وَطِئَه وظَهَر عليه، إلا مكةَ والمدينةَ، لا يأتِيهما مِنْ نَقَبٍ من أنقابِهما إلا لَقِيَتْهُ الملائكةُ بالسيوفِ صَلْتَةً، حتى يَنْزِلَ عند الضَّرِيبِ الأحمرِ، عند مُنْقَطَعِ السَّبَخةِ، فتَرْجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رَجْفاتٍ، فلا يَبْقَى فيها منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرج إليه، فتَنْفِي الخبيثَ منها كما يَنْفِي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلَاصِ، قيل: فأين العربُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: هم يَوْمَئِذٍ قليلٌ»**.

قوله: **«صَلْتَةً»**: أيْ شاهِرةً سُيوفَها دِفاعًا وحِمايةً للحَرَمينِ.

قوله: **«الظُّرَيبِ الأحْمرِ»**: هو الكَومُ من الرَّمْلِ.

قوله: **«عِندَ مُنقَطَعِ السَّبَخةِ»**: وفي روايةٍ عِندَ البُخاريِّ عِندَ **«سَبَخةِ الجُرفِ»**: وهو مَكانٌ بطَريقِ المدينةِ من جِهةِ الشَّامِ على بُعدِ مِيلٍ، وقيلَ: على ثَلاثةِ أمْيالٍ. والسَّبَخةُ هي الأرْضُ التي تَعْلوها المُلوحةُ.

قوله: **«هُم يَومئذٍ قَليلٌ»**، وفي روايةٍ: **«وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ المَقْدِسِ»**: أي أكثَرُ منَ بَقِيَ من العَرَبِ يكونُ عِندَ بَيتِ المَقْدِسِ.

ثم قال رسول الله ﷺ: **«... وإمامُهم رجلٌ صالحٌ، فبَيْنَما إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريمَ الصُّبْحَ، فرجع ذلك الإمامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى ليتقدمَ عيسى، فيضعُ عيسى يدَه بين كَتِفَيْهِ، ثم يقولُ له: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فإنها لك أُقِيمَتْ، فيُصَلِّي بهم إمامُهم».**

قوله: **«وإمامُهُم رَجُلٌ صالِحٌ»**: هو المَهْديُّ، واسْمُهُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ على اسْمِ النبيِّ محمد ﷺ.

ثم تابع رسول الله ﷺ قوله: **«فإذا انصرف قال عيسى: افتَحوا البابَ، فيَفْتَحُون ووراءَه الدَّجَّالُ، معه سبعونَ ألفَ يهوديٍّ، كلُّهم ذو سيفٍ مُحَلًّى وسَاجٍ، فإذا نظر إليه الدَّجَّالُ ذاب كما يذوبُ المِلْحُ في الماءِ. وينطلقُ هاربًا، ... فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ، فيقتلُه، فيَهْزِمُ اللهُ اليهودَ، فلا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ ﷻ يَتَوَاقَى به يهوديٌّ، إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ، لا حَجَرٌ ولا شجرٌ؛ ولا حائطٌ ولا دابةٌ، إلا الغَرْقَدَةُ، فإنها من شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ، إلا قال: يا عبدَ اللهِ المسلمَ؛ هذا يهوديٌّ؛ فتَعَالَ اقتُلْه».**

قوله: **«ذابَ كما يَذوبُ المِلحُ في الماءِ»**: وذلك من شِدَّةِ خَوفِهِ من عيسى ابنِ مَريَمَ؛ لأَنَّه يَعلَمُ أنَّ هَلاكَهُ على يَدَيهِ.

قوله: **«بابِ لُدٍّ»**: مَوضِعٌ بالشَّامِ، وقيلَ: تَحديدًا بفِلَسطِينَ.

قوله: **«يَتَواقى به يَهوديٌّ»**: أي: يَحْتَمي به ويَخْتَفي خَلْفَهُ.

ثم يقول رسول الله ﷺ: **«فيكونُ عيسى ابنُ مريمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وإمامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصليبَ، ويَذْبَحُ الخِنْزِيرَ، ويضعُ الجِزْيَةَ، ويتركُ الصدقةَ، فلا يُسْعَى على شاةٍ ولا بعيرٍ، وتُرْفَعُ الشحناءُ والتباغُضُ، وتُنْزَعُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في فِيِّ الحَيَّةِ، فلا تَضُرُّه، وتَضُرُّ الوليدةُ الأسدَ فلا يَضُرُّها، ويكونُ الذئبُ في الغنمِ كأنه كلبُها، وتُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُمْلَأُ الإناءُ من الماءِ، وتكونُ الكلمةُ واحدةً، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ»**.

قوله: **«يَدُقُّ الصَّليبَ»**: أي يَكسِرُهُ؛ بحيثُ لا يَبْقى من جِنسِ الصَّليبِ شَيءٌ، والحاصِلُ أنَّه يُبطِلُ دِينَ النَّصارى الذي حرَّفوهُ مِن بَعدِهِ.

قوله: **«ويضَعُ الجِزْيَةَ»** و **«ويَترُكُ الصَّدَقَةَ»**: استِغْناءً عنهما لِكَثْرةِ الأمْوالِ، وعَدَمِ وُجودِ مَن يُمكِنُ صَرفُها له.

قوله: **«وتُنزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذاتِ حُمةٍ»**: والحُمةُ هي السُّمُّ، ويُطلَقُ على إبْرةِ العَقْربِ؛ لأنَّ السُّمَّ يَخرُجُ منها.

وقوله: **«تُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ»**: أي يعمّ الأرضَ الأمنُ السلام.

يقول رسول الله ﷺ: **«وَتَضَعُ الحربُ أوزارَها، وتُسْلَبُ قريشٌ مُلْكَها، وتكونُ الأرضُ كفاثورِ الفِضَّةِ، تُنْبِتُ نباتَها بعَهْدِ آدمَ حتى يجتمعَ النَّفَرُ على القِطْفِ من العنبِ فيُشْبِعُهم، ويجتمعُ النَّفَرُ على الرُّمَّانةِ فتُشْبِعُهم، ويكونُ الثُّوْرُ بكذا وكذا من المالِ، ويكونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِماتِ ...»**.

قوله: **«كفاثورِ الفِضَّةِ»:** الفاثورُ هو الخِوانُ والمائِدةُ، وقيلَ: طَستٌ أو إناءٌ من فِضَّةٍ.

قوله: **«تُنبِتُ نَباتَها بعَهدِ آدَمَ»:** أي يَعودُ الثَّمَرُ والنَّباتُ مِثلَ ما كان عليه من عَهدِ آدَمَ عليه السلام من الكَثْرةِ والكِبَرِ والبَرَكةِ.

قوله: **«ويكونَ الفَرَسُ بالدُّرَيهِماتِ»:** أي يكونُ رَخيصَ الثَّمَنِ لِقِلَّةِ الحَاجةِ إلَيه، حَيث يَعُمّ الأَمنُ وَالسَّلامُ؛ فَلاَ حَرْبَ بَعدَ ذَلِكَ.

ثم تابع رسول الله ﷺ قوله: **«وإنَّ قبلَ خروجِ الدَّجَّالِ ثلاثَ سنواتٍ شِدادٍ، يُصِيبُ الناسَ فيها جُوعٌ شديدٌ، يأمرُ اللهُ السماءَ السنةَ الأولى أن تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها، ويأمرُ الأرضَ أن تَحْبِسَ ثُلُثَ نباتِها، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثانيةِ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها، ويأمرُ الأرضُ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نباتِها، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثالثةِ فتَحْبِسُ مطرَها كلَّه، فلا تَقْطُرُ قَطْرةً، ويأمرُ الأرضَ فتَحْبِسُ نباتَها كلَّه فلا تُنْبِتُ خَضراءَ، فلا يَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكَت إلا مَا شَاء اللهُ». قيل:** فَما يُعِيشُ الناسَ في ذَلك الزَّمانِ ؟ قال: **«التهليلُ، والتكبيرُ، والتحميدُ، ويُجزِئُ ذلك عليهم مَجْزَأَةَ الطعامِ».**

قوله: **«فما يُعيشُ النَّاسَ في ذَلِكَ الزَّمانِ؟»:** أيْ بَعد أنْ تَهلِكُ الحَيَوانات كُلُّها، على أيِّ شَيءٍ يَعيشونَ من الطَّعامِ والشَّرابِ؟

قوله: **«ويُجزِئُ ذلك عليهم مَجزَأةَ الطَّعامِ»:** وهو قَولُ: الحَمدُ للهِ، وهذا هو الذِّكرُ، وهو الباقياتُ الصَّالِحاتُ، أي: يَقومُ ذلك مَقامَ الطَّعامِ ويُغْني عنه.

وقد أرشد النبيّ ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة. وكان كل نبيٍّ ينذر أمته الأعورَ الدجال، وَخَصَّ الله محمدا ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرا من صفات الدجال ليُحذِّر أُمَّته منه، فهو يدَّعي الألوهيَّة؛ وإنه خارج من هذه الأمة لا محالة، لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيّين.

ومن الإرشادات النبوية التي أرشد إليها رسولنا محمد ﷺ لننجو من هذه الفتنة العظيمة؛ أهمها:

التمسك بتعاليم الإسلام والتسلح بأركان الإيمان،

ومعرفة أسماء الله الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد.

فإن كان الدجَّال يدَّعي الألوهيَّة؛ فعلى المسلم أن يعلم بأن الدجال بَشَرٌ يأْكل ويشرب، وأن الله تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك.

وأنه لا أَحد يرى ربَّه في الدنيا حتى يموت.

ويتعوذ المسلم من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة.

وأنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، واللهُ سُبحانَه ليس بأعْوَرَ.

ومنها: الفِرارُ مِنَ الدَّجَّالِ لَمن عاصَرَهُ، والابتِعادُ عنهُ؛ وذلك لِما معه مِنَ الشُّبُهاتِ والخوارقِ العظيمةِ الَّتي قدْ يَفْتَتِنُ بها المرءُ.

وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة ما روى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ مِن أَرْبَعٍ يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»** صحيح مسلم.

بالإضافة إلى حفظ آيات من سورة الكهف: فقد أمر النبيّ ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها.

ومن الأحاديث الواردة: قوله ﷺ: **«مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»** صحيح مسلم.

وفي رِوايةٍ: **«مِنْ آخِرِ سورةِ الكهفِ»** أخرجه مسلم.

في هذا الحَديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ أنَّ مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورةِ الكَهفِ، أَوْ مِنْ آخِرِها؛ عَصَمَه اللهُ وحَفِظَه ووَقاهُ مِن فِتنةِ الدَّجَّالِ الَّذي يَخرُجُ آخِرَ الزَّمانِ ويَدَّعي الأُلوهيَّةَ.

وإنَّما كانَ حِفظُ هذه الآياتِ سَببًا للعِصمةِ مِن الدَّجَّالِ؛

قيل: لِمَا في هذه الآياتِ مِنَ العَجائبِ والمُعجِزاتِ؛

فمَن عَلِمَهُما لا يَستغرِبُ أمْرَ الدَّجالِ؛

فيحتاطُ لأمره، ولا يُفتَتنُ به،

ويَسهُلُ عليه الصَّبْرُ على فِتَنِ الدَّجَّالِ بِمَا يَظْهَرُ مِن نَعيمِه وعَذابِه،

أو تكونُ العِصمةُ مِن الدجَّالِ مِن خَصائصِ اللهِ لِمَن حَفِظ هذه الآياتِ.

ومن خصوصيات سورة الكهف، فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة يوم الجمعة. روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكهْفِ فِيْ يَوْمِ الجُمُعَةِ؛ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَين»** صحيح الترغيب للألباني.

والفرار من الدجال والابتعاد عنه، قال رسول الله ﷺ: **«من سمِع بالدَّجَّالِ فلينْأَ عنه، فواللهِ إنَّ الرَّجلَ ليأتيه وهو يحسَبُ أنَّه مؤمنٌ فيتبعُه ممَّا يبعثُ به من الشُّبهاتِ»** صحيح أبي داود. صحيح.

والأديان الثلاث: اليهود والنصارى والمسلمون؛ ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإنهم وُعدوا به في كل ملة.

فاليهود ينتظرون المسيح الدجال؛ ويسمونه ملك السلام.

والنصارى ينتظرون المسيح ابن مريم؛ يعتقدون أنه الإله وابن الله.

والمسلمون ينتظرون المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، الذي ينزل تابعاً لشريعة محمد ﷺ؛ ويكسر الصليب؛ ويقتل الخنزير؛ ولا يقبل إلا الإسلام.

ويتفق اليهود والنصارى على أن المسيح المنتظر سيكون من بني إسرائيل؛ وستكون قاعدة مُلكه هي القدس.

ويعتقد النصارى أن المسيح سيقتل اليهود والمسلمين معا.

ويعتقد اليهود أنه سيقتل النصارى والمسلمين معا.

وقد استطاع اليهود أن يخدعوا طوائف من النصارى؛

وخاصة ممن يؤمن بتعاليم التوراة؛

ليتَّحدوا الآن لتهيئة نزوله؛

وذلك بإعطاء القدس لليهود،

وتأجيل الخوض في تفاصيل النهاية؛

وتأجيل الخلاف حول تحديد من هو المسيح المنتظر.

والحق الذي لا شك فيه؛ أن المسيح ابن مريم عليه السلام سيَقْتُلُ الدجال ومن معه من اليهود، وسيكون عدواً لمن يبقى من النصارى على دينهم المحرَّف؛ ويأبى الدخول في الإسلام.

عَن أنسِ بن مالِكٍ رضي الله عنه أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: **«الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ»** صحيح مسلم.

أي: مَطموسٌ ضَوءُها وإدراكُها، فلا يُبصِرُ بها شَيئًا، وقِيل لأنّه يمسح الأرض كلّها ويسير فيها، أمّا دجّال فلأنّه كذّاب ومُحتال.

وقد وَصف رسولُ الله فتنة الدجّال بأنّها أخطر فتنة تمرّ على البشريّة، إذ قال: **«ما بيْنَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»** حكم المحدث صحيح.

وفي رِوايةٍ: **«أَمرٌ أكبرُ مِنَ الدَّجَّالِ»**. يَعني لِشدَّةِ البَلاءِ به؛ ولِمَا يَأتي به منَ الخَوارقِ المَقرونةِ بِدعواهُ الإلهيَّةِ.

يُوصَف الدجال بأنّه رجل قصير القامة؛ مُتَباعد ما بين ساقَيه، مُمتلئ الجسم، شعره كثيف أجعد، وهو أبيض البشرة، وذو جبهة عريضة، مكتوب بين عينيه كافر، لا يقرأها إلّا المؤمن؛ لقول رسول الله: **«مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ كافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كاتِبٍ وغَيْرِ كاتِبٍ»** صحيح مسلم.

ويجول الدجّال الأرضَ خلال أربعين يوماً، وهي المدّة التي يَمكُثها في الأرض، فقد سُئِل رسول اللهﷺ عن ذلك: ما لُبثُه في الأرضِ ؟ قال: **«أربعون يومًا: يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيَّامِه كأيَّامِكم»** صحيح أبي داود.

حيث يتحرّك بسرعة كبيرة في الأرض، قال رسول اللهﷺ واصفاً إيّاه: **«كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»** صحيح الترمذي.

أي كالمطر النازل الذي تدفعه الريح في كلّ اتّجاه، ممّا يمكّن الدجّالَ من التجوُّل في أقطار الأرض قاطبة باستثناء مكّة والمدينة المنوّرة؛ حيث لن يتمكّن من دخولهما؛ لقول رسول الله ﷺ: **«ليسَ مِن بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إلَّا مَكَّةَ والمَدِينَةَ، ليسَ له مِن نِقَابِهَا نَقْبٌ، إلَّا عليه المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ ومُنَافِقٍ»** صحيح البخاري.

فتنة الدجّال لها عدّة أساليب في فتنة الناس وإضلالهم، واقناع الناس بألوهيّته، فقد قال رسول الله فيه: **«إنَّ معهُ مَاءً ونَارًا، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ، ومَاؤُهُ نَارٌ»** صحيح مسلم.

ومن فِتنته أيضاً أنّه يقول للأعرابيّ: «**أرأيتَ إن بَعَثْتُ لك أباك وأمَّك أَتَشْهَدُ أني ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثلُ له شيطانانِ في صورةِ أبيه وأمِّه، فيقولانِ: يا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، فإنه ربُّك**» صحيح الجامع.

إلّا أنّ أهل الإيمان لا يفتتنون به؛ فالله يُنجّيهم منه. وأهم سبل النجاة منه؛ أن يكون قلب المسلم عامراً بالإيمان، ثابتاً عليه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾ [فصلت:٣٠]. واللجوء إلى أحد الحرمَين الشريفَين؛ مكة والمدينة؛ لأنّ الدجّال لن يتمكّن من دخولهما.

أمّا هلاكه، فيكون على يد عيسى بن مريم عليه السلام؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا خَرَجَ مَسيحُ الضَّلالَةِ الأَعورُ الكذَّابُ نَزَل عيسَى ابنُ مَريمَ عَلى المنارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقيَّ دِمشقَ بَيْنَ مَهْرودَتَيْنِ، وَاضعًا يَديهِ عَلى مِنكبيْ مَلكينِ، فَإذا رَآهُ الدَّجَّالُ انْماعَ كما يَنْماعُ المِلحُ في الماءِ، فَيُدرِكُهُ فَيَقتُلَهُ بالحَربةِ عندَ بَابِ لُدٍّ الشَّرقيِّ؛ عَلَى بضعِ عَشْرَةَ خُطُواتٍ مِنْه**» حكم المحدث: صحيح.

المنارةِ البيضاءِ: موقع شرقيَّ دِمَشقَ. **بينَ مَهْرُودَتَيْنِ:** يعني لابسًا ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بِزَعْفَرَانٍ.

يتساءل الكثيرون على المواقع الإلكترونية:

ما حقيقة الدجال وظهوره في زمننا؛

وهل صحيح أن أمريكا بلده؟

وأن الحضارة الغربية حضارته؟

خلال مراجعة صفة الدجال وأعماله؛ تبين بأنها تنطبق إلى حد ما على العلمانين الملحدين؛ وأن دولة أمريكا قامت بهذه الأعمال:

أولا: إدعاء الدجال بالألوهية؛ العلمانيون لم يقولوا أنهم آلهة؛ لكنهم نازعوا الله في أولوهيته؛ وذالك حينما قاموا بمحاولة الخلق والاستنساخ للبشر والحيوان. وزادوا علي ذالك حينما قامت مجموعة فرنسية ملحدة (Raëlism) بادعاء استنساخ طفلة أمريكيه عام ٢٠٠٢م؛ وادعائهم قدرتهم على استنساخ نسخه حيه من جينات ميت؛ وهذا كله في الحقيقة ليس إحياء أموات؛ إنما هو نقل صفات ورائية لأجسام أحياء. وفي هذا إدعاء صريح للربوبية.

ثانيا: محاولاتهم المتكررة لإنزال المطر؛ وقد تحقق هذا عبر تلقيح الغيوم بأملاح ومواد كيميائية.

ثالثا: تشريع أنواع الشرك وعبادة الأوثان عن طريق مؤسساتهم الخاصة والدولية. والله سبحانه يقول ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧]. فالعلمانيون يرون أن الحكم والتشريع لهم؛ لذالك شرعوا قوانين وأحكاما تغضب الله؛ كما أحلوا الزنا والعلاقات الجنسية المحرمة بين الرجل والمرأة بشتى أشكالها؛ كما شرعوا الزواج المثلي وممارسة العلاقات الشاذة تحت حماية القانون.

رابعا: ورد أن الدجال سيدخل البلاد كلها إلا مكة والمدينه؛ وهذا كله تحقق. في حين وصل رعب الدجال إلى كل جهة في العراق وسوريا واليمن ومصر.

خامسا: صفة الدجال بأنه أعور مكتوب بين عينيه كافر؛ يقرأها الأمي والكاتب؛ نعم صحيح؛ وهذا يؤيده الواقع السياسي ؛ وهو ما يطلق عليه اليوم إعلاميا: **"النظر بعين واحدة"**؛ وسياسة **"الكيل بمكيالين"** تجاه القضايا الخاصة بالمسلمين؛ فأمريكا والغرب يتخذون مواقف منحازة إلى جانب إسرائيل وأعداء الإسلام ضد مصالح المسلمين في جميع أنحاء الأرض؛ وقوانين حقوق الإنسان مقتصرة على الشعوب الأوروبية والغرب دون غيرهم؛ والمسلم المثقف والجاهل يعلم هذه الحقيقة عنهم.

خامسا: ورد أن الدجال ينزل بعض المناطق القريبة من المدينة؛ فيخرج إليه يومئذ رجل من أهل المدينة هو خير الناس؛ فيقتله الدجال ثم يحيه. وهذا قد حصل؛ بعد أن أقامت أمريكا قواعد عسكريه في السعودية؛ فخرج إليها الشيخ أسامه بن لادن في تنظيم القاعدة؛ فقتلته. ثم ما لبثت أن أحيته بإقامة تنظيمات أصولية إسلامية بديلة موالية لهم في العراق والشام.

سادسا: ورد أن الدجال له جنة ونار؛ فجنته نار وناره جنة أو ماء بارد؛ وهذا ينطبق على أمريكا؛ فهي أرض مليئة بالشهوات والملذات؛ فتكون عليهم شقاء في الدنيا ونارا يوم القيامة؛ ولها نار هي منظومة الأسلحة الحارقة والخارقة التي تملكها تقاتل

بها الإسلام وأهله؛ وكل الذين يخالفونها؛ فتكون عليهم ماءا باردا ؛ فلا يشعر بالألم قبل استشهاده؛ وما يدريك؛ فلعل هذه النار تكون بردا وسلاما؛ وتفقد خاصيتها النارية كما كانت على سيدنا إبراهيم عليه السلام. وتكون له جنة بعد استشهاده بدخوله الجنة.

سابعا: ورد أن الدجال يخرج على المسلمين من غضبة يغضبها؛ وهذا ينطبق على أمريكا وحلفائها؛ وما أكثر غضباتها؛ فقد خرجت على المسلمين تصبّ عليهم جامّ غضبها باستخدام أنواع الأسلحة المدمرة؛ على أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وغيرها؛ مما نعلم عنه ومما لا نعلم.

قد يتساءل البعض:

ما دام الدجال خرج بهذه الطريقة.

فلماذا لم يخرج الدجال بالطريقة التي يدركها الناس؟

ولماذا لم ينتبه علماء المسلمين ودعاتهم ومجاهدوهم لهذا ؟

إن كثيرا من العلماء والخطباء والدعاة؛

وَصَفوا أمريكا بأنها نصَّبت نفسها ندًّا لله رب العالمين؛

وأنها الطاغوت الأكبر؛

وأنها تقتل الشعوب.

وتدمّر المدن والبنيان؛ بلا حساب ولا عقاب.

وأنهم حاربوا دجلها؛

وحاربوا الديمقراطية الزائفة التي قهرت العالم بها؛

لكنهم لم ينتبهوا إلى أنها بلد الدجال؛

لأن علامات ذلك لم تحصل لها؛ إلا بعد عقود من الزمن.

فلا عجب أن يُخفي الله صورة الأعور الدجّال عن خلقه؛ ثم يظهرها بالطريقة التي تلائمه؛ وليس بالضرورة أن يكشف الله تعالى عن الأحوال والأسرار كما يريدها البشر؛ فهو الخالق؛ وهو المتصرف؛ لا أحد يعترض عليه.

فعلينا نحن المسلمون؛

أن نهب للتخلص من سيطرة هذا الدجال وأدواته العسكرية والإعلامية،

ونكفر بدجله وأتباعه من الشيعه والعلمانين في البلاد الإسلامية؛

ووسائله من الأفلام الإباحية؛

وكذبه باسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة؛

والحريات الزائفة باسم الديمقراطية؛

ونعلم أنه قريبا سينزل عيسى عليه السلام؛

فيكسر الصليب ولايقبل إلا الإسلام.

الثالثة: نزول عيسى ابن مريم

من علامات الساعة الكُبرى؛ نزول عيسى ﷺ؛ لقول رسول الله ﷺ: **«لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَنزِلَ عيسَى ابنُ مَريم»** صحيح البخاري.

وهو مربوع القامة، سَبِط الشَّعر؛ أي طويل ليّن ليس بأَجعد، أبيض يميل إلى الحُمرة، عريض الصدر، وقد وصفه رسول الله ﷺ بقوله: **«رَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ»** صحيح البخاري.

ويمكث في الأَرض أربعين سنة يملأ الأرض خلالها عدلاً وأماناً،

ويقتل الدجّالَ،

ويَكثُر المال في عهده حتى يَفيض،

هذا ما جاء فيما رواه البخاري في حديث الرسول ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المالُ، حتَّى لا يَقْبَلَهُ أحَدٌ»** صحيح البخاري.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ بعَلامةٍ مِن هذه العَلاماتِ الكُبرى الَّتي تدُلُّ على قُرْبِ قِيامِ السَّاعةِ؛ وهي: نُزولُ عِيسى ابنِ مريمَ ﷺ آخِرَ الزَّمانِ في هذه الأُمَّةِ، فيُقسِمُ النبيّ ﷺ باللهِ الَّذي رُوحه بيَدِه على أنَّه قدِ اقترَبَ نُزولُ عِيسى ﷺ، ونُزولُه

سَيَكونُ عندَ المنارةِ البيضاءِ شَرْقَي دِمَشقَ، واضعًا كَفَّيه على أجنحةِ مَلَكَينِ، كما في رِوايةِ مُسلمٍ في صَحيحِه.

فيَحكُمُ عليه السلام بيْن النَّاسِ بالعدْلِ،

وسيَحكُمُ بأحكامِ الشَّريعةِ المحمَّديَّةِ،

وأخبرَ النبيّ ﷺ أنَّ عيسى عليه السلام سَيكسِرُ الصَّليبَ الَّذي تُعظِّمُه النَّصارى،

ويَزعُمون أنَّه قد صُلِبَ عليه،

وقد كذَّبَ اللهُ اليهودَ في ادِّعائِهم هذا، فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وكَسْرُه عليه السلام الصَّليبَ إشارةٌ إلى بُطلانِ دِينِ النَّصارى.

وأخبرَ النبيّ ﷺ أنَّ عِيسى عليه السلام يَقتُلُ الخِنزيرَ، أي: يَأمُرُ بإعدامِه؛ مُبالَغةً في تَحريمِ أكْلِه، ويَضَعُ الجِزيةَ، يعني:

يَحمِلُ النَّاسَ كلَّهم على الدُّخولِ في الإسلامِ، فلا يَبْقَى أحدٌ يَدفَعُ الجِزيةَ،

أو أنَّه لا يَأخُذُ جِزيةً؛ لِوفرةِ المال وانعدامِ الفُقراءِ.

وسيَفيضُ المالُ فلا يَقبَلُه أحدٌ؛

وذلك لكَثرتِه واستغناءِ كلِّ أحدٍ بما في يَدَيه بسَببِ نُزولِ البَرَكاتِ وتَوالي الخَيراتِ؛

بسَببِ العدْلِ وعدَمِ الظُّلمِ، وتُخرِجُ الأرضُ كُنوزَها، وتَقِلُّ الرَّغَباتُ في اقتناءِ المالِ لعِلمِهم بقُرْبِ السَّاعةِ؛ وَهُمْ حينئذٍ مُنشَغلُونَ بالعِباداتِ.

ثُمَّ قال أبو هُرَيرةَ ﵁: اقْرَؤوا إنْ شِئتُم: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

فاستدلَّ بالآيةِ على نُزولِ عِيسى ﵇ في آخِرِ الزَّمانِ مِصداقًا لِلحديثِ.

والمعنى: لا يَبقى أحدٌ مِن أهْلِ الكِتابِ بعْدَ نُزولِ عِيسى ﵇ في آخِرِ الزَّمانِ، عندَ اقترابِ السَّاعةِ، وظُهورِ عَلاماتِها الكِبارِ؛ إلَّا آمَن به قبْلَ مَوتِه. فتكونُ المِلَّةُ واحدةً، وهي مِلَّةُ الإسلامِ.

وفي الحديثِ: بِشارةٌ ببَقاءِ الإسلامِ، وسِيادتِه في الأرضِ.

وفيه: أنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وهو دِينُ الأنبياءِ جَميعًا.

عيسى ابن مريم سينزل من السماء قبل قيام الساعة؛

ويقضي بشريعة النبيّ ﷺ،

ويُحيي أحكام الإسلام مما تركه الناس،

ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت، ويُصلَّى عليه ويُدفن.

ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تدل على نزول عيسى ﵇:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١].

أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة، ويدل على هذا: القراءة الأُخرى (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) بفتح العين واللام، أي خروجه عَلَم من أعلام الساعة؛ وشرط من شروطها؛ وأمارة على قرب قيامها.

روى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]. قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة. وهذا المعنى مروي عن عدد من أئمة التفسير؛ واختاره الحافظ ابن كثير وغيره.

الآية الثانية: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. قرر كثير من المفسرين أن الضميرين في (به)، و(موته) لعيسى ابن مريم عليه السلام [تفسير البغوي]، و[تفسير ابن كثير].

والحِكْمَةُ في نُزولِ عيسى عليه السلام دُونَ غَيرِهِ من الأنبياءِ؛ قيل:

هي الرَّدُّ على اليَهودِ في زَعْمِهِم أنَّهم قَتَلوهُ؛

فبيَّنَ اللهُ تَعالى كَذِبَهُم، وأنَّه هو الَّذي يَقتُلُهُم،

أو نُزولُهُ لِيُدفَنَ في الأرضِ والردّ على ادعاء النصارى بأنه إله؛

فهو بَشَرٌ مخلوقٌ من التُّرابِ؛ ويُدفن في التُّراب.

الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان؛ علامة من علامات الساعة الكبرى، ومن أعظم أشراطها بعد المهدي، وبعد الدجَّال، وبعد نزول عيسى يخرج يأجوج ومأجوج، فهم العلامة الرابعة، ففي وقت المسيح ابن مريم والدجال يخرج يأجوج ومأجوج: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] من جهة المشرق. وقد دل على ظهورهم الكتاب والسنة.

وأصل يأجوج ومأجوج قيل: هما اسمان أعجميان؛ وقيل: بل هما عربيان، وقد اختُلف في نسبهم، ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: إن يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية نوح من سلالة يافث أبي الترك. وقال الإمام النووي: هم بَشَرٌ من ولد أدم عند أكثر العلماء.

هم قومٌ من الناس حصرهم الرجل الصالح ذو القرنين بين جبلَين،

وكان ملكاً في زمانه،

فاشتكى أهل تلك البلاد شرّ القوم،

وطلبوا منه أن يبني سدّاً بينهم وبين القوم ليحميهم منهم،

فاستجاب الملك لطلبهم؛

وأقام سداً عظيماً من حديدٍ بين جبلَين،

ثمّ أذاب عليه النحاس حتى أصبح أكثر قوةً وتماسكًا،
فانحصر شرُّهم عن العباد،
ويكون خروجهم من ذلك السدّ علامةً من علامات الساعة الكبرى،
فيُفسدون في الأرض إلى أن يأذن الله تعالى بموتهم جميعاً؛
فيُرسل عليهم النَّغَف؛ فيموتون موتةً واحدةً.

ورد في السنّة النبويّة ما يدلّ على أنّ السدّ الذي حُصر فيه قوم يأجوج ومأجوج ما زال قائماً، وسيخرجون آخر الزمان؛ فيمتلكون أسباب القوة؛ ويتفوّقون فيها على سائر الناس، وأنّ خروجهم يكون علامةٌ من علامات الساعة الكبرى.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري؛ عن رسول الله ﷺ قال: **«لَنْ تقومَ السَّاعةُ حتَّى يكونَ قَبْلَها عشْرُ آياتٍ؛ ذكر منها: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغْرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ، وخُروجُ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ»** صحيح مسلم.

تساؤلات كثيرة تُطرح على مواقع الانترنت:
من هم يأجوج ومأجوج؟
وما هي أوصافهم؟

أسئلة ندرك من خلالها حرص الكثيرين من الناس على استكشاف هذا العالم؛ ومعرفة خفاياه،
وربما دفعهم الفضول إلى المبالغة في أوصافهم إلى حدّ الخرافة!

ورد ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[الكهف: ٩٣-٩٤].

وهذه الآيات تبين لنا كيف كان يأجوج ومأجوج في قديم الزمان أهل فساد وشر وقوة؛ لا يصدهم شيء عن ظلم من حولهم لقوتهم وجبروتهم، حتى قدم الملك الصالح ذو القرنين، فاشتكى له أهل تلك البلاد ما يلقون من شرهم، وطلبوا منه أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا يحميهم منهم، فأجابهم إلى طلبهم، وأقام سدا منيعا من قطع الحديد بين جبلين عظيمين، وأذاب النحاس عليه، حتى أصبح أشد تماسكا، فحصرهم بذلك السد واندفع شرهم عن البلاد والعباد.

وقد تضمنت الآيات السابقة إشارة جلية إلى أن بقاء يأجوج ومأجوج محصورين بالسد؛ إنما هو إلى وقت معلوم: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[الكهف:٩٨].

وهذا الوقت هو ما أخبر عنه النبيّ ﷺ في أحاديثه، من أن خروجهم يكون في آخر الزمان قرب قيام الساعة.

كما ورد ذِكر يأجوج ومأجوج أيضا في موضع آخر من القرآن؛ يبين كثرتهم وسرعة خروجهم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

أما الأحاديث النبوية؛

فقد رسمت ملامح أكثر وضوحا عن عالم يأجوج ومأجوج؛

وكشفت عن كثير من نواحي الغموض فيهم.

فبنيت أن لديهم نظاما وقائدا يحتكمون لرأيه،

وأن السد الذي حصرهم به ذو القرنين ما زال قائما،

وأنه يمنعهم من تحقيق مطامعهم في غزو الأرض وإفسادها،

ولذا؛ فمن حرصهم على هدمه يخرجون كل صباح لحفر هذا السد،

حتى إذا قاربوا هدمه؛ أخَّروا الحفر إلى اليوم التالي،

فيأتون إليه وقد أعاده الله أقوى مما كان،

فإذا أَذِنَ اللهُ بخروجهم؛

حفروا؛ حتى إذا قاربوا على الانتهاء قال لهم أميرهم:

ارجعوا إليه غدا فستحفرونه؛

فيرجعون إليه وهو على حاله حين تركوه،

فيحفرونه ويخرجون على الناس فيشربون مياه الأنهار،

ويمرُّون على بحيرة طبرية فيشربها أولهم،

فيأتي آخرهم فيقول: لقد كان هنا ماء !!

ويتحصن الناس خوفا منهم،

وعندئذ يزداد غرورهم؛

ويرمون بسهامهم إلى السماء؛ فترجع وعليها آثار الدم فتنة وابتلاء للعباد.

فيقولون: قهرنا أهل الأرض؛ وغلبنا أهل السماء،

فيرسل الله عليهم دودا يخرج من خلف رؤوسهم فيقتلهم،

فيصبحون طعاما لدواب الأرض؛ حتى تسمن من كثرة لحومهم. سنن ابن ماجة.

وقد دلت الأحاديث على أن الزمان الذي يخرجون فيه؛ يملكون أسباب القوة؛ ويتفوقون فيها على سائر الناس، وذلك لكونهم متقدمين عسكريا؛ ووصلوا إلى تقنيات تمكِّنهم من إبادة غيرهم والسيطرة على بلادهم.

أما ترتيب خروجهم ضمن أشراط الساعة الكبرى؛ فقد دلت الأحاديث على أن الدجال عندما يخرج، ينزل المسيح عليه السلام بعده فيقتله،

ثم يخرج يأجوج ومأجوج،

فيأمر الله عيسى عليه السلام ألا يقاتلهم،

بل يتوجه بمن معه من المؤمنين إلى جبل الطور،

فيُحاصَرون هناك،

ويبلغ بهم الجوع مبلغا عظيما،

فيدْعون الله حينئذ أن يدفع عنهم شرهم؛

فيرسل الله عليهم الدُّود في رقابهم؛

فيصبحون قتلى جميعا،

وتمتلئ الأرض من نتن ريحهم،

فيرسل الله طيرا كأعناق الإبل؛ فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله؛

ويأمن الناس؛

ويحجّ المسلمون إلى البيت الحرام بعد هلاكهم،

كما في الحديث: **«لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ ولَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ»** رواه البخاري.

كانت تلك معلومات مختصرة عن عالم يأجوج ومأجوج؛ عرفنا من خلالها مبلغ الخوف الذي يصيب الناس بسبب خروج هذا الجيش الجرار، حتى يرفع الله هذه الغُمّة، ويهلك يأجوج ومأجوج، ويعيش المسلمون بعد هلاكهم في رخاء ونعمة وأمن، ويرسل الله ريحا تأخذ نفوس المؤمنين، ويبقى في الأرض شرارُها، وعليهم تقوم الساعة.

ولعلنا نذكر آيات أخرى لم نذكرها؛ تلك الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج في سياق قصة ذي القرنين: **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾** [الكهف: ٩٤-٩٩].

وقال تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾** [الأنبياء: ٩٦].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم، ليحجز يأجوج ومأجوج عن الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندكَّ هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادا، وهذه علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة.

وثمة أحاديث أخرى صحيحة كثيرة دالة على ظهور يأجوج ومأجوج؛ نذكر منها: عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب أم المؤمنين، أنَّ النبيّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِن نَوْمِهِ فَزِعَاً يَظهَرُ عليه عَلاماتُ الخوفِ وَهو يقولُ: **«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه»**. وحلَّقَ بِإصبعِه الإبهامِ والَّتي تَلِيها. قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: **«نَعَمْ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ»** صحيح مسلم.

قوله: **«مِثلُ هَذِه»:** أيْ جَعَلَ الإصبعَ السَّبَّابَةَ معَ الإبهامِ وضَمَّها؛ والمعنى أنَّه لم يَبْقَ لمَجيءِ الشَّرِّ إلَّا اليسيرُ مِنَ الزَّمنِ.

قوله: **«نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»**: والخَبَثُ هو الفُسوقُ والفجورُ والمعاصي، مِن نَحوِ الزِّنا والخُمورِ وغَيرِها، وإذا كَثُرَ المُجترِئونَ على مَعاصي اللهِ عَمَّ الهلاكُ الجَميعَ، ثُمَّ يُبعَثُ كلٌّ على نيَّتِه.

كما أورد البخاري في صحيحه صفات أخرى؛ بأنهم قوم يشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول؛ عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا قَوْمًا نِعالُهُمُ الشَّعَرُ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا قَوْمًا كَأنَّ وُجُوهَهُمُ المَجانُّ المُطْرَقَةُ»** صحيح البخاري.

وفي رِوايةٍ: **«صِغارَ الأعْيُنِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ»** صحيح البخاري.

وروى ابن ماجه حديثا في صحيحه عن النواس بن سمعان الأنصاري، وصححه الألباني؛ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«فَبَيْنَمَا هُمْ كذَلِكَ إذْ أَوْحَى اللهُ إليهِ: يَا عيسَى إنِّي قَدْ أَخرَجْتُ عبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقتَالِهِم، وَأَحرِزْ عبَادي إلَى الطُّورِ»**.

قوله: **«لا يَدَانِ»** أي: لا قُدرةَ ولا طاقةَ **«لأحدٍ بقتالِهم»**.

قوله: **«فحَرِّزْ عِبادِي»**، أي: ضُمَّهُم واجْمَعْهُم **«إلى الطُّورِ»** وهو جَبَلٌ في سَيْنَاءَ بمِصرَ، فأمَرَه سُبحانه أنْ يرتحِلَ ويَختبِئَ بهم إلى هذا الجبلِ.

«ويبعَثُ اللهُ يأجوجَ، ومَأجوجَ، وَهُم كما قالَ اللهُ: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فيمرُّ أوائلُهُم على بُحَيْرةِ الطَّبريَّةِ، فيَشربونَ ما فيها، ثمَّ يمرُّ آخرُهُم فيقولونَ: لقد كانَ في هذا ماءٌ مرَّةً، ويُحصَر نَبيُّ اللهِ وأصحابُهُ حتَّى يَكونَ رأسُ الثَّورِ لأحدِهِم خيرًا مِن مائةِ دينارٍ لأحدِكُمُ اليومَ».

قوله: **«كُلِّ حَدَبٍ»**: أيْ كُلِّ مُرتَفَعٍ.

قوله: **«بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ»**: وهي بُحَيرةٌ تَقَعُ في فِلَسطينَ بيْنَ مِنطَقَتَيِ الجليلِ والجُولانِ بالقربِ مِن مَسارِ نَهرِ الأُرْدنِّ.

قوله: **«يَكونَ رَأسُ الثَّورِ لأحَدِهم»**: وإنَّما ذُكِرَ رَأسُ الثَّورِ ليُقاسَ به البَقيَّةُ.

«خيرًا من مِائةِ دينارٍ»: وذلك لقوَّةِ حاجَتِهم للطَّعامِ؛ واضطِرارِهم إليه.

وفي روايةٍ: **«أنَّهم يَسِيرُونَ حتَّى يَنْتَهُوا إلى «جَبَلِ الخَمَرِ»**.

والخَمَرُ: هو الشَّجرُ المُلْتَفُّ الَّذي يَستُرُ مَن فيه، وهو جَبَلُ بَيتِ المَقْدِس. فيَقولون: **«لقدْ قَتَلْنَا مَنْ فِيْ الأَرْضِ»**: وهذا بزَعمِهم؛ لأنَّ عِيسى عليه السلام وأصحابَه يَكونون مَحْصورينَ مَسْتورينَ في جبل الطور. ثمَّ يَقولون لِبَعضِهم:

«هَلُمَّ»: أيْ تَعالَوا وأَقْبِلوا إلى قِتالِ مَن في السَّماءِ.

«فيَرْمُونَ بِنُشَّابِهم»: أيْ سِهَامِهم إلى جِهةِ السَّماءِ، فيَرُدُّ الله عليهم نُشَّابَهم:

«مَخْضُوبَةً دَمًا»:أيْ مَصْبُوغةً دَمًا، وهذا استدراجٌ منه سُبحانه، مع احتمالِ إصابةِ سِهامِهم لبَعضِ الطُّيورِ.

«ويُحْصَرُ» أي: يُحْبَسُ **«نَبِيُّ الله عِيسَى وأصحابُه»** على جَبلِ الطُّورِ بلا طَعامٍ ولا ماء، ويَصِلُ بهم حدَّ نَفادِ أغْذيتِهم وطَعامِهم، وهُم مُحاصَرون بيَأجوجَ ومَأْجوجَ حتَّى لا يُوجَدَ رأْسُ الثَّورِ، مع أنَّ رَأْسَ الثَّورِ لا يَرغَبُ فيه النَّاسُ مِثلَ رَغبتِهم في لَحمِ باقي أعضاءِ البقرِ، وإنَّما ذَكَر رأسَ الثَّورِ لِيُقَاسَ البقيَّةُ عليه، وهذا كِنايةٌ عن شِدَّةِ جُوعِهم.

«فَيَرَغَبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأَصحابُهُ إلى اللهِ، فيُرسِلُ اللهُ عليهمُ النَّغفَ في رقابِهِم، فيُصبحونَ فَرسَى كمَوتِ نَفْسٍ وَاحِدةٍ، ويَهْبطُ نبيُّ اللهِ عيسى وأَصحابُهُ فلا يجِدونَ موضعَ شبرٍ إلَّا قد ملأَهُ زَهَمُهُم، ونَتنُهُم، ودماؤُهُم، فيرغَبونَ إلى اللهِ، فيرسلُ عليهم طيرًا كأَعناقِ البُختِ، فتحمِلُهُم فتطرحُهُم حيثُ شاءَ اللهُ».

«فيَرْغَبُ نبيُّ الله عِيسَى وأصحابُه»: أيْ يدعو اللهَ؛ فيَتضرَّعون له ويَدْعُونه أنْ يَرفعَ عنهم هذا البلاءَ، ويَدْعونه بالفرَجِ مِن هذه المحاصَرةِ والمَجاعةِ.

«فيُرْسِل اللهُ» على يَأجُوجَ ومَأجوجَ ويُسلِّطُ عليهم **«النَّغَفَ»** وهو دُودٌ يكونُ في أُنُوفِ الإِبِلِ والغَنَمِ، فيكونُ هذا الدُّودُ **«في رِقَابِهم»** وهذا استجابةٌ لدُعاءِ عِيسى عليه السلام وأصحابِه **«فيُصبِحون فَرْسَى»** أي: قَتْلَى **«كمَوْتِ نَفْسٍ واحدةٍ»**، أي: أنهم يَمُوتون كلُّهم كموتِ نفسٍ واحدةٍ.

ثُمَّ بعْدَ هَلاكِ يَأجوجَ ومَأْجوجَ؛ يَهبِط نبيُّ الله عِيسَى وأصحابُه مِن جَبلِ الطُّورِ إلى الأرضِ، فلا يَجِدُونَ في الأرضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلَّا **«مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ»**: أيْ دَسَمُهُم ورائحتُهم الكريهة المُنْتِنَة.

«ثمَّ يُرسِلُ اللهُ عليَهِم مَطرًا لا يُكِنُّ منهُ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فَيغسِلُهُ حتَّى يترُكَهُ كالزَّلقةِ، ثمَّ يُقالُ للأرضِ: أَنبِتي ثمَرتَكِ، ورُدِّي برَكَتَكِ، فَيومئذٍ تأكُلُ العصابةُ منَ الرُّمَّانةِ، فتُشبعُهُم، ويستظلُّونَ بقِحفِها، ويبارِكُ اللهُ في الرِّسْلِ حتَّى إنَّ اللِّقحةَ منَ الإبلِ تَكْفي الفِئامَ منَ النَّاسِ، واللِّقحةَ منَ البقرِ تَكْفي القبيلةَ، واللِّقحةَ منَ الغنمِ تَكْفي الفخِذَ».

«فيَرْغَبُ نبيُّ الله عِيسَى وأصحابُه إلى الله»: أيْ يَتَضرَّعون له ويَدْعُونَه أن يَرفعَ عنهم هذا البلاءَ.

«فيُرْسِلُ اللهُ»: أيْ على مَوتى يَأجوجَ ومَأجوجَ.

«طيرًا»: أيْ طُوالَ الأعناقِ وغِلاظَها.

«كأَعْنَاقِ البُخْتِ» وهي الإبِلُ الَّتي تكونُ طِوَالَ الأعناقِ، فتَحْمِلُهم فتَطْرَحُهم حيث شاء اللهُ، ثُمَّ بعْدَ نَقْلِ تلك الطُّيورِ مَوتى يَأْجوجَ ومَأجوجَ؛ يُرسِلُ اللهُ مَطَرًا:

«لَا يَكُنُّ منْه» أي: لا يَسْتُرُ، ولا يَمْنَعُ مِن نُزولِ الماءِ **«بيتُ مَدَرٍ»** وهو الطِّينُ الصُّلْبُ **«ولا وَبَرٍ»** والوَبَرُ لِلْإِبِلِ بمنزلةِ الشَّعْرِ لِلْمَعْزِ؛ وبمنزلةِ الصُّوفِ للضَّأْنِ، وهذا يدُلُّ على كَثْرةِ المطَرِ وغَزارتِه، فيَغْسِلُ ماءُ المطَرِ الأرضَ ويُنظِّفُها مِن آثارِ جِيَفِ يَأجوجَ ومَأْجوجَ **«حتَّى يَتْرُكَها كالزَّلَفَةِ»** وهي المِرْآةُ، والمرادُ: أنَّ الماءَ يَعُمُّ جميعَ الأرضِ بحيث يَرى الرَّائي وجْهَه فيه.

وعندَ التِّرمذيِّ: **«ويَستوقِدُ المسْلِمون مِن قِسِيِّهم ونُشَّابِهم وجِعابِهم سَبْعَ سِنينَ»**.

ثُمَّ يَأمُرُ اللهُ ﷻ الأرضَ أنْ تُنبِتَ أشجارَها وثِمارَها،

وأنْ تَرُدَّ بَركتَها ممَّا يَنتفِعُ به الإنسانُ والحيوانُ والطَّيرُ،

فيَومئذٍ تَأكُلُ **«العِصَابَةُ»**: والمرادُ بها الجماعةُ مِن النَّاسِ، مِنَ ثَمرةِ الرُّمَّانَةِ الواحدةِ ويَشْبَعون منها لكِبَرِها، وذلك مِن بَرَكةِ الأرضِ **«ويَسْتَظِلُّونَ»**: أيْ مِن حَرِّ الشَّمسِ **«بِقِحْفِها»**: أيْ بقِشرِها، والمرادُ أنَّ الرُّمَّانَةَ تكونُ كَبيرةً بحيث تَستظِلُّ بقِشرَتِها الجماعةُ

مِن النَّاسِ **«ويُبَارَكُ في الرِّسْلِ»**: وهو اللَّبَنُ، فيُنزِلُ اللهُ فيه البركةَ **«حتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ»**: وهي النَّاقَةُ ذاتُ اللَّبَنِ، لَيَكْفِي لَبَنُها **«الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ»**: أيْ الجماعةَ الكبيرةَ، وهي أكثرُ مِن القَبيلةِ **«واللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ»**: أيْ ذات اللبن لَتكْفِي **«الفَخِذَ مِن النَّاسِ»** وهم الأقارِبُ من الجدّ.

«فبينما هم كذلِكَ، إذ بعثَ اللهُ عليهم ريحًا طيِّبةً، فتأْخُذُ تَحتَ آباطِهِم، فتقبِضُ روحَ كلِّ مسلمٍ، ويبقى سائرُ النَّاسِ يتَهارجونَ، كما تتَهارجُ الحُمُرُ، فعلَيهِم تقومُ السَّاعةُ».

فبَيْنَما النَّاسُ كذلك يَتمتَّعون بهذا النَّعيمِ؛ وما يَخرُجُ لهم مِن بَرَكاتِ الأرضِ؛ إذ بَعَث اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فتَأْخُذُهم تلكَ الرِّيحُ بألَمٍ يَظهَرُ **«تحْتَ آباطِهِم»**: وَهُوَ جَمْعُ إِبْط، **«فتَقبِض»** أي: تكونُ تلك الرِّيحُ سَببًا لقبضِ رُوحِ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مُسلِمٍ، ولا يَبْقَى على الأرضِ إلَّا **«شِرَارُ النَّاسِ»** وهُم الكفَّارُ وغيرُ الموحِّدين **«يَتَهَارَجُونَ فيها تَهَارُجَ الحُمُرِ»**، أي: يُجامِعُ الرِّجَالُ النِّساءَ عَلَانِيَةً بِحَضْرَةِ النَّاسِ كما يَفْعَلُ الحَمِيرُ، لا يَكْتَرِثُونَ لذلك، فعلى هؤلاء تقومُ القيامةِ ويُنفَخُ في الصُّورِ.

لكن؛ لو ادّعى من ادّعى من أدعياء العلم اليوم؛

ومحترفي الإعلام في زماننا؛

أن هؤلاء القوم غير موجودين؛

ولا حقيقة لهم؛

بحجة أن الأقمار الصناعية وأجهزة التصوير فيها لم تكتشف مكان وجودهم.

نقول: إن عجز الأجهزة الحديثة والتقنيات المتطورة عن معرفة مكان وجودهم لا تعني عدم وجودهم؛

ولا غرابة فيه أبداً، لأنه من تعمية الله تعالى لهذه الأجهزة؛

ولأنَّ مسألة وجودهم وخروجهم آخر الزمان من مسائل الغيب التي استأثر الله وحده بعلمها؛

فلم يُطلع عليها نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً،

ولا يستطيع أن يحيط بعلمها أحد من البشر.

الخامسة: هدم الكعبة

هدم الكعبة من علامات قرب الساعة، وهذا من أهم أشراطها التي جاءت في أحاديث النبيّ ﷺ. فقد أخرج الشيخان أنه ﷺ قال: «**يُخرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقِتَيْنِ مِن الحبَشةِ**» أخرجه البخاري ومسلم.

وزاد الإمام أحمد من رواية عبدالله بن عمرو؛ عن رسول الله ﷺ قال: «**يخرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقتينِ منَ الحبَشةِ، ويسلِبُها حليتَها، ويجرِّدُها من كسوتِها، ولَكَأنِّي أنظرُ إليهِ أُصَيْلِعُ أُفَيْدِعُ يضرِبُ عليها بمسحاتِهِ ومِعولِهِ**» حكم المحدث: أشار إلى صحته.

أخبرَنا النبيّ ﷺ أنَّه تقعُ فِتنٌ في آخِرِ الزَّمانِ، وتُنتَهَكُ فيها حُرماتُ المُقدَّساتِ، وهذا الحديثُ يُبيِّنُ بعضَ ذلك؛ حيثُ يقولُ النبيّ ﷺ: «**يُخرِّبُ الكَعبةَ**» أي: عِندَ قُربِ قيامِ السَّاعةِ، «**ذو السُّوَيْقتَيْنِ**» أي: صاحبُ السَّاقينِ الصَّغيرينِ «**مِن الحَبَشَةِ**» والحَبَشَةُ جنسٌ مِن السُّودانِ، وكأنَّ هذه الكعبةَ المُعظَّمةَ يَهتِكُ حُرمَتَها مثْلُ هذا الرجل «**ويَسلُبُها حِلْيَتَها، ويُجرِّدُها مِن كِسوَتِها**»، أي: يأْخُذُ ذَهَبَها أو زِينتَها الَّتي تَتزيَّنُ بها، ويُنزِلُ عنها ثِيابَها الَّتي تَكْسوها «**ولكأنِّي أنظُرُ إليه أُصَيلِعَ**» أي: مَنزوعَ شَعرِ الرَّأسِ «**أُفَيْدِعَ**» أي: مُتباعِدَ ما بيْن السَّاقينِ «**يَضرِبُ عليها بمِسْحاتِه ومِعْوَلِه**» أي: يَضرِبُ الكعبةَ ويَهدِمُها بفأْسِه وأدواتِه.

وفي الحديثِ: إخبارُه ﷺ عمَّا يقَعُ آخِرَ الزَّمانِ،

وهو مِن أُمورِ الغيبِ الَّتي يجِبُ الإيمانُ والتَّصديقُ بها،

وبكلِّ ما ثبَتَ وصحَّ عنه ﷺ مِن أُمورِ الغَيبِ.

هذا الفعل لا يقع إلا في آخر الزمان قرب قيام الساعة،

حيث: **«لاَ يَبقَى فِيْ الأَرضِ أَحَدٌ يَقُولُ: اللهُ اللهُ»** صحيح الترمذي.

وأخرج ابن حبان وابن خزيمة والحاكم والطبراني في الكبير حديثاً آخر عن عبدالله بن عمر عن النبيّ ﷺ يقول فيه: **«اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذَا البَيْتِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، وَيُرْفَعُ فِيْ الثَّالثَةِ»** صححه الألباني في صحيح الجامع.

فالكَعبةُ المشرَّفةُ هي بيْتُ الله في مَكَّةَ المُكرَّمةِ،

وَقِبلَةُ المسلِمين فِيْ العَالَمِ؛

وقد شرَّفَها الله وعظَّمَها، وأَمَرَنا بتَعْظيمِها،

والطَّوافِ حوْلَها، والصَّلاةِ تُجاهَها.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيّ ﷺ: **«اسْتَمْتِعوا من هذا البَيْتِ»**: وهو الْكَعْبَة، والاسْتِمْتاعُ به هنا يَشمَلُ: النَّظَرَ إليه، والطَّوافَ حوْلَه والصَّلاةَ فيه؛ **«فإنَّه قد هُدِمَ مَرَّتيْنِ»**:

أُولاها: هُدِم بعد إبراهيم عليه السلام، فبناه قوم من العرب من جُرْهُم.

والثانيةُ: هَدْمُها في أيامِ قُرَيْشٍ مع إعادَةِ بِنائِها **«ويُرفَعُ في الثالِثةِ»**، أي: يُهدَمُ البيتُ

للمَرَّةِ الثالثةِ، والمرادُ بالرفعِ رَفْعُ برَكتِه وما يُنالُ عِندَه مِن الأجورِ، أو يُرادُ به رفْعُ الحَجرِ الأسودِ، ولعلَّ المُرادَ هدْمُها على يَدِ ذي السُّوَيْقتيْنِ الحبشيِّ.

وروى أبو سعيد الخدريرضي الله عنه قال النبيّ ﷺ: **«لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى لا يُحَجَّ البيتُ»** صحيح البخاري.

والمرادُ: أنَّ القِيامةَ لا تقومُ وهناك مَن يُؤمِنُ باللهِ ﷻ،

فيكونُ ذلك سَببًا لانقطاعِ الحَجيجِ إلى الكَعبةِ؛

ففي صَحيحِ مُسلِمٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«لا تَقومُ السَّاعةُ حتى لا يُقالَ في الأرضِ: اللهُ، اللهُ»**.

ويُمكِنُ الجمْعُ بيْن الحَديثَينِ بأنَّه لا يَلزَمُ مِن حَجِّ الناسِ بعْدَ خُروجِ يَأجوجَ ومَأجوجَ أنْ يَستمِرَّ الحَجُّ إلى قِيامِ الساعةِ، بل سيَتوقَّفُ الحَجُّ في وَقتٍ ما عِندَ اقترابِ ظُهورِ الساعةِ.

هذه الأحاديث النبوية تدل على أنّ من علامات الساعة في آخر الزمان هدم الكعبة المشرفة؛ وقد تكلم أهل العلم في هذا الأمر، وأسندوا هدمها إلى عدة أسباب نلخصها على النحو الآتي:

الأول: تمكين هدمها في آخر الزمان؛ دلالة على انتهاء أمر الدنيا وقرب قيام الساعة.

الثاني: وجود الكعبة المشرفة يدل على قيام الدين، وهدمها يدل على اختلال أمور

الناس وتوترهم في دينهم.

الثالث: حجّ البيت يدل على الأمن والأمان، وتوقف الحج وهدم الكعبة المشرفة يدل على عكس ذلك.

الرابع: يكون ذلك بعد رفع القرآن الكريم، وموت عيسى ﵇؛ وفي هذا دلالة على ما سيكون من دمار وفساد في نهاية الزمان.

أخبرنا النبيّ ﷺ:

سيظهر رجل يهدم الكعبة **«يَقْلَعُها حَجَرًا حَجَرًا»** صحيح ابن حبان.

ثم يأخذ كسوتها ويحرقها أمام آلاف البشر؛ وهم يهتفون له؛

ثم يسرق كل زينتها من الحلي والذهب؛

ويستخرج كنوزها المدفونة ليسرقها وينهبها.

من أي دولة سيظهر؟

وكيف سيبدو؟

وكيف سيهدم الكعبة؟

ذلك يكون من قِبل رجل من الحبشة، قال رسول الله: **«يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ»** صحيح البخاري ومسلم.

وقد وصفه بأنّه أسود مُتَباعد ما بين ساقَيه، يهدم الكعبة حجراً حجراً، لقوله ﷺ:

«كَأَنِّي به أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا» صحيح البخاري.

ويُشار إلى أنّ ما سيَحدُث للكعبة من خراب لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص:٥٧]. إذ إنّه يبقى آمناً إلى قُرب قيام الساعة، لا إلى قيامها الفِعليّ.

أمّا المدينة المنورة؛ فسيخرج الناس منها (وذلك من علامات الساعة)، فيتركونها حتى تُصبح خاوية على الرغم من طِيب عَيشها وثمارها، إذْ قال رسول الله: **«يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ علَى خَيْرِ ما كَانَتْ، لا يَغْشَاهَا إلَّا العَوَافِ»** صحيح البخاري.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيّ ﷺ ببَعضِ ما سيكونُ في آخِرِ الزَّمانِ؛
وهو أنَّ النَّاسَ يَترُكونَ المدينةَ وهي على أفضلِ حالٍ مِن كَثرةِ الزُّروعِ والثِّمارِ،
فتُصبِحُ خاليةً مِن البَشَرِ،
وَبسَبَب خُلوِّها مِن البَشرِ؛ قَصَدَتْها عَوافي السِّباعِ والطَّيرِ،
تَبحَثُ عمَّا تأكُلُه.

السادسة: الدخان

من علامات الساعة الكبرى؛ ظهور دخان قبل قيامها: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٠-١١].

دُخان عظيم بيِّنٍ واضح يراه كل أحد؛ يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أُوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزُّكمة، ويدخل في منافذ الكفار والمنافقين حتى يخرج من كل مسمع منهم.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري أنه قال: اطَّلَع النبيّ ﷺ علينا ونحن نتَذاكَرُ فقال: «**مَا تَذكُرونَ؟**»، قلنا: نَذكُرُ الساعةَ. قال: «**إنَّها لَنْ تَقومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ؛ فَذَكَرَ الدُّخَانَ؛ وَالدَّجَّالَ؛ وَالدَّابَّةَ؛ وَطُلوعَ الشَّمسِ مِنْ مَغرِبِهَا؛ وَنُزولَ عِيسَى ابنِ مَريمَ، ويَأجوجَ ومَأجوجَ؛ وثلاثَ خُسوفٍ: خَسفٌ بالمَشرِقِ؛ وخَسفٌ بالمَغرِبِ؛ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ؛ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهِم**» صحيح مسلم.

مِن هَذه العَلاماتِ: الدُّخَانُ، وهو دُخَانٌ يَأخُذُ بأَنْفاسِ الكُفَّارِ، ويَأخُذُ المؤمِنين منه كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ.

قيل: الدخان في الآية هو الغبار الذي يتصاعد من الأرض من جراء الجفاف، وأن الغبار يسميه العرب دخانا، وهو الغبار الذي تثيره الرياح من الأرض الشديدة الجفاف.

ذهب كثير من العلماء سلفًا وخلفًا؛ إلى أن الدُّخَان مِن الآيات المنتظرة التي لم تأت بعدُ، وسيقع قرب يوم القيامة.

وعلى ما فَسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه: إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجَهد أثناء حصار أهل مكة للمسلمبن في شِعب أبي طالب سنة سبع من البعثة النبوية؛ واستمر نحو ثلاث سنين، لهذا كان قوله تعالى: ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾. أما قوله تعالى: ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا.

قال القرطبي عن مجاهد: كان ابن مسعود يقول: (هما دخانانِ، قد مضى أحدُهما في مكة، وبَقي الذي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر، فتثقب مسامعه).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، والدُّخانَ، ودابَّةَ الأرْضِ، وطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها»** صحيح مسلم.

ثبت شرعاً أنّ الدخان علامة من علامات السّاعة الكبرى، وقد أكّد النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ

الدخان الوارد في الآية الكريمة السّابقة هو من علامات الساعة، وذلك في قوله: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ، الدُّخَانَ»** صحيح مسلم.

ويهرع النّاس حين ظهور الدّخان إلى الله سبحانه، يسألونه كشف هذه الغُمّة عنهم كما جاء في الآية: **﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾** [الدخان:١٢].

والمسلمون قد آمنوا بما أخبرهم به سبحانه من الأمور الغيبية التي ستقع في آخر الزمان، وفي هذا إشارة إلى إمكانية استدراك المرء نفسه بالتوبة والإنابة.

أمّا تأثير ظهور الدخان على النّاس حينها؛ فقد أشارت بعض الروايات أنّ المؤمنين يعتريهم بسببه الزّكام، بينما يأخذ الكافرين كلَّ مأخذ، ومن تلك الروايات ما أخرجه ابن كثير عن أبي مالك الأشعري بإسناد جيّد؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ رَبَّكم أَنْذَرَكُم ثَلاثًا: الدُّخانُ، يأخذُ المؤمِنُ كالزُّكْمَةِ، ويأخذُ الكافرَ فينتفخُ حتَّى يخرُجَ من كلِّ مَسْمَعٍ منهُ، والثَّانيةُ الدابَّةُ، والثَّالثةُ الدَّجَّالُ»**.

الدخان يطلق في اللغة على ما يتصاعد عند إيقاد الحطب،

وفي النصوص الدينية الإسلامية؛

يُذكر الدخان ضمن أحداث تسبق نهاية العالم؛

دخان عظيم يأتي من السماء فيعمَّ الكون كله؛

فيصيبهم الهلع والجزع والعذاب الأليم؛

وهذا الدخان العظيم يظهر في آخر الزمان بسبب كثرة المعاصي.

وقد اختلف العلماء في تفسير تحقق هذه الظاهرة،

فمنهم من قال بأنها تظهر آخر الزمان؛

لتكون علامة من علامات قرب يوم القيامة،

وهي تدل على الفتن والبلاء والكوارث التي سوف تحدث في الدنيا قبل النهاية.

ومنهم من قال بأنها علامة على وقوع كارثة كبرى في الأرض،

حيث يتوقعون أن تحدث كارثة بيئية كبيرة،

أو ظاهرة بسبب اختلال نظام الكون في آخر الزمان؛

أو ربما تفجيرات ذرية أو نووية؛

أو غير ذلك مما سيظهر من صناعات في السنوات القادمة؛

ما يؤدي إلى إثارة الغبار والدخان في الهواء؛

فينشر الرعب والعذاب الأليم في نفوس وقلوب المنحرفين عن تعاليم الله؛

ويبقى هذا على الأرض سنوات طويلة؛

ما دام الانحراف العقائدي والأخلاقي منتشرا بين الناس.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد حتى الآن تفسير دقيق ونهائي لظهور هذا الدخان العظيم الذي سيملأ الأرض،

ولكن ينبغي على أجيال المؤمنين تصديق هذا الخبر وينتظرون وقوعه؛

وأن يتذكّروا هذه العلامة بأنها أحد علامات قيام الساعة الكبرى؛

وأن يتوقعوا أمورا كبيرة سوف تحدث على كوكب الأرض قريبًا،

وأن نتحلَّى بالتقوى والاستعداد لمواجهة هذا البلاء وهذه الفتن والأزمات الكبيرة التي يمكن أن تواجههم في أي وقت.

وعلى هذه الأجيال أن تعلم وتعتقد جيدا بأن سبب هذا البلاء كله هو ارتكاب المعاصي والجرائم على كوكب الأرض؛

وانتشارها في المجتمعات؛

والبغي والعدوان الذي نراه في عالمنا اليوم؛

وسيطرة القوي على الضعيف،

واستغلال القوى العظمى واستعبادها للشعوب الأخرى،

ونهب ثرواتها وخيرات بلادها بالقهر والقوة العسكرية؛

خصوصا استباحة دماء المسلمين؛

واستحلال أموالهم وأعراضهم؛ وأرضهم وسمائهم.

السابعة: رفع القرآن من الأرض

في آخر الزمان؛ بعد طلوع الشمس من مغربها، حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل، يُرفع القرآن؛ فلا يكون له ذكر في الصدور؛ ولا وجود في الكتب والمصاحف. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٨٦].

وهذا لا يقع إلا حين لا يبقى على الأرض مؤمن يعمل بالقرآن،
وإنما يكون الباقي في الأرض هم شرار الناس؛
الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يعملون به،
فعن هؤلاء يرفع الله القرآن من الأرض تنزيها له،
وعليهم تقوم الساعة.

أما شكل المصحف في هذا العصر،
فإنه أخذ أشكالاً متعددة؛
فربما يكون المصحف محفوظا على ذاكرة الهاتف؛
أو ذاكرة تخزين منفصلة؛
أو أقراص الليزر؛
أو تسجيلات فيديو أو غيرها مما هو محفوظ في الصدور أو مكتوب في الصحف؛
كل ذلك يرفعه الله ويمحوه؛ فلا يبقى منه شيء.

روى ابن أبي شيبة في مصنَّفه وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: **«إنَّ هَذَا القُرآنَ الذيْ بَين أَظهُركُم يُوشِك أَن يُنزَع منكُم»**، فسُئل: كيفَ يُنزعُ منّا وَقد أَثبته اللهُ في قُلوبنا، وَثبَّتناهُ في مَصَاحفنا؟ فقال: **«يُسرَى عَليه في لَيلة وَاحدَة؛ فَيُنزَعُ مَا في القُلُوب، وَيذهَبُ مَا فِيْ المصَاحف، وَيُصْبحُ النّاسُ منهُ فُقَراء»** أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة وإسناده صحيح.

وقد جاءت عدة أحاديث تدل على رفع القرآن الكريم في آخر الزمان، ومن هذه الأحاديث ؛ عَنْ عبد الله بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: **«لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ؛ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ؛ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ؛ إِلا رُفِعَتْ»** أخرجه الدارمي بسند صحيح، وأخرج الدارمي أيضًا. إسناد حسن لغيره.

وعن عَبْدِ اللهَّ بن مسعود قَالَ: **«أَكْثِرُوا تِلاوَةَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ»**. قَالُوا: هَذِهِ الْمَصَاحِفُ تُرْفَعُ ! فَكَيْفَ بِمَا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ ؟ قَالَ: **«يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلا فَيُصْبِحُونَ مِنْهُ فُقَرَاءَ، وَيَنْسَوْنَ قَوْلَ لا إِلَهَ إِلا اللهُّ، وَيَقَعُونَ فِي قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَشْعَارِهِمْ، وَذَلِكَ حِينَ يَقَعُ عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ»** سنن الدرامي.

ومما جاء أيضاً في رفع القرآن آخر الزمان؛ ما رواه الطبراني في المعجم الكبير؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه في رواية أخرى قال: **«لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآن من بين أظهركم»**. قيل له: يا أبا عبد الرحمن: كيف يُنتزع وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: **«يُسْرَى عَلَيه فِيْ لَيلَة؛ فَلا يَبْقَى فِيْ قَلب عَبد وَلاَ مُصحَف مِنْه شَيء، وَيُصبح النَّاسُ كالبَهَائم»**

قال ابن حجر في فتح الباري: سنده صحيح؛ وصححه الألباني.

قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (فإنه يُسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور؛ فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف).

وقد أنزل الله القرآن هدى للناس وتكفّل بحفظه؛ وهو المعجزة الخالدة للنبيّ ﷺ؛
وسيبقى يتعلّم منه ويَهتدي عليه الأولون والآخرون؛
ولكن في آخر الزمان قبل قيام الساعة مباشرة؛
يَقبض الله أرواح المؤمنين؛
ولا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق؛
ولا تكون صلاة ولا صيام ولا حجّ ولا صدقة،
ولا تكون هناك فائدة من وجود الكعبة ولا بقاء القرآن؛
وهذا من فتن آخر الزمان.

فيقدِّرُ اللهُ ﷻ خراب الكعبة على يد كافر من الحبشة؛ كما جاء في صحيح البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُخَرِّبُ الكعبةَ ذُو السُّوَيْقِتَيْنِ مِنَ الحَبَشَة»**.

ويرفع الله ﷻ القرآن من الأرض؛
فلا تبقى منه آية في المصاحف ولا في الصدور،
والله يغار أن يبقى كتابه في الأرض بلا فائدة لا يُعمل به؛
فيُحدِثُ هذا الأمر.

وهذا الحدث المُخيف والخطير؛ يدفع المسلم إلى المسارعة بالاهتمام بكتاب الله تعلمًا وحفظًا؛ وتلاوة وتدبّرًا قبل أن يُرفع.

إنّ رفع القرآن من صدور الرجال؛ ومن الصحف والمصاحف؛

لهو من أعظم الأمور التي ستحصُل؛

ومن أشدّ الفتن؛

فإنّه لا تَبقى كلمةٌ منه في صدر أحدٍ من الخلق،

ولا يبقى حرفٌ منه في مصحف،

وإنَّ الله هو الوحيد القادر على رفعه؛

فهو محفوظٌ بقدرته إلى أن يشاء الله رفعه،

قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَينا وَكيلًا﴾ [الإسراء٥٥-٥٦].

الثامنة: طلوع الشمس من مغربها

ومن علامات الساعة الكبرى غير المألوفة: طلوع الشمس من مغربها، ولها أدلة ثابتة من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ذكر ابن جرير الطبري أقوال المفسرين في الآية؛ قال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ذلكَ حينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ منْ مَغْرِبِهَا»**.

فطلوع الشمس من مغربها؛

هو أحد علامات الساعة الكبرى،

وأن ذلك سيقع قبل يوم القيامة؛

فهو حدث عظيم يدل ظهوره على قرب القيامة؛

أو بقاء زمن قصير لوقوعه؛

وهو تغيُّر مفاجئ في نظام حركة الأفلاك يشاهده الكبير والصغير،

وذلك أن الناس في صباح ذلك اليوم؛

بينما ينتظرون ظهور الشمس و طلوعها من مكانها المعتاد من الشرق؛

كما هو حالها منذ خلقها الله،

فإذا بالشمس تطلع من الغرب، وعندها يقفل باب التوبة.

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا رَآها النَّاسُ آمَنَ مَن عليها، فَذاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾** [الأنعام: ١٥٨]. متفق عليه.

ومنها حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا»** صحيح مسلم.

ومنها حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه عن أنَّ النبيّ ﷺ قال: **«إنَّ مِن قِبَلِ المَغرِبِ بابًا مَسيرةُ عرضِهِ سبعونَ أو أربعونَ عامًا؛ فتحَهُ اللهُ عز وجل للتَّوبةِ يَومَ خلَقَ السماواتِ والأرضَ؛ لا يُغلِقُهُ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ منه، وذلك قولُ اللهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨]. أخرجه الإمام أحمد؛ سنده حسن.

وعن عبد الله بن عمرو قال: (يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة). أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة عام؛ بعد نزول عيسى عليه السلام، وبعد الدجال.

والسبب في عدم قبول الإيمان في ذلك اليوم؛

أنّ طلوع الشمس من مغربها أمر عظيم يراه كلّ من يكون كافرا في ذلك الزمان؛

فَيَذهَلُ عقله،

وَيَخْضَع قلبه مُعتَرَفا بخالقه؛

وقد فات أوان الابتلاء والاختبار.

سيصبح الناس في يوم من الأيام ينتظرون شروق الشمس كما تشرق منذ ملايين السنين من المشرق، والسماء صاحية ليس فيها غيم،

وفجأة إذا بصائح يصيح:

إن الشمس قد أشرقت من مغربها.

وقد تحقق قول الله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

تميزت هذه العلامة عن أخواتها من علامات الساعة الكبرى؛

بأنها تحدث في العالم العلوي،

وأن الناس جميعاً يرونها،

ليكون مشهدا من أغرب مشاهد الكون منذ ظهور الحياة عليه،

إنه مشهد يَبْهَرُ العقول!

وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوعها من مغربها؛
لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس لارتكاب أنواع الجرائم والمعاصي، وتفتر كل قوة من قوى البدن وشهواته،
فيصير الناس كلهم في حال من حَضَرَه الموت لإيقانهم بدنو القيامة؛
بانقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم،
وبطلانها من أبدانهم،
فمن تاب في مثل هذه الحال؛ لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

لكن؛ هل إغلاق باب التوبة عن العباد مقتصر على من شاهد وعاصر طلوع الشمس من مغربها؟
أم يستمر الإغلاق إلى قيام الساعة؟

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) بعد أن ذكر آثارا كثيرة تدل على استمرار إغلاق باب التوبة بعد هذا الحدث.
فإن الشمس إذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم، وتابوا ورجعوا.
لكن: ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وإذا كان الناس لا يرونها في جميع البلدان في وقت واحد؛
فمن المحتمل أنهم يرونها في كل بلد بحسب مطلعهم ووقت شروقهم؛

كما كانوا يرونها كل يوم؛

وإن كانت قد خالفت بهم هذه المرة،

فخرجت من المغرب بدلا من أن تخرج من المشرق ؛

فيكون اختلال النظام إنما هو في جهة طلوعها وشروقها؛

وليس في توقيتها المعتاد؛ وهذا هو الظاهر المتبادر.

ولا مانع أن تظهر لأهل الأرض جميعا في وقت واحد،

وقد طلعت من مغربها بكيفية لا يعلمها إلا الله،

ويكون ذلك باختلال مظاهر نظام الكون كله؛

والله على كل شيء قدير.

والمؤمن يؤمن بما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسوله،

ويترك كيفية حدوث ذلك إلى علم الله وقدرته،

ويعلم أن الله على كل شيء قدير.

فينظر فيما جاء من الأخبار، فيؤمن بها ويعمل بمقتضاها،

ولا يُشغل نفسه بما وراء ذلك من الكيفيات التي لا طائل تحتها.

فالإيمان بقيام الساعة ركن من أركان الإيمان،

ووقت قيامها من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد،

وهذا مما استأثر به الله،

لكنه وضع له إشارات وعلامات تسبقه،

تدل على نهاية العالم وزوال المخلوقات،

ورجوع الخلق إلى الله، ومحاسبة البشر على أعمالهم.

وطلوع الشمس من الغرب يستمر أربعين يوماً،

يكون الأول كسنة،

والثاني كشهر،

والثالث كأسبوع،

والباقي كالأيام العادية.

جاء في الأثر: (ستطلع من المغرب أربعين يوماً، يوم كسنة؛ ويوم كشهر؛ ويوم كجمعة؛ وبقية الأيام كأيامنا في الدنيا) أي: أن اليوم الأول يعادل ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً؛ وإن كانت السنة قمرية هجرية فإن اليوم يعادل ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً. كتاب الدار الآخرة؛ عمر عبد الكافي؛ طلوع الشمس من مغربها. ص٤.

التاسعة: خروج الدابة

في آخر الزمان يظهر فساد الناس؛ ويظهر ترك أوامر الله وتعاليم الإسلام ؛ حينها يقع القول عليهم؛ ما هذا القول؟ إنه خروج دابة الأرض تكلمهم؛ كما أخبرنا الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

دابة تخرج من الأرض تعقل وتنطق،
تهدّد وتتوعّد الناس على ما صارت إليه أحوالهم من الإعراض والكفر،
فالدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله؛ وعلامة على قرب يوم القيامة.

وجب عليهم هذا التهديد والوعيد لتماديهم في العصيان والطغيان،
فإذا صاروا كذلك أخرج الله لهم دابة من الأرض،
تعقل وتنطق،
وخروجها يكون قريبا من طلوع الشمس من مغربها.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، وخُرُوجُ الدَّابَّةِ علَى النَّاسِ ضُحًى، وأَيُّهُما ما كانَتْ قَبْلَ صاحِبَتِها، فالأُخْرَى علَى إثْرِها قَرِيبًا**» صحيح مسلم.

ولا تعارض بين قوله ﷺ: **«أوَّلَ الآياتِ خُرُوجًا»**، لأنه ذكر بعدها: **«وَأَيُّهُما مَا كانَتْ قَبْلَ صاحِبَتِها»**.

أما مكان خروجها؛ عن حذيفة بن أسيد الغفاري؛ أن رسولَ اللهِ ﷺ ذكر الدابّةَ فقال: لها ثلاثُ خرجاتٍ من الدَّهرِ:

الأول: تخرج في أقصى اليمنِ؛ حتَّى يفشوَ ذكرُها في الباديةِ؛ ثُمَّ تكمُنُ زمانًا طويلًا.

الثاني: تخرُجُ قريبًا من مكَّة؛ فيفشو ذكرُها؛ ثُمَّ تمكُثُ زمانًا طويلًا.

الثالث: ثُمَّ تَفجَأُ النَّاسَ في أعظمِ المساجدِ حرمةً؛ المسجدِ الحرامِ؛ ترغو ما بينَ الرُّكنِ والمقامِ؛ فانفضَّ النَّاس عنها؛ وثبَت لها عصابةٌ من المسلِمينَ؛ وعرَفوا أنَّهم لن يُعجِزوا اللهَ؛ فخرَجَت عليهم تنفُضُ عن رأسِها التُّرابَ؛ ثُمَّ ولَّت في الأرضِ.

البداية والنهاية لابن كثير. مجمع الزوائد الهيثمي.

أما ما كلام الدابة وما عملها؟ قال تعالى: **﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾**.

قيل: أي تخاطبهم مخاطبة؛ وقيل: تقول لهم: **﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾**

[النمل: ٨٢].

وقيل في تفسير قَوله تعالى: **﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾** ثَلاثةُ أقوالٍ:

أحَدُها: أنَّها تَقولُ لَهم: **﴿إنَّ النَّاسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقِنونَ﴾**.

الثَّاني: تُكَلِّمُهم ببُطلانِ الأَديانِ سِوى دينِ الإسلامِ.

الثَّالِثُ: تَقولُ: هذا مُؤمِنٌ، وهذا كافِرٌ. انظر تفسير ابن الجوزي تفسير سورة النمل آية ٨٢.

وفي تفسير قوله: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي أنها دابَّةٌ من دَوَابِّ الأرضِ لَيسَت مِنَ السَّماءِ.

فإظهارُ الله هَذِه الدَّابةَ من آياتِ الله العَجيبةِ.

وهَذِه الدَّابَّةُ تَخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ وتَكونُ من أشراطِ السَّاعةِ، كما تَكاثَرَت بذلك الأحاديثُ.

ولَم يَأتِ دَليلٌ يَدُلُّ على كيفيَّتِها؛

ولا من أيِّ نَوعٍ هيَ،

وإنَّما دَلَّتِ الآيةُ الكَريمةَ على أنَّ الله يُخرِجُها للنَّاسِ،

وأنَّ هذا التَّكليمَ مِنها خارِقٌ للعَادَات المألوفةِ،

وأنَّ ظُهُورُها سَيَكُون مِنَ الأدِلَّةِ على صِدْقِ ما أخبَرَ اللهُ به في كِتابِه.

فخروج الدابة على شكل غير مألوف؛

ومخاطبتها للناس ووسمها إياهم بالكفر، أمر خارج عن مجرى العادات؛

وهو أول الآيات الكونية الأرضية،

كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات الكونبة السماوية.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه إلى النبيّ ﷺ أنه قال: **«تَخرُجُ الدابَّةُ، فتَسِمُ النّاسَ عَلَى خَرَاطيمِهِم، ثُمَّ يُعمِّرُون فيكُم، حَتَّى يَشْتَرِي الرَّجُلُ الدَّابَّةَ، فيُقالُ: ممَّنِ اشتَرَيْتَ ؟ فيَقُولُ: مِنَ الرَّجُلِ المُخَطَّمِ»** صحيح الجامع للألباني.

قوله: **«فتَسِمُ الناسَ»**، أي: تضَعُ علاماتٍ على الناسِ، وهم الكفَّارُ، وتَجعَلُ لكلٍّ منهم علامةً، وهذه العلامةُ تكونُ **«على خَراطيمِهم»** أي على أُنوفِهم، فيُصبِحُ للمُؤمنِ سِمةٌ وللكافرِ سِمةٌ، **«ثمَّ يُعمَّرُون فيكم»**: أي يَظَلُّون فيكم ويُمَدُّ في أعمارِهم، **«حتى يَشترِيَ الرجُلُ الدابَّةَ»**، أي: يَذهَبَ الرجُلُ فيَشتريَ مِن أخيه دابَّةً، **«فيُقالُ: ممَّن اشترَيْتَ»**، أي: هذه الدابَّةَ **«فيقولُ: مِن الرَّجلِ المُخْطَمِ»** أي: أحدِ المَخْطُومِينَ، والمعنى: اشترَيْتُها مِن الرجُلِ الذي وُسِمَ على أنْفِه، وهذا تأكيدٌ لحُصولِ هذا الأمْرِ حتى تُصبِحَ علامةً عليهم.

كما أخبر رسول الله ﷺ عن خروج دابة الأرض في اليوم الذي تَطلع فيه الشمس من مغربها، إذ قال: **«إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، وخُرُوجُ الدَّابَّةِ علَى النَّاسِ ضُحًى»**،

فتُكَلِّم الناس بكلام واضح،

وتُخبرهم أنّ الناس كانوا لا يوقنون بآيات الله،

وتُميّز المؤمن عن الكافر، بوضع علامة على أنف المؤمن فيعُرف أنّه مؤمن.

وبعد خروجها إلى الناس لا ينفع الإيمان لَمن لم يكن مؤمناً من قَبل؛ لقول رسول الله: **«ثَلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْرًا»**، وذكر من بينها دابّة الأرض.

وجاء في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ النبيّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقالَ: **«ما تَذَاكَرُونَ؟»** قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: **«إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»**، فَذَكَرَ: **«الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** عليه السلام**، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ»**

صحيح مسلم.

العاشرة: خروج نار عظيمة تحشر الناس إلى محشرهم

وهي آخر العلامات. كما اتّفق العلماء على أنّ خروج النار هي آخر علامات الساعة الكُبرى؛ لقول رسول الله ﷺ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»**. إلى أن قال: **«وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ»** صحيح مسلم.

ويُفهَم من حديث رسول الله ﷺ أنّ هذه النار تَخرُج من اليمن، وتَسوق الناس إلى مَحشرهم وهو بلاد الشام؛ لقوله ﷺ: **«ستَخرُجُ نارٌ من حَضرموتَ أو من نحوِ بحرِ حضرموتَ قبلَ يومِ القيامةِ تَحشُرُ النَّاسَ»**. قالوا: يا رسولَ اللهِ، فما تأمُرُنا؟ فقالَ: **«عليكُم بالشَّامِ»** صحيح الترمذي، صححه الألباني.

وهذه النار ليس الهدف منها إحراق الناس،

وإنّما سَوقهم إلى مَحشرهم الأخير وهو بلاد الشام،

فَتبقَى مُلازمة لهم ليلاً ونهاراً،

تَبيت معهم وترحل معهم،

وتبقى هكذا حتى تَصل بهم إلى الشام،

وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ بقوله: **«ويَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ معهُمْ حَيْثُ قالُوا، وتَبِيتُ معهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتُصْبِحُ معهُمْ حَيْثُ أصْبَحُوا، وتُمْسِي معهُمْ حَيْثُ أمْسَوْا»** صحيح البخاري.

فالنار التي تحشر الناس في آخر الزمان؛

ستكون آخر الآيات الكبرى؛

ومن العلامات العظمى لأشراط الساعة؛

وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة؛

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار سيكون من اليمن من قعرة عدن،

وجاءت روايات أخرى بأنها ستخرج من بحر حضرموت،

ومن الأحاديث التي تبين ذلك: حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة؛ وآخره قوله ﷺ: **«وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ»** صحيح مسلم.

وفي رواية: **«وَآخِرُ ذَلكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ اليَمَنِ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ النَّاسَ إِلىٰ المَحْشَرِ»**
صحيح مسلم.

قال الحافظ ابن حجر: ووجه الجمع بين هذه الأخبار؛ أنَّ كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها من المشرق إلى المغرب كما جاء في بعض الروايات؛ فالشرق يكون جهة المغرب لناحية من الأرض، كما أن المغرب يكون جهة المشرق لناحية أخرى، فإذا خرجت انتشرت وعمّت في الأرض كلها.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- كتب السنة وشروحاتها.

٣- كتاب: **تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير**؛ مؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي؛ (ت ٧٧٤هـ)؛ الناشر: دار ابن حزم؛ عدد الصفحات: ٢٠٦١.

٤- كتاب: **النهاية في الفتن والملاحم**؛ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)؛ المحقق: محمد أحمد عبد العزيز؛ الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان؛ طبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ؛ عدد الأجزاء: ٢٦.

٥- كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، ط:١، ١٤١٢، عدد الأجزاء: ٢.

٦- كتاب: **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة**؛ المؤلف: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب؛ المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي؛ الناشر: الجفان والجابي - دار ابن حزم؛ سنة النشر: ١٤٢١ - ٢٠٠٠؛ عدد المجلدات: ١، ط: ١، عدد الصفحات: ٢٤٢.

٧- كتاب: **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، (ت المباركفوري)، المؤلف: عثمان بن سعيد المقريء الداني أبو عمرو، المحقق: رضاء الله المباركفوري،

الناشر: دار العاصمة – الرياض، عدد المجلدات: ٦، عدد الصفحات: ١٣٧٤.

٨- كتاب: **أخطر سنوات الأرض ١٩٩٩-٢٠٢٣م؛ البطشه الكبري و بدايه أحداث اليوم الاخير**، المؤلف: أحمد ابوالنور، الناشر: دار وهدان للطباعة، ط١؛ ١٩٩٩م.

٩- كتاب: **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، المؤلف: عبدالوهاب طويلة، دار النشر: دار السلام – القاهرة، ط: ٨، سنة: ٢٠١٣، الصفحات: ٣٧٦، عدد الأجزاء: ١.

١٠- كتاب: **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، المؤلف: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (ت ١٤١٣هـ)، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:٢، سنة ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

١١- كتاب: **الإشاعة لأشراط الساعة**، المؤلف: الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، المحقق: حسين محمد علي شكري، سنة النشر: ١٤٢٦ – ٢٠٠٥، عدد المجلدات: ١، ط: ٣، عدد الصفحات: ٣٨٤.

١٢- كتاب: **القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين، استقصائا وشرحا وبيانا لوقوعها**، المؤلف: أمين محمد جمال الدين، عدد الأجزاء:١، عدد الصفحات: ١٥٦، ط:١؛ مصر.

١٣- كتاب: **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**؛ المؤلف: نخبة من العلماء؛ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية؛ ط:١؛ سنة ١٤٢١هـ؛ عدد الصفحات: ٣٠٩؛ عدد الأجزاء: ١.

المواقع الإلكترونية:

١- موقع شروحات الموسوعة الحديثية. موقع الدُرر السنيّة.

https://dorar.net/hadith/sharh

٢- موقع طريق الإسلام.

https://ar.islamway.net/micropost

٣- موقع الشيخ أحمد شريف النعسان.

https://www.naasan.net/index.php?page=YXJ0aWNsZQ

٤- موقع إسلام ويب.

https://www.islamweb.net/ar/fatwa

٥- موقع ألوكا.

https://www.alukah.net/sharia

٦- موقع الجزيرة نت.

www.aljazeera.net/midan/intellect/history

فهرس المحتويات

ماذا ينتظر العالم علامات الساعة الكبرى

د. أحمد حسين الرفاعي

